

البيئة المصرية

إلى الأخت الوفاء والخلص
الأستاذة الفاضلة / جميل عمار
مع خالص أمنيته
د. رائد بلعيسى

المدخل إلى

البيئة المصرية

الدكتور

أحمد فوزى ملوخية

جامعة الإسكندرية

٢٠٠٣ - ٢٠٠٤



مكتبة بستان المعرفة

لطباعة ونشر وتوزيع الكتب

كفر الدوار - الحدائق ☎ : ٠٤٥/٢٢٢٤٢٢٨
الإسكندرية ☎ : ٠١٢٣٥٣٤٨١٤

اسم الكتاب: البيئة المصرية

اسم المؤلفة: أحمد فوزى ملوخية

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: ٢٠٠٣/٧٤٩١

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977 - 6015 - 42 - 5

الطبعة: الأولى

المطبعة: الأمل - العصفرة - الإسكندرية

الناشر: بستان المعرفة

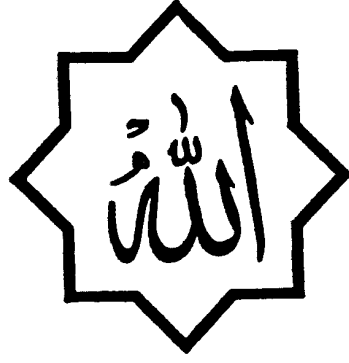
كفر الدوار - الحدائق - ٦٧ ش الحدائق بجوار نقابة التطبيقيين

تليفون: ٠١٢٣٥٣٤٨١٤ & ٠٤٥/٢٢٢٤٢٢٨ الإسكندرية

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

ولا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو إنتاج هذا المصنف أو أى جزء

منه بأية صورة من الصور بدون تصريح كتابى مسبق من الناشر

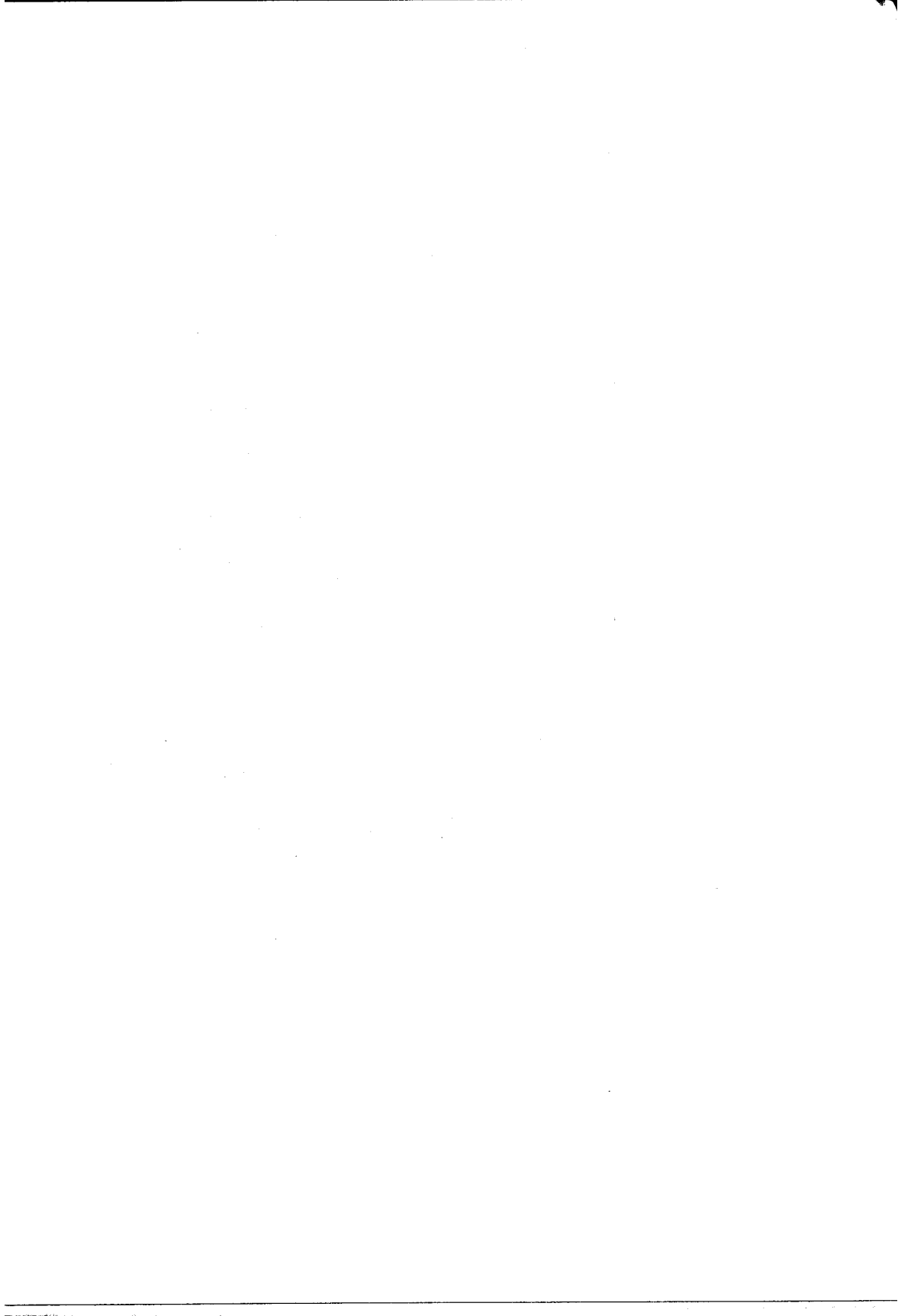


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليل﴾
صدق الله العظيم**

المحتويات

٩	- مقدمة
	- الباب الأول
١١	الخصائص المكانية للبيئة المصرية
	- الباب الثاني
٢٩	خصائص السكان المصريون
	- الباب الثالث
١١٧	الثقافة المصرية
	- الباب الرابع
٢٤٩	الاحتفالات والمهرجانات والأعياد المصرية
	- الباب الخامس
٣١٧	المجتمع الإنساني



مُتَكَلِّمَةٌ

لقد خلق الله البيئة الطبيعية في نظام مثالي متكامل ميزها بتوازن دقيق بين عناصرها، فهي تتكون من مجموعة أركان هي الماء والهواء واليابسة والطاقة والمخلوقات الحية، وكل ركن فيها يوجد في أكثر من صورة أو حالة، ودورات الحياة تسير بقدرة الله بتوفر البيئة المريحة للإنسان وغيره من المخلوقات. وقد أعطى الله البيئة خلقها على الهيئة التي خلقت بها صالحة للحياة ما بقيت على توازنها الطبيعي، وتتجلى رحمة الله في تنوع وتكامل عناصر البيئة بحيث تستطيع أن تقاوم بعض التغيرات إذا كانت في حدود معقولة.

ولقد شغلت قضية البيئة كل البشر عبر جميع عصور التاريخ، فكانت الطبيعة مصدر خوف وفزع حيناً ومهبط الوحي حيناً آخر، ولكنها في كل الأحوال دفعت الإنسان للتأمل في الكون خارج ذاته. وحلول أن يترجم تأملاته إلى أنظمة عقائدية أو فكرية أعطته التوازن مرة ودفعته إلى الصراع مرات. وسوف تظل البيئة بوجه عام مسرح الخلق الإنساني وملقى ما يسطره التاريخ من صفحات تعكس نضال الإنسان معها من أجل استخدام أفضل لها، ويتبارى البشر في اكتشاف أسرارها وبناء التكنولوجيا من موادها. وهنا يتدرج الإنسان من أعلى سلم التقدم إلى أسفله من خلال مجتمعات يحكم مكانها في هذا السلم مبلغ ما استطاعت أن تطوع جانباً أو آخر من الطبيعة لخدمة مصالحها.

ولكن الإنسان وهو شاحص البيئة، مدرك لأهميتها في داته ويتأمل وجدانه ويسوق في علاقاته في الإطارات الصعري والكبرى. الا أنه وجد نفسه أنه في داته

سيظل محدوداً ومشدوداً إلى البيئة بمعناها الأوسع والأضيق، وحتى في الأحوال التي أراد فيها أن يخرج عن نطاق ما هو معروف من بيئته إلى نطاق أوسع أو إلى أبعاد لا نهائية، كانت صور البيئة وطبيعتها هي نقطة البدء وهي الخيال وهي المنطق، كل هذا أستقر في أذهان الدارسين الأوائل والمحدثين، ولذلك لم تدرس البيئة بمعزل عن الإنسان إلا لأغراض مختلفة يكون البحث حينها متمركزاً حول النظر في البيئة ذاتها وليس في انعكاس آثارها على التاريخ أو المستقبل.

د. أحمد فوزي ملوخية

الباب الأول

الخصائص المكانية للبيئة المصرية

البيئة ومكوناتها
موقع مصر وعلاقتها المكانية
أقسام مصر الإدارية

البيئة ومكوناتها

يشير مفهوم البيئة إلى الإطار الفيزيقي والاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان، ويتأثر بكل التفاعلات والعلاقات القائمة بين جميع عناصره وتتكون البيئة من ثلاث منظومات رئيسية هي:

١- المحيط الحيوي Biosphere

وهو الغلاف السطحي من الأرض اليابسة والطبقات السطحية من المجموع المائي في المحيطات والبحار والبحيرات والأنهار والطبقات السفلية من الغلاف الجوي، وهذا المحيط الحيوي هو الحيز المكاني الذي توجد فيه الحياة بأنماطها المتباينة، ويتكون من مجموعات من العناصر هي:

- أ- مجموعة العناصر غير الحية (ماء وهواء وتربة).
- ب- مجموعة العناصر الحية المنتجة (الكائنات النباتية التي تصنع غذائها بنفسها)
- ج- مجموعة العناصر الحية المستهلكة (الحيوانات والإنسان).
- د- مجموعة العناصر المحللة (وهي التي تقوم بتحليل المواد العضوية إلى مواد سهلة الامتصاص)

وهناك توازن بين مكونات المحيط الحيوي بحيث إذا حدث تغير في أي مكون من مكوناته، فإنه لابد وأن يستتبعه تغير في بقية المكونات.

وقد سبق ظهور المحيط الحيوي ظهور الإنسان، وكان المسرح الذي هبط إليه في فجر ظهوره ضمن مجموعة الكائنات الحية، ولكن الإنسان ما لبث أن أصبح أحد العوامل المؤثرة فيه والمتأثرة به.

٢- المحيط المصنوع Technosphere

وهو عبارة عن كل ما صنعه الإنسان وبناءه فى حيز المحيط الحيوى مثل
الحلل السكنية فى القرى والمدن، مراكز الصناعة، شبكات المواصلات، شبكات
الرى والصرف ومنشآت ضبط الأنهار، مراكز الطاقة، وسائل النقل وغير ذلك.

ذو المحيط المصنوع يديره الإنسان ويتحكم فيه، ولكن بعض مكونات
المحيط المصنوع مثل النظم الزراعية يديرها الإنسان ولكنها لا تكون تحت تحكمه
الكامل، لأنها ما تزال تحت تأثير عوامل المحيط الحيوى مثل المناخ.

٣- المحيط الاجتماعى Sociosphere

وهو عبارة عن مجموعة النظم الاقتصادية والأعراف الاجتماعية والأدوات
الإدارية والتشريعية والمؤسسات السياسية التى ينتظم فى إطارها دولا ب حياة
الجماعة الإنسانية.

والمحيط الاجتماعى من صنع الإنسان وقد تطور على مدى القرون من
تاريخ الإنسان، وهو يجمع المؤسسات السياسية والاقتصادية والثقافية السائدة فى
المجتمع، وبعض مكونات المحيط الاجتماعى يرجع تاريخها إلى الماضى (الدين،
الدستور، التراث الثقافى، الخ)، ويمكن للمجتمع فى كل الأحوال أن يقرر تغيير
بعض عناصر المحيط الاجتماعى، ولكن هذا التغيير لا يتجاوز بعضاً من المكونات،
فحتى الثورات والانقلابات لا تغير إلا القليل من جملة المحيط الاجتماعى.

والتفاعلات بين المحيطات الثلاث هى نبض الحياة فى المجتمع المنتظم،
ولابد أن نعرف بعض الملاحظات عن هذه التفاعلات، وهى:

١- عمليات الحياة والنشاط فى المجتمع تتصل بتحويل عناصر المحيط الحيوى إلى موارد أو ثروة، وكما يقول عالم الاقتصاد الأمريكى زمرمان "الثروة لا تكون. الثروة تتكون"، ويقصد بذلك أن البيئة الطبيعية الفطرية وهى المحيط الحيوى تشتمل على مكونات نباتية وحيوانية وأرض ومياه وغيرها، تتحول هذه المكونات إلى ثروة، أى إلى موارد وسلع يحتاج لها الإنسان وينتفع بها، فى خطوات ثلاثة متتابعة هى:

- أ- يتعرف الإنسان على فائدة المكون.
 - ب- يتوصل الإنسان إلى وسائل الحصول عليه ومعالجته ليصبح نافعا.
 - ج- ينهض الإنسان بالعمل الذى يستخدم فيه الوسائل التكنولوجية للحصول على المكون ومعالجته. وهذه هى تنمية الموارد الطبيعية، وتتم فى اطار التفاعل بين المحيطات الثلاثة، وتوزيع الفوائد الناتجة من التنمية تخضع لضوابط المحيط الاجتماعى.
- ٢- تنشأ المشاكل البيئية نتيجة خلل أو تدهور فى بعض من التفاعلات التى تجرى فيما بين المحيطات الثلاثة، وأن تحليل هذه التفاعلات وفهمها يتيح وسيلة لتشخيص أحوال التضرر البيئى وطرق علاجها.
- ٣- ليس الإنسان - كما تقول الأفكار والمعتقدات الدارجة - مركز مثلث التفاعلات بين المنظومات الثلاث، ولكنه عنصر من عناصر كل منها.

فالإنسان نوع من الثدييات العليا أى واحد من مجموعة أنواع كائنات المحيط الحيوى، وكثير من تفاعلاته وأنشطته أشبه ما يكون بتفاعلات غيره من كائنات المملكة الحيوانية، والإنسان بجهد وعمله الذهنى المبدع هو باني المحيط المصنوع والعامل على إدارته، وهو عنصر المحيط الاجتماعى ومادته، ولكننا نلاحظ أن الإنسان فى إدارته للمحيط المصنوع قد يسمح لمخلفات المصانع ان تخرج إلى المحيط الحيوى الذى يعيش فيه وتلوثه وتفسده، وأن الإنسان فى إدارته لمؤسسات المحيط الاجتماعى قد يتخذ من القرارات التى تتصل بالمحيط المصنوع (مثل قرار

استخدام محطات القوى الدرية، أو قرار منع استخدام بعض المبيدات الكيميائية، أو غير ذلك)، ما يؤثر سلبيا أو إيجابيا على المحيط الحيوى، أى أن المنظومات الثلاث، تتفاعل بفعل الإنسان وعمله، ونتيجة هذا التفاعل تؤثر على حياة الإنسان، فالإنسان سبب هذه الآثار وهو المتأثر بها.

٤- التنمية بينيا هي تطوير القدرة الوطنية على إدارة التفاعلات بين المحيطات البيئية الثلاث التى ينتج عنها إحداث الثروة والإنتاج، والدول المتقدمة هي الجماعات البشرية ذات القدرة الوطنية على إدارة التفاعلات المتداخلة والمعقدة بين المحيطات الثلاث إدارة رشيدة وناجحة، أما الدول المتخلفة فهي الجماعات البشرية التى لم تستكمل بعد عناصر القدرة الوطنية على إدارة التفاعلات بين المحيطات البيئية الثلاث.

موقع مصر وعلاقتها المكانية

تشغل مصر مساحة تبلغ ١٠١٩٦٠٠ كيلو متر مربع وتأخذ شكلاً أقرب ما يكون إلى المربع الذي تقترب فيه النسبة بين طوله وعرضه.

وبصفة عامة يعتبر الشكل المندمج للدولة أنسب في مجال الدفاع والاستغلال للاقتصادى لمواردها من الشكل الطولى، ولذلك فإن الشكل العام لمصر يعتبر ملائماً من هذه الناحية، على حين يبدو المعمور مفرطاً فى الطول خصوصاً فى الوجه القبلى الذى يمتد طولياً كخندق محصور بين الهضبتين الشرقية والغربية، وهذا يضيف عبئاً فى مجال الدفاع عنه.

غير ان الشكل المفرط الطولى للمعمور المصرى لا يخلو مع ذلك من مزايا، فيلاحظ أنه يمثل عمقاً استراتيجياً للمناطق الشمالية فى أوقات الخطر الذى يتهدها، وقد كانت معظم الأخطار التى تحيط بمصر طوال تاريخها تقدر فى صوب الجنوب بمثابة مجال للتراجع أو إعادة لتنظيم الأوضاع من أجل الدفاع عن البلاد، وعموماً فالأراضى المصرية تمتد بين دائرتى عرض ٢٢،٣٠° شمال الدائرة الاستوائية.

حدود مصر السياسية:

يلاحظ ان حدود مصر تتوزع بين البر والبحر، وإذا بدئ بالحدود الجنوبية لمصر بينها وبين جمهورية السودان والتى تعتبر أطول الحدود البرية (١٢٨٠ كيلو متراً) وتتميز بأنها تسير فى خط مستقيم، يلاحظ أنها تتبع دائرة عرض ٢٢° شمالاً حتى رأس حدارية إلى الجنوب قليلاً من بلدة حلايب على ساحل البحر الأحمر.

وما يزال خطأ الحدود المزدوجين (إدارى وسياسى) يمثل نموذجاً غريباً لتعيين الحدود بين دولتين، بل أنهما مثاراً للنزاع بين الحين والآخر، فلقد حدث فى عام ١٩٥٨م عند إجراء الاستفتاء على رئاسة حكومة السودان (فى عهد الفريق إبراهيم عبود) والذي واكبه استفتاء الوحدة بين مصر وسوريا، وادعى السودان وقتها أن سكان المنطقة سودانيون، وكاد الأمر يودى لصدام مسلح، وتكرر ذلك ثانية فى عام ١٩٩٣، حينما احتضن السودان جماعات مناهضة لمصر كانت تتسلل عبر هذا الجزء إلى داخل البلاد.

أما الحدود الغربية فتبدأ فى التعرج لتترك واحة جغبوب فى الأراضي الليبية ولتصلها عن واحة سيوه داخل الأراضي المصرية، وتستمر بعدها شمالاً متتبعة طريقه الاخوان ومارة بمجموعة من الآبار حتى تصل إلى البحر المتوسط غرب بلدة السلوم بحوالى عشرة كيلو مترات، وبذلك فطول هذا الجزء ٣٠٦ كيلو متر.

وتشارك مصر بحدود برية فى شبه جزيرة سيناء مع فلسطين المحتلة، وتمتد من ٢١٠ كيلو متر بادئة من بئر طابا عند رأس خليج العقبة، ولتسير فى خط مستقيم حتى رأس النقب. والحدود المصرية فى معظمها حكماً ترى حدوداً هندسية، أى أنها لا تتمشى مع ظاهرات طبيعية واضحة مثل الجبال أو الأنهار أو غير ذلك، وإنما تمتد فى خطوط مستقيمة تقطع مناطق صحراوية شبه خالية من السكان، وهى قد تتمايز خط طول أو دائرة عرض أو علامات مميزة مثل الآبار أو الدروب الصحراوية أو أشياء يضعها الإنسان كعلامات، ومن ثم فهى ليست حدوداً فاصلة بحيث يلمس الفارق بين المناطق الواقعة على جانبيها.

أما بالنسبة للحدود البحرية التى تشمل الضلع الشمالى كله ومعظم الضلع الشرقى، فتمتد فى الشمال بين رفح شرقاً حتى غربى السلوم غرباً بطول ٩٩٥ كيلو

متراً، وما بين رأس خليج العقبة شمالاً حتى رأس محمد جنوباً، ثم تنتقل غرباً لتسير مع ساحل البحر الأحمر حتى حدود مصر مع السودان في الجنوب.

موقع مصر الجغرافي وأهميته:

يمكن النظر إلى أهمية موقع مصر الجغرافي من أربعة جوانب مختلفة،

هي:

أ- الموقع الفلكي بالنسبة لدوائر العرض وخطوط الطول.

ب- الموقع بالنسبة للمسطحات المائية المجاورة.

ج- الموقع والعلاقات مع الدول المحيطة.

د- موقع عاصمة مصر وتطوره.

أ- الموقع الفلكي:

وله أهميته في تحديد مكانة مصر بالنسبة للعالم. ويلاحظ أن الموقع بالنسبة لدوائر العرض أكثر أهمية من حيث آثاره في تحديد أحوال المناخ السائدة، وتمتد الأراضي المصرية بين دائرتي عرض ٢٢° شمالاً، ٣١,٥° شمالاً، وهي بذلك تقع في معظمها داخل إطار المناطق شبه المدارية، وإن بدت أطرافها الشمالية في المناطق شبه المعتدلة.

أما الموقع بالنسبة لخطوط الطول فيلاحظ أن أراضي مصر تمتد ما بين ٢٥° شرقاً، و ٤٠° ٣٦° شرقاً، أي أن مصر قريبة جغرافياً من بداية نصف الكرة الشرقي الذي يبدأ من خط جرينتش وينتهي عند خط طول ١٨٠° م شرقاً.

وطبقاً لهذا التحديد الفلكي، يتضح أن مصر متوسطة الموقع من حيث دوائر العرض. أما بالنسبة لخطوط الطول فيمتد يابس العالم القديم إلى الشرق منها حتى أطراف أستراليا وإندونيسيا.

وتعتبر مصر دولة إفريقية آسيوية، فالجزء الأكبر من أراضيها يمتد في إفريقيا، وينظر إلى شبه جزيرة سيناء باعتبارها جزءاً من قارة آسيا خصوصاً بعد حفر قناة السويس لتمثل مانعاً مائياً بينها وبين بقية أراضي الدولة، وقد ساعد هذا الموقع بلا شك في التأثير على التوجيه الجغرافي للدولة، فمصر بالرغم من إفريقيتها موقعاً إلا أنها كانت طوال تاريخها ذات توجيه آسيوي، وكان لذلك بصماته بالطبع على سكانها وحصانصهم الإثنوجرافية (العرقية).

ب - موقع مصر بالنسبة للمسطحات المائية:

تشرف مصر بسواحل بحرية طويلة على بحرين هامين أحدهما تربطها بحوض البحر المتوسط في الشمال، ويبلغ طولها ٩٩٥ كيلومتراً، وقامت عليها موانئ هامة، مثل دمياط ورشيد في الماضي والاسكندرية وبورسعيد في الحاضر.

وما تزال علاقات مصر بالدول المشرفة على البحر المتوسط تجارياً وسياسياً ذات أهمية واضحة.

أما الجهة الثانية فتقع في الشرق وتشمل السواحل الغربية لسيناء ثم ساحل البحر الأحمر جنوباً حتى حدود السودان، وهي أكثر طولاً وإن بدت أقل أهمية في الوقت الحالي بسبب فقر ظهيرها.

وأضاف حفر قناة السويس كشریان بحري يربط بين الشرق والغرب لموقع مصر مزيداً من الأهمية، حيث اختصرت القناة الطريق لنحري الذي كان يدور حول

رأس الرجاء الصالح، والذي يربط موانئ جنوب وشرق آسيا بموانئ غرب أوروبا والبحر المتوسط، وأكد اكتشاف البترول بكميات كبيرة حول الخليج العربي أهمية القناة بصورة أكبر من الناحية الملاحية.

حقيقة أن القناة تواجه بعض المشكلات منها اتجاه الدول البحرية إلى بناء ناقلات عملاقة تصل حمولاتها إلى ٤٥٠ ألف طن تدور حول إفريقيا بتكاليف أقل لتجنب مخاطر إغلاق القناة، كما حدث في عام ١٩٥٦م، وخلال الفترة بين ١٩٦٧ - ١٩٧٥م، ولكن إدارة القناة تقوم بعمليات تطوير دائمة لمواجهة هذه المنافسة.

غير أن هناك أخطاراً أخرى ما زالت تواجه قناة السويس وتؤثر على عائداتها، منها التذبذب في كميات البترول المنتجة من منطقة الخليج.

ثم يتمثل الخطر الثاني في المشروع الذي تقوم بدراسته إسرائيل لحفر قناة بين إيلات عند رأس خليج العقبة وأشدود على ساحل البحر المتوسط، أو بين إيلات والبحر الميت فساحل البحر المتوسط.

وتواجه سواحل البحر الأحمر المصرية في الغرب نظيرتها في الحجاز شرقاً، وإن كانت تحتل المرتبة الثانية بعدها من حيث الطول إذ تبلغ أطول السواحل السعودية.

ج- موقع مصر بالنسبة للدول المجاورة:

نقلت مصر من خلال موقعها الجغرافي المؤثرات العربية الإسلامية إلى إفريقيا جنوباً عبر دهليز البير الصويل. بل وأبعد من ذلك كانت لبعض القبائل العربية هجرات من صعيد مصر إلى تونس مثلاً حدث من بني هلال وسليم.

ولاشك في أن المنطقة برزخ السويس وشبة جزيرة سيناء لها أهمية خاصة في موقع مصر، فقد جاءت لمصر المؤثرات الأسبوية عبر هذه البوابة، بل يمكن القول أن الدفاع عن مصر يعتمد على تأمين المدخل الشمالي الشرقي لها، فقد كانت معظم الغزوات التي انتهت باحتلال مصر أو السيطرة عليها بدءاً من الهكسوس وحتى حرب ١٩٦٧م تعد من هذا الاتجاه، ولا نتجاوز الحقيقة كثيراً إذا قلنا أنه حتى الآن ما زال خطر التهديد لخارجي لمصر يمكن أن يأتيها من هذه البوابة، وإذا فورنت الحدود الغربية أو الجنوبية أو حتى الشمالية من حيث تهدها لأمن مصر يمكن ملاحظة مدى أهمية المنطقة الشمالية الشرقية، بحيث تفوق كل هذه الجهات مجتمعة.

أما صلات مصر وعلاقتها بالجنوب، فقد دعمت نيليا بورو مياه الفيضان مصدر الحياة على أرضها، وكان النهر في ذات الوقت طريقاً ملاحياً رغم جنادله لست بين أسوان وحلفا دلفت من خلاله الجماعات البشرية، وتدفقت عن طريقه السلع بين السودان ومصر، وموطن النوبيين الممتد حوله عبر الحدود السياسية بين البلدين وصلات الدم بين الشعبين أكبر دليل على هذه العلاقات.

أما علاقات مصر بالمناطق الواقعة في غربها، فقد كانت خلال العصور القديمة ذات طبيعة عسكرية حيث اغارت القبائل الرعوية في الغالب على الأراضي الزراعية، وجهاز الفراعنة جيوشاً تأديب هذه القبائل وتعقب المغيرين، ولكن لم لبث أن تحولت لعلاقات حضارية من خلال تدفق المؤثرات العربية والإسلامية عبر مصر غرباً إلى ليبيا وبلاد المغرب، ثم عودتها مع جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر مرة أخرى وتأسيس الدولة الفاطمية لشيعية واتخاذ مدينة القاهرة عاصمة لها.

والخلاصة أن مصر أصبحت بموقعها الأفرو آسيوى والنيلى والبحر المتوسط ذات أهمية استراتيجية فى ثلاث دوائر أولها الدائرة العربية بحيث تعد همزة وصل بين مشرق العالم العربى ومغربه، ويساعدها على ذلك وزنها البشرى والثقافى، كذلك تتمثل دائرتها لثانية فى العالم الأفرو آسيوى إسلامياً وغير إسلامى، والدائرة الثالثة تمتد إلى القارة الأوربية شمالاً عبر البحر المتوسط.

د- موقع العاصمة:

تقلت عاصمة مصر من الجنوب إلى الشمال خلال الفترات التاريخية المختلفة، وكانت أقدم عواصم مصر هى نحن (الكاب) حالياً بالقرب من مدينة أدفو.

وفى العهد الفرعونى تنقلت العاصمة بعد ذلك ما بين طيبة (الأقصر حالياً) ومدينة أخناتون (تل العمارنة بمحافظة المنيا) وأهناسيا (بمحافظة بنى سويف) وكلها فى مصر الوسطى والعلى أى فى الوادى.

وبعد الاحتلال اليونانى أسس الإسكندر الإسكندرية مكان قرية صغيرة قديمة تسمى راكوديس أو راقوده، وأصبحت عاصمة لمصر فى عهد خلفائه من البطالمة، وظلت كذلك فى عهد الرومان ربما بسبب توجه مصر خلال هذه الفترات نحول الشمال وارتباطها باليونان وإيطاليا.

ولكن عند فتح العرب لمصر وجدوا أن هذه العاصمة متطرفة صوب الشمال الغربى، ويمكن أن تتهددها الأخطار وبالتالي نقلت العاصمة مرة أخرى إلى موقعها عند رأس الدلتا، وأقيمت مدينة الفسطاط وبعدها توالى العواصم العربية (العسكر والقطائع) إلى أن أسس جوهر الصقلى قاهرة المعز لدين الله الفاطمى وظلت كذلك حتى الآن.

على أن عاصمة مصر الآن - تضخمت سكانياً وبيروقراطياً، ومن الصواب التفكير حالياً في نقلها إلى مدينة أخرى تقع على طريق القاهرة - الفيوم أو على الطريق الصحراوي بين القاهرة والاسكندرية.

أقسام مصر الإدارية

تقسم مصر الآن إلى مجموعة من الوحدات الإدارية المختلفة تبدأ بتقسيمها إلى محافظات وهي تضم حالياً ٢٦ محافظة تبينها الخريطة المرفقة، ويلاحظ أن هذه المحافظات تتوزع بين وسط الدلتا التي تضم ٤ محافظات هي دمياط وكفر الشيخ والغربية والمنوفية وشرقها الذي يشمل ثلاث محافظات هي الدقهلية والشرقية والقليوبية ثم غرب الدلتا ولا يضم سوى محافظتين هما البحيرة والإسكندرية، وعلى ذلك فإن الدلتا وهولمستها الشرقية والغربية تشمل تسع محافظات وإذا أضيفت إليها محافظات القناة الثلاث حسب ترتيبها من الشمال إلى الجنوب (بورسعيد والإسماعيلية والسويس) لأصبح الوجه البحري يشمل نحو نصف عدد محافظات الجمهورية.

أما في الوجه القبلي فتبدأ المحافظات من الشمال على طول مجرى نهر النيل بالقاهرة والتي تعتبر محافظة وصل بين الوجهين ثم تقترب بالاتجاه جنوباً بدءاً بالجيزة ثم بنى سويف والفيوم والمنيا وأسيوط وسوهاج ولقنا وأسوان، وتمتد كل هذه المحافظات على نهر النيل في شكل شريط ضيق باستثناء محافظة الفيوم التي تبعد عنه وتقع داخل منخفض الفيوم، وبالتالي يمكن القول أن محافظات الوجه القبلي تشمل أيضاً تسع محافظات مثل الوجه البحري وإن اختلفت أقدارها من حيث المساحة فمحافظات الوجه البحري أكثر إتساعاً وأكبر حجماً سكانياً بصورة عامة، وتبلغ مساحة كل هذه المحافظات ٣٥١٩٠ كم^٢ نسبتها ٤٪ من إجمالي مساحة مصر كلها.

أما بقية محافظات مصر والتي تشمل ٥ محافظات ويطلق عليها أحياناً محافظات الحدود فتقع أراضيها في المناطق الصحراوية شرقي نهر النيل وغربه،

وملاصقة لسواحل البحار وتضم محافظتا مرسى مطروح والوادي الجديد معظم مساحة الصحراء الغربية ولايستثنى من ذلك سوى قطاع صغير تمتد به محافظات الجيزة جنوباً بغرب لتضم الواحات البحرية إليها وجزءاً آخر غربى مدينة الإسكندرية وجنوبها الغربى (منطقة العامرية) وتشغل محافظة مرسى مطروح مساحة قدرها ربع مليون كيلو متر مربع وتشرف على سواحل البحر لمتوسط بين الإسكندرية والسلوم بطول ٥٠٠ كم. أما محافظة الوادي الجديد فتشغل مساحة قدرها ٣٠٠ ألف كم^٢ فى القسم الجنوبى الغربى من مصر بدءاً من خط عرض مدينة جرجا بسوهاج حتى الحدود المصرية الليبية غرباً وحتى حدود مصر الجنوبية فى الجنوب والسهل الفيضى للنيل شرقاً، وكما ترى تشغل هاتان المحافظتان وحدهما نحو نصف مساحة مصر كلها.

أما فى شرق النيل فتمتد محافظة البحر الأحمر لتشغل معظم مساحة الصحراء الشرقية باستثناء الأطراف الشمالية لها الموزعة بين محافظات السويس والقاهرة والجيزة وتبلغ مساحة هذه المحافظة وحدها $\frac{1}{5}$ مساحة مصر أى ٢٠٠ ألف كم^٢، يضاف إلى المحافظات الصحراوية شبه جزيرة سيناء التى تمثل ٦٪ من إجمالى مساحة مصر وهى تنقسم إلى محافظتين إحداهما فى الشمال (سيناء الشمالية) والأخرى فى القسم الجنوبى (سيناء الجنوبية)، فكان هذه المحافظات الخمس تمثل ٩٦٪ من مساحة البلاد بينما تنقسم الـ ٤٪ الباقية إلى ٢١ قسماً إدارياً تمثل محافظات القسم المأهول من الأراضى المصرية ولكل منها قاعدتها الإدارية التى تأخذ نفس أسمها فى كل محافظات الصعيد ومنطقة القناة والقاهرة والإسكندرية ودمياط وكفر الشيخ، على حين تتميز محافظات الدلتا الأخرى بوجود عواصم إدارية لها فالبحيرة عاصمتها دمنهور والغربية طنطا والمنوفية شبين الكوم والقليوبية بنها والشرقية الزقازيق والدقهلية المنصورة، وفى المناطق الصحراوية تعد العريش عاصمة لسيناء الشمالية والطور عاصمة سيناء الجنوبية والغردقة قاعدة لمحافظة البحر الأحمر والخارجة عاصمة للوادي الجديد.

وتساير الحدود الإدارية بين المحافظات ظاهرات طبيعية مثل فروع النيل أو البحيرات في الدلتا أو مجرى النهر ذاته في الصعيد أو ظاهرات قام بإنشائها الإنسان مثل الترع والمصارف أو تأخذ خطوطاً وهمية لا أساس لها في الواقع مثل حدود مرسى مطروح مع الوادى الجديد والجيزة والفيوم أو الحد الإدارى بين محافظة البحر الأحمر ومحافظات الصعيد والحد الفاصل بين قسمى سيناء الشمالى والجنوبى.

أقاليم مصر التخطيطية

وقد أقرحت هذه الأقاليم فى عام ١٩٧٥ وكان الهدف منها تجميع إمكانات وموارد المجموعات المتقاربة مكانياً من المحافظات لاستغلالها اقتصادياً وقسمت مصر بناءً على ذلك إلى ٨ أقاليم تخطيطية على النحو التالى:

- ١- إقليم القاهرة الكبرى ويشمل محافظات القاهرة والجيزة والقليوبية.
 - ٢- إقليم الإسكندرية ويشمل محافظات الإسكندرية والبحيرة ومحافظة جديدة مقترحة يمكن أن تسمى العامرية فى غرب وجنوب غرب الإسكندرية.
 - ٣- إقليم الدلتا ويضم محافظات الدقهلية ودمياط وكفر الشيخ والغربية والمنوفية.
 - ٤- إقليم مطروح ويشمل محافظة مرسى مطروح فقط.
 - ٥- إقليم شمال الصعيد ويضم محافظات الفيوم بنى سويف والمنيا.
 - ٦- إقليم جنوب الصعيد ويشمل سوهاج وقنا وأسوان والقسم الجنوبى من محافظة البحر الأحمر.
 - ٧- إقليم أسيوط ويضم محافظتا أسيوط والوادى الجديد.
 - ٨- إقليم قناة السويس ويتكون من محافظات القناة وشبه جزيرة سيناء.
- وقد أنتقد هذا التقسيم الذى وضعته وزارة الحكم المحلى فى ذلك الوقت بسبب تخصيصه إقليماً كاملاً لمحافظة مرسى مطروح والمفروض أن تضم لإقليم الإسكندرية كذلك الحال بالنسبة لمحافظة أسيوط التى فصلت من محافظات الوادى

الجديد بجانب تجزئته محافظة البحر الأحمر بين ثلاثة أقاليم هي القناة وشمال الصعيد وجنوبه.

وقد أقر تقسيم إدارى آخر للمحافظات يهدف لتجزئة الصحراويين الشرقية والغربية إلى أقسام أصغر وإضافة جبهة ساحلية على البحر الأحمر لمحافظات الوجه القبلى. على أن مثل هذا التقسيم لابد أن يستند إلى أسس واقعية تدخل فى اعتبارها الخدمات الإدارية ومدى سهولة حصول السكان عليها بجانب الموارد الاقتصادية لكل منطقة.

الباب الثانى

خصائص السكان المصريون

- تمهيد
 - مقاييس كثافة السطكان وتوزيعهم
 - السلوك الإيجابى
 - الوفيات ومقاييس الوفاة
 - النمو السكانى
 - التركيب العمرى والنوعى للسكان
 - الهجرة السكانية
-

مُهَيِّد

من الحقائق الهامة فى العلوم الإنسانية، أن السكان هم المحور الرئيسى الذى تدور حوله، وتتبع منه كثير من الدراسات فى شتى المجالات، ومن هنا تصبح دراسة السكان ذات أهمية قصوى، حيث تتأثر حياة المجتمعات ببعضها البعض، ولذلك فإن معرفة الحقائق السكانية تعد أساساً هاماً لفهم الكثير من المتغيرات الدولية. وتتناول الدراسة الجغرافية للسكان ثلاثة جوانب هى:

- نمو السكان.
- توزيع السكان على سطح الأرض.
- تركيب السكان.

وأساس هذه الدراسة هو العلاقات المكانية التى تميز جغرافية السكان عن الديموغرافيا، ويمكن تعريف جغرافية السكان بأنها فرع يعالج الاختلافات المكانية للخصائص الديموغرافية للتجمعات السكانية، ويدرس النتائج الاقتصادية الاجتماعية الناتجة عن التفاعل المرتبط بينها وبين الظروف الجغرافية القائمة فى وحدة مساحة معينة، ومن أبرز ملامح الارتباط الديموغرافى والجغرافى دراسة مستقبل السكان وتخطيط مواردهم وكذلك دراسة الهجرة السكانية وفوداً أو نزوحاً.

مقاييس كثافة السكان وتوزيعهم

مصادر دراسة السكان يمكن تقسيمها إلى مجموعتين:

- ١- مصادر البيانات الثابتة، وتمثلها التعدادات والمسح بالعينة
- ٢- مصادر البيانات غير الثابتة، وتمثلها سجلات المواليد والوفيات وسجلات الهجرة وحالات الزواج والطلاق

أولاً مصادر البيانات الثابتة:

١ - التعداد

يعد المصدر الرئيسي في جميع دول العالم لدراسة توزيع السكان وتركيبهم وقد أخذ أقدم تعداد في العصر الحديث في اسكتلندا وبعض الولايات الإيطالية والألمانية خلال القرن الثامن عشر، والتعداد يعنى العملية الكلية لجمع وتجهيز وتقويم وتحليل ونشر البيانات الديموغرافية والإقتصادية والاجتماعية المتعلقة بكل الأفراد في قطر أو جزء محدد المعالم من قطر وفي زمن معين، ويجب ان تتوافر في التعداد الشامل عدة خصائص هي العد الفردي والشمول، وكذلك الدورية المحددة وتختلف طرق أخذ التعداد أحياناً من دولة لأخرى، ولا تختلف دول العالم في دورية التعداد بها ولا في طريق أخذها، ويسجل التعداد السكاني خصائص متعددة للسكان، مثل العمر والنوع والحالة المدنية ومحل الميلاد والديانة والحالة التعليمية والمهنة وتعدد اوجه استخدام التعدادات السكانية، وتعد معرفة التوزيع السكاني على رقعة الدولة ضرورة من ضرورات التخطيط السكاني (الاقتصادي والاجتماعي) بغرض تنمية المجتمع.

٢- المسح بالعينة:

العينة جزء من المجتمع، تختلف عما يسمى بالحصر الشامل، وتتميز عنه بأنها توفر جزءاً من الجهد والتنفقات وتكون بياناتها دقيقة، وقد مزجت بعض الدول حديثاً بين أجزاء التعداد وأسلوب العينة بقصد الحصول على بيانات إضافية من الصعب الحصول عليها من التعداد خشية عدم دقتها، مما يلزم اختبار، عينة من السكان وتوجد مجموعة من الأسئلة الإضافية إلى أفرادها وتصمم للحصول على بيانات تطبق على المجتمع السكاني بأكمله.

ثانياً مصادر البيانات غير الثابتة:

الإحصاءات الحيوية

وتعد إحصاءات المواليد من أهم الإحصاءات الحيوية حيث يمكن من خلالها معرفة حركة النمو الطبيعي للسكان، وبالرغم من أن دولاً كثيرة تتوفر لديها في الوقت الحاضر إحصاءات حيوية دقيقة، إلا أن هناك دولاً أخرى لا تملك حتى البيانات الأولية، وعلى العموم فمعدل المواليد والوفيات ليس من السهل الحصول عليه بدق كاملة لحوالي نصف سكان العالم، فالصين من أكبر دول العالم سكاناً ولا تتوفر عنها بيانات دقيقة.

سجلات الهجرة:

تعد بيانات الهجرة أقل قيمة من بيانات الإحصاءات الحيوية، لاختلاف تعريف المهاجر من مكان لآخر، وتتوفر بيانات الهجرة الدولية لدى كثير من دول العالم، حيث تقوم بذلك فقط الجمارك والجوازات والجنسية في الموانئ والمطارات وأماكن العبور، ويلاحظ أن معظم خصائص المجموعات المهاجرة يتغير لن السكان يغيرون بصفة مستمرة من نشاطهم الإقتصادي وحالتهم المدنية والتعليمية، ولذلك فإن سجلات الهجرة ليست محل ثقة في البحث عن أسباب الهجرة ودوافعها.

مقاييس كثافة السكان وتوزيعهم:

يتم دراسة السكان بمعرفة حجم السكان فى مساحة محدودة بهدف تحليل صورة التوزيع السكانى فى الدولة، ويلجأ الباحث فى محاولة للوصول لتحديد رقم معين يبين العلاقة العددية بين السكان والمساحة التى يعيشون فيها لاستخدام بعض المقاييس البسيطة على النحو التالى:

١- الكثافة الحسايبية أو الخام

$$\text{الكثافة الحسايبية أو الخام} = \frac{\text{جملة عدد السكان فى منطقة ما}}{\text{المساحة الكلية لهذه المنطقة}}$$

وهذا النوع لا يعطى إلا فكرة بسيطة عن مدى تركيز السكان فى الإقليم وتتناسب فائدته تناسب عكسياً مع حجم المساحة الأرضية، فكلما كبرت المساحة كلما كان مدلول الكثافة الخام سطحياً وعماماً، ومن ثم فهى ذات أهمية قليلة فى دراسة العلاقة بين السكان والموارد.

٢- الكثافة الفيزيولوجية

$$\text{الكثافة الفيزيولوجية} = \frac{\text{جملة عدد السكان فى منطقة ما}}{\text{مساحة الأراضى الزراعية فى هذه المنطقة}}$$

والكثافة الفيزيولوجية تفوق الكثافة الخام للسكان دائماً، وتعد مصر من الأمثلة التقليدية على ذلك فى الدراسات السكانية، ويجب التعامل مع تلك الكثافة، نجد أن السكان يختلفون ثقافياً وحضارياً، ومهنيّاً، مما يصعب معه الوصول لصورة دقيقة للعلاقة بين توزيع السكان والأرض الزراعية، ومع كل ذلك فهى تعد تطويراً للكثافة الخام وتطوى الملامح العامة لهذه العلاقة.

٣- نسبة التركيز السكاني

نسبة التركيز السكاني = $\frac{1}{2}$ مج | س - ص |

س = نسبة مئوية لمساحة المنطقة لجملة مساحة الإقليم الكلية.

ص = نسبة مئوية لعدد سكان المنطقة لجملة سكان الإقليم الكلية.

مج = مجموع الفرق الموجب بين هذه النسب وبعضها.

ومعنى ذلك ان نسبة التركيز تساوى إحصائياً نصف مجموع الفرق الموجب بين النسبة المئوية للمساحة والنسبة المئوية لعدد السكان فى كل منطقة من مناطق الإقليم، وتبعاً للدراسات نقول أن ظاهرة التركيز السكاني فى طريقها إلى التناقص ولكن ببطء، وبدأ السكان يتوزعون فى مساحات أوسع مما كانت عليه فى مطلع هذا القرن.

٤- درجة التزاخم السكاني:

كثافة السكان هى العلاقة بين المساحة الكلية وعدد السكان، وتعد درجة التزاخم السكاني من أنسب مقاييس تركيز السكان وأبسطها فى حسابها، وتحسب كما يلى:

ما يخص الحجرة الواحدة من الأفراد

مجموع عدد الفرق التى يقطنها هؤلاء السكان

وتعد من المقاييس الهامة فى الحكم على المستوى الاجتماعى والاقتصادى السائد فى دراسة السكان، وتعد مؤشراً من المتغيرات الديموغرافية.

أنماط التوزيع السكاني

كمساعدة عامة فإن توزيع السكان على سطح الأرض، يعد توزيعاً غير متجانس سواء فى التوزيع العددي المطلق، أو فى نسبته أو فى كثافته، ويبدو أن

معظم سكان العالم يتركزون في العالم القديم ويختلف التوزيع السكاني حسب دوائر العرض، إختلافاً جوهرياً ويبدو التباين في توزيع السكان وكثافتهم على المستوى القومى بوضوح، ويبدو واضحاً من دراسة خريطة توزيع السكان في العالم أنها تتباين من قارة لأخرى تبايناً واضحاً، كذلك فإن مدى التباين في داخل القارة الواحد كبير هو الآخر، وإذا كانت العالم تتباين حسب حجم السكان بكل منها، فإنها تختلف أيضاً حسب مستوى التقدم الحضارى الذى يعكسه متوسط نصيب الفرد من الخدمات والدخل القومى، ويمكن أن يقسم العالم بصفة عامة في هذا المجال إلى قسمين غير متساويين يتمثل أحدهما في الدول المتقدمة والتي يعيش بها ١١٠٨ مليون نسمة، ٣٥,٥٪ من سكان العالم، والآخر في الدول النامية أو دول العالم الثالث، ويعيش بها ٧٦٪ من سكان العالم، وتدل المؤشرات الديموغرافية أن نصيب الدول النامية من جملة سكان العالم أخذ في التزايد بدرجة كبيرة، ويمكن النظر إلى صورة التوزيع السكاني على الأرض من خلال نطاقين، أحدهما يتميز بالتشتت والتبعثر والآخر بالتركز والازدحام، وفيما بينهما أقاليم تعد امتداداً لكلا النطاقين.

أقاليم التوزيع السكاني المبعثر:

تعد المناطق الجافة والغطاءات القطبية والجبال المرتفعة والغابات الكثيفة أقاليم التبعثر السكاني، والصحارى بصفة عامة تعد أقل مناطق العالم كثافة للغاية، وتصل بعض مناطقها الكثافة بها إلى فرد واحد لكل عشرة كم^٢، وتساعد الأمطار التي تسقط في بعض المناطق الجافة على قيام حياة رعوية تمد أعداداً قليلة من السكان باحتياجاتهم الرئيسية، أما البرودة فلها تأثير على توزيع السكان أقل من الجفاف، ومع ذلك فإن شعوب القنص والصيد البدائية في النطاق القطبي قليلة العدد، وتقل أعدادها بالاتجاه شمالاً، وعلى النقيض، ما سبق، فإن المحررت العمرانية التعدينية لا تخضع لظروف البرودة أو لظروف الجفاف، حيث أنشأت في كليهما مراكز تعدين طالما توفرت مقومات حرفة التعدين في هذه المناطق، وفي سيبيريا

السوفييتية أدى اكتشاف الذهب والبتروول والفحم والمعادن النادرة إلى إنشاء سلسلة من المدن عبارة عن محلات عمرانية صغيرة وتتمثل مناطق التركيز البشرى فى الشمال البارد لدى بعض الجماعات، مثل الاسكيمو والألب والصامويد، وتوجد على الحواف الجنوبية للنطاق البارد فى نصف الكرة الشمالى مراكز عمرانية قرب خط عرض ٦٠ شمالاً مثل ليننجراد وهلسنكى وكوبيك فى كندا، أما فى الجبال فيقل عدد السكان بالارتفاع، ولذا فإن الجبال الشاهقة غير معمورة دائماً، وعلى ذلك فالجبال تتباين فى دورها فى توزيع السكان حسب العروض التى توجد بها حيث يتركز السكان فى المناسيب التى تلائم ظروفها الطبيعية معيشتهم، وقد يكون استخراج المعادن من المناطق الجليد سبباً فى جذب السكان وتركزهم فى المرتفعات، مثلما فى بيرو، وتشجع ظروف الحرارة والأمطار فى المناطق الجبلية العالية فى البيئة المدارية على تركيز السكان كما فى المكسيك وكولومبيا وبيرو، أما المناطق الغابية فيصعب إقامة عمران عليها، وتتميز كل هذه الأقاليم المبعثرة السكان. بملح مشترك وهو العمران غير المنتظم ذو النمط المشتت.

اقاليم التوزيع السكانى الكثيف:

تبدو على خريطة العالم أربعة مناطق كثيفة السكان يفصلها عن بعضها البعض صحارى أو بحار، وهذه المناطق هى:

- ١- شرق الولايات المتحدة الأمريكية + أوروبا
- ٢- الهند
- ٣- الصين
- ٤- اليابان

وفيما عدا اليابان، فإن هذه المناطق تتميز بسمة مشتركة فى انها كلها مناطق ذات سهول واسعة تتكون من أودية نهريّة مثل الهوانجهو واليانجستى كيانج والجانج، وأودية الميسبى وروافده، وأصبحت كلها مناطق إنتاج الحبوب بوفرة خاصة القمح والذرة والأرز.

توزيع السكان فى أفريقيا:

تعد نيجيريا ومصر والجزائر وأثيوبيا وجمهورية جنوب أفريقيا أكبر الوحدات السياسية سكاناً، ونيجيريا ومصر أكثرها كثافة فيزيولوجية، وتتمثل المناطق المبعثرة السكان من النطاق الصحراوى فى الشمال والجنوب الغربى وبعض مناطق النطاق المدارى، وبالنسبة لنيجيريا وفى الجنوب تسود الزراعة المتنقلة للمحاصيل المعاشية، أما فى الوسط فقد تنتج محاصيل مشابهة، لخلو هذه الأقاليم من ذبابة تسمى تسي، أما الإقليم الشمالى وهو أكبر الأقاليم الثلاثة فتربى فيه الماشية وتقوم الزراعة المستقرة المرتبطة بتركز سكانى كبير، وقد نتج عن هذا الاختلاف فى الأقاليم الطبيعية اختلاف فى الأقاليم السكانية، حيث ارتبط توزيع السكان بالأقاليم الزراعية إرتباطاً وثيقاً.

خصوبة السكان:

خصوبة السكان، لفظ يطلق للدلالة على ظاهرة الإيجاب فى أى مجتمع سكانى، وينبغى أن نميز بينها وبين لفظ القدرة على التوالد، وهى التى يقصد بها المقدرة الفسيولوجية.

وتختلف الخصوبة من مجتمع لآخر ومن مكان لآخر وذلك نتيجة عدة عوامل اجتماعية واقتصادية وبيئية، ومن هنا تكون أهمية دراستها حيث يودى هذا الاختلاف فى مستويات الخصوبة إلى أثر بالغ فى حركات السكان، وفى نواح شتى من حياتهم، وللخصوبة أثر عميق فى تركيب السكان العمرى، لأن ارتفاع مستواها يودى إلى زيادة التراكم العددي فى قاعدة الهرم السكانى، واتساعها ووجود ما يعرف بظاهرة الإشباب.

وتعد الخصوبة من العناصر الرئيسية في دراسة السكان، ليس فقط لأنها غالباً ما تنوق الوفيات والهجرة، لأنها أكثر صعوبة في فهمها عن الوفيات وهي أكثر تأثيراً بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية.

مقاييس الخصوبة:

$$١- \text{معدل المواليد الخام} = \frac{\text{عدد المواليد أحياء في السنة}}{\text{عدد السكان في منتصف السنة}} \times ١٠٠٠$$

ويتميز بأنه أبسط مقاييس الخصوبة وأكثرها مزايا وعيبه الجوهرى أنه يمزج مجموعات سكانية كثيرة تختلف الخصوبة بينها اختلافاً واضحاً، ولا يميز بين طبقاتها المختلفة، ومدى تباينها.

$$٢- \text{معدل المواليد العام} = \frac{\text{عدد المواليد الأحياء في السنة}}{\text{عدد الإناث في مرحلة العمر من ١٥-٤٩ في منتصف السنة}} \times ١٠٠٠$$

$$٣- \text{معدل الخصوبة العمرية النوعية الخاصة} = \frac{\text{عدد المواليد خلال السنة (الوالدات) في فئة عمرية}}{\text{عدد الإناث في نفس الفئة العمرية في منتصف السنة}} \times ١٠٠٠$$

$$٤- \text{معدل الخصوبة الكلية} =$$

مجموع معدلات الخصوبة الخاصة بالمرأة الواحدة أو لألف امرأة
مضروباً في (٥) (طول الفئة العمرية)

وتعد دراسة الخصوبة الخاصة، محاولة للتعمق في إظهار المستوى الحقيقى للخصوبة ومقارنته مع غيره من المقاييس، والغرض الأساسى من تحديد عدد المواليد في كل فئة عمرية إلى الإناث في نفس الفئة هو محاولة تحديد اختلاف

إسهام الإناث فى الخصوبة حسب الأعمال ومعدل الخصوبة العمرية النوعية تختلف من شعب لشعب نتيجة عدة عوامل منها:

١- متوسط السن عند الزواج عند الأنثى ونسبة الترمول للإناث اللاتى فى سن الخصوبة ومعدل زواج الأرامل منهن.

٢- مدى ممارسة وتنظيم الإنجاب.

يتباين شكل منحنى الخصوبة العمرى من دولة لأخرى، وقد يتغير فى المجتمع الواحد بين كل فترة زمنية وأخرى ويمكن تمييز ثلاثة أنواع من المنحنيات هى:

١- نوع القمة المبكرة، وتصل فيه الخصوبة لأقصاها (٢٠-٢٤) سنة.

٢- نوع القمة المتأخرة، يكون الحد الأقصى فى الفئة (٢٥-٩) سنة.

٣- نوع القمة العريضة، وتصل فيها معدلات المواليد أقصاها مع الفئتين (٢٠-٢٤)

(٢٤)، (٢٥-٢٩) وليس هناك اختلاف كبير بين الدول عالية الخصوبة ومنخفضة الخصوبة فى توزيع قمة الخصوبة العمرية.

وفى الدول منخفضة الخصوبة تسود القمة المبكرة، أما نمط القمة المتأخرة فيسود فى جنوب أوروبا، أما النمط ذو القمة العريضة فيسود فى أمريكا اللاتينية. وعلى ذلك فإن متوسط السن عند الزواج يعد عاملاً هاماً فى تحديد النمط العمرى للخصوبة، وبصفة عامة فإن القمة المبكرة تتفق مع الزواج المبكر، بينما القمة المتأخرة مع الزواج المتأخر.

٥- معدل التكاثر الإجمالى:

هو تطوير بسيط لمعدل الخصوبة الكلية والتميز الوحيد بينهما أن معدل التكاثر الإجمالى يخص المواليد الإناث بدلاً من جملة المواليد، ويعد معدل التكاثر الإجمالى عن عدد الإناث للمرأة الواحدة فى المدى العمرى ١٥-٤٩ سنة. وهناك تقديراً آخر لقياس عدد الأمهات فى المستقبل يأخذ فى الاعتبار عامل الوفاة ويعرف بمعدل التكاثر الصافى ويحسب بطريقة تعتمد على جدول الحياة.

٦- نسبة الأطفال إلى النساء في سن الحمل:

هو مقياس شائع يعتمد على بيانات التعداد السكاني، حيث نحصل عليه بقسمة عدد الأطفال الذين يقل عمرهم عن ٥ سنوات، ويرتبط هذا المقياس بالتعداد السكاني، ولذلك فإن الدقة في البيانات تؤثر على دقة هذا المقياس، وإن كان أبرز عيوبه هو أن البسط - أي عدد الأطفال دون الخامسة يمثل الباقي على قيد الحياة من جملة الذين تم إجابهم خلال السنوات الخمس السابقة على التعداد.

وعلى الرغم من أن معظم المحليين والمخططين الاجتماعيين يدركون أن مشكلة عدم الاتزان بين الموارد والامكانيات المتاحة من ناحية، وتزايد السكان وتزايد متطلباتهم من ناحية أخرى، لا يمكن حلها إلا من خلال سياسة تنموية شاملة تأخذ في اعتبارها التوسع في استزراع الأراضي الصحراوية، ومواصلة التنقيب عن المعادن والطاقت الأرضية، وتطوير الزراعة والصناعة، وتنمية القدرات الإبداعية والابتكارية للسكان، وتحريرهم من القيم والتقاليد التي تعوق تقدمهم، ألا أنهم يكادون يجمعون على اعتبار أن الحد من الزيادة السكانية وخفض معدل المواليد ينبغي أن يكونا من أهم متضمنات مثل تلك السياسة التنموية الشاملة. ومن هنا كان الاهتمام المتزايد بمسألة تنظيم الأسرة من جانب مختلف الأجهزة والهيئات المعنية والمهتمة بقضية التنمية في مصر، وقد بدأت الجهود الفعلية في مجال تنظيم الأسرة سنة ١٩٥٣ حين أنشئت اللجنة الأهلية لمسائل السكان والتي عرفت بعد ذلك باسم جمعية الدراسات السكانية، وتتابع الجهود بعد ذلك أهلية وحكومة حتى دعمت بإنشاء المجلس الأعلى لتنظيم الأسرة في ١٩٦٥، ووزارة السكان والأسرة في ١٩٦٣.

على أنه ينبغي ادراك أن توافر خدمات تنظيم الأسرة، وسهولة الحصول على وسائل منع الحمل ليس كافياً في حد ذاته لأقبال الناس على استخدامها، فالأهم من عرض هذه الخدمات هو الطلب عليها، وهذا لا يتأتى إلا إذا أحس الفرد بحاجة إليها، وتوفر له دافع حقيقي لاستخدامها، وهذا بدوره يتوقف على مدى تأثيره بالعوامل الموقفية والمعيارية التي يعيش في ظلها.

السلوك الإنجابى

يمكن تفسير تباين الأفراد فى سلوكهم الاجتماعى فى ضوء بعض النظريات الاجتماعية، وفى ضوء نتائج بعض الدراسات الميدانية، وملاحظات وآراء المحللين الاجتماعيين.

أولاً: تفسيرات نظرية لتباين السلوك الإنجابى للسكان الريفيين

يحتل التراث النظرى لعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى بنظريات عديدة، تحاول أن تفسر السلوك الإنسانى بصفة عامة، مثل نظرية الدور الاجتماعى، ونظرية المقايضة الاجتماعية، ونظرية الفعل الاجتماعى، ونظرية الحاجات الإنسانية، وسوف نحاول الاستفادة من هذه النظريات فى تفسير تباين الأفراد فى سلوكهم الاجتماعى.

١- نظرية الدور الاجتماعى: Social Role Theory

ترى نظرية الدور الاجتماعى أن جانباً كبيراً من السلوك البشرى يتسق ويأخذ شكلاً معيناً ليقابل التوقعات الاجتماعية المرتبطة بالمراكز والمكانات الاجتماعية التى يشغلها الأفراد فى البنى الاجتماعية حيث تمارس هذه التوقعات ضغطاً على سلوك الأفراد يدفعهم لأن يسلوكوا السلوك الذى يتوقعه منهم المجتمع.

وفى إطار الثقافة المصرية - وبخاصة الثقافة الريفية - يتوقع المجتمع من الأفراد الذين يشغلون مراكز اجتماعية عالية أن يعملوا على توفير مستوى معيشى مرتفع لأفراد أسرهم مما قد لا يتأتى فى وجود عدد كبير من الأفراد، كما يتوقع أن تأخذ اهتماماتهم العملية ومسئولياتهم قدراً أكبر من طاقاتهم ووقتهم مما قد لا يترك

لهم القدر الكافى من الوقت والجهد لرعاية عدد كبير من الأبناء، بالإضافة إلى ذلك فإن المجتمع يتوقع من الأشخاص الذين يشغلون مواقع قيادية وأولئك الذين يشغلون مراكز اجتماعية مرتفعة أن يكونوا أكثر وعياً بالمشكلة السكانية وأثارها السلبية على المجتمع وأن يكونوا قدوة لغيرهم فى تنظيم الأسرة والحد من الإنجاب، أما الأفراد الذين ينتمون للطبقة الوسطى فيسعون عادة إلى تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية للحاق بالطبقة العليا ويكون التعليم وسيلتهم للالتحاق بوظائف مرموقة بالإضافة للارغبة فى تحسين مستوى معيشة أبنائهم، مما قد يدفعهم إلى محاولة خفض عدد أبنائهم ليتيسر لهم تحقيق ذلك، أما أبناء الطبقة الدنيا الذين غالباً ما يتسمون بمستويات تعليمية واقتصادية منخفضة فلا يتوقع منهم المجتمع توفير مستوى معيشى مرتفع لأبنائهم، وبالتالي يقل الضغط الاجتماعى الواقع عليهم للاهتمام بتعليم أبنائهم، أو توفير مستويات مرتفعة من الرعاية الاجتماعية الواقع عليهم للاهتمام بتعليم أبنائهم، أو توفير مستويات مرتفعة من الرعاية الاجتماعية والصحية لهم مما قد لا يجعل للحد من الإنجاب أهمية كبيرة بالنسبة لهم.

بالإضافة إلى تباين الضغوط الاجتماعية الواقعة على الأفراد نتيجة لتباين أدوارهم فإن الأدوار المهنية المختلفة كثيراً ما ترتبط ببعض المتغيرات المشجعة على مزيد من الإنجاب أو على الحد منه، فعلى سبيل المثال فغن المزارعين، وخاصة فى ظل الزراعة التقليدية، قد ينظرون إلى الأبناء على أنهم مصدر دخل للأسرة حيث يمكنهم الاسهام فى كثير من العمليات الزراعية التقليدية، وبالتالي لا يوجد لديهم الدافع لأن يعمدوا إلى الحد من الإنجاب، والزوجة العاملة قد تجد أن مسئوليات العمل بجانب مسئولياتها المنزلية لا تترك لديها الوقت والجهد الكافيين لرعاية عدد كبير من البناء، وبالتالي قد يدفعها ذلك إلى الاكتفاء بعدد قليل منهم، هذا بالإضافة إلى ما قد يودى إليه عمل الزوجة من قلة اعتمادها اقتصادياً على زوجها، ومن تحسين لوضعها الاجتماعى، مما لا يجعل من إنجاب عدد كبير من الأطفال

وسيلة لرفع مكانتها فى الأسرة، وتأمين حياتها الزوجية كما هو الحال بالنسبة للزوجات غير العاملات وخاصة فى المناطق الريفية.

٢- نظرية المقايضة الاجتماعية: Social Exchange Theory

ترى هذه النظرية أن الأفراد يدخلون بصفة مستمرة فى عمليات تبادل المنافع مع النظم الاجتماعية التى يعيشون فى ظلها، حيث يعطون ويأخذون فى المقابل أشياء ذات قيمة بالنسبة لهم، والمنظرون لنظرية المقايضة الاجتماعية يوسعون المفهوم الاقتصادى لتبادل السلع ليشمل تبادل القبول الاجتماعى والاحترام والتقدير والحب والأمن وغير ذلك من الأشياء المعنوية، كما ان وجود بدائل يؤثر على قيمة الأشياء المتبادلة.

وفى ضوء هذه النظرية يمكن القول بان المرأة الريفية التى غالباً ما تكون أمية أو ذات مستوى تعليمى واقتصادى منخفض قد لا تجد لديها من الموارد التى يمكن ان تقايس بها من أجل الحصول على المكانة الاجتماعية، والمشاركة فى القرارات السرية، وكسب رضا الزوج، سوى اللجوء إلى الإتياب، وربما الاستمرار فى الإتياب حتى تأتى بمولود ذكر، ويختلف هذا فى حالة عمل الزوجة حيث أنها تعطى بعضاً من وقتها للعمل مقابل حصولها على الدخل الذى يمكنها من المساهمة فى ميزانية الأسرة، وبالتالي يرفع مكانتها فى الأسرة، ويزيد من قدرتها على اتخاذ القرارات السرية، لذلك يتوقع أن تكون المرأة العاملة أكثر تنظيمياً للأسرة، وأقل خصوبة، وكلما تعددت مصادر القوة الأخرى التى تمتلكها الزوجات الريفيات فمن الطبيعى أن يقل اعتمادهن على الإتياب كوسيلة لزيادة قوتهن وتدعيم مكانتهن فى الأسرة.

٣- نظرية الفعل الاجتماعي الإرادي: Voluntraristic Action Theory

تفترض نظرية الفعل الاجتماعي الإرادي لبارسونز أن الأفراد يسعون إلى تحقيق أهداف شخصية في ظل مواقف وأوضاع معينة يتوفر فيها وسائل بداية لتحقيق الأهداف، ولكنهم في سعيهم لتحقيق أهدافهم يكونون محدوين بعدد من الظروف الموقفية، مثل خصائصهم البيولوجية وظروف بيئتهم الطبيعية والإيكولوجية، كما أن سلوك الأفراد أيضاً يكون محدوداً بالقيم الاجتماعية والمعايير السلوكية والأفكار السائدة في المحيط الذي يعيشون فيه، وكل هذه المحددات الموقفية والمعارية تؤثر على قدرتهم في اختيار الوسائل التي يمكن أن تحقق أهدافهم من بين مختلف الوسائل البديلة.

ووفقاً لهذه النظرية يمكن افتراض أن الأفراد يهدفون إلى تحقيق قدر مناسب من الأمن والوصول إلى مكانة اجتماعية واقتصادية معينة، وفي سعيهم لتحقيق هذه الأهداف فإنهم محدوين بعدد من المحددات الموقفية والمعارية في اختيار الوسائل التي تمكنهم من تحقيق هذه الأهداف، فنجد أن بعض الأفراد يحققونها عن طريق الجاه والنفوذ وهؤلاء هم غالباً أبناء الطبقات العليا، أما الطبقات الوسطى فإنهم قد يسعون لتحقيق أهدافهم عن طريق التعليم، والعمل على زيادة دخلهم، بينما نجد أن أبناء الطبقات الدنيا - ومنهم معظم الريفيين - لا يتوفر لهم عوامل الجاه أو النفوذ، أو الحصول على قدر مناسب من التعليم، كذلك قد لا يجدون وسيلة لتحقيق هذه الأهداف إلا من خلال كثرة الإنتاج، وزيادة أعداد الذكور من أبنائهم، ليكونوا لهم عزوة في المستقبل حيث يساعد ذلك على تقوية شعورهم بالأمن في الحاضر والمستقبل.

ومن العوامل الموقفية التي قد ينتج عنها اختلاف في سلوك الأفراد الإيجابي المهنة، فالمزارعون مثلاً يحتاجون إلى أيدي عاملة كثيرة ورخيصة، ويعتبرون أن

زيادة عدد أبنائهم وسيلة لتحقيق ذلك، بعكس المهنيين مثلاً كالأطباء والمحامين ورجال الأعمال والتي لا تسمح ظروف عملهم بالاستفادة بجهود أبنائهم، كما أن أعمالهم لا تترك لهم الوقت ولا الجهد الكافيين لتربية عدد كبير من الأبناء، ومن العوامل الموقفية التي قد يكون لها أثر على الإيجاب أيضاً المعيشة في أسرة ممتدة حيث يقع على الزوجات في مثل هذه الأسرة ضغوط من الأقارب من أجل مزيد من الإيجاب، كذلك فغن اختلاف الأفراد في بعض الخصائص كالعمر والمستوى التعليمي والاقتصادي، وكذا مدى توافر الخدمات - وبخاصة الخدمات الصحية والتعليمية - ومدى توفر فرص العمل بالمجتمع المحلي تعتبر أيضاً من العوامل الموقفية التي قد تؤثر على نظرة الآباء إلى الأبناء، وبالتالي على تجاههم نحو تنظيم أسرهم.

وقد أكدت نظرية الفعل الاجتماعي على أهمية العوامل المعيارية من قيم ومعتقدات ومعايير ثقافية في التأثير على السلوك البشري، وربما لم تلق هذه العوامل اهتماماً كبيراً من جانب الدارسين للسلوك الإيجابي على الرغم من أهميتها، إلا أنه من الملاحظ أن بعض التوجيهات القيمة للأفراد مثل اعتقادهم بأن تنظيم الأسرة يتعارض مع تعاليم الدين، أو سيادة القيم المفضلة للذكور على الإناث، أو تلك التي تعطى للقدرة الإيجابية للمرأة أهمية كبيرة في تحديد مكانتها الاجتماعية، بالإضافة إلى قيمة الزواج المبكر للفتيات في المناطق الريفية قد تكون من أهم العوامل المعيارية التي قد يعزى إليها ارتفاع الخصوبة في المناطق الريفية.

٤- نظرية الحاجات الإنسانية: Human Needs

تفسر نظرية الدوافع جانباً كبيراً من سلوك الإنسان، ومن هذه النظريات تفترض نظرية الحاجات التي قدمها ماسلو أن حاجات الإنسان تنتظم في سلم هرمي تشغل فيه الحاجات الفسيولوجية قاعدة هذا الهرم، يطوها الحاجة إلى الأمن، ثم

الحاجة إلى الحب والانتماء، ثم الحاجة إلى الاحترام والتقدير، ثم تحتل قمة الهرم الحاجة إلى تأكيد الذات.

وفى ظل الثقافة الريفية التقليدية وسيادة نمط الزراعة التقليدية قد ينظر الأفراد إلى كثرة الإيجاب كوسيلة لإشباع الحاجة إلى الأمن والحب والانتماء، حيث يعتبر معظم الريفيين الذكور عزوة وسنداً للأهل فى المستقبل مما يعطيهم شعوراً بالأمن، كما ينظر للأسرة كبيرة العدد على أنها مجال أوسع لتبادل الحب بين أفرادها، ويفخر الأبناء بالانتماء إليها، بالإضافة لذلك فإن كبر حجم الأسرة وخاصة زيادة أعداد الذكور فيها قد يرفع من قيمة الأسرة فى المجتمع، وبالتالي يسهم فى إشباع الحاجة إلى الاحترام، والمرأة الريفية تنظر إلى الإيجاب وخاصة إيجاب الذكور كوسيلة لتحقيق الاستقرار فى حياتها الزوجية، ورفع مكانتها فى الأسرة مما يسهم فى إشباع حاجتها إلى الأمن، وتختلف نظرة الأفراد إلى الإيجاب فى حاله ارتفاع المستوى التعليمى والاقتصادى مما يوفر لهم احساساً بالأمن ويحقق لهم قدراً أكبر من الاحترام، كذلك فإن الذين يسعون إلى إشباع الحاجة إلى تقدير الذات، والحاجة إلى تأكيد الذات قد يتحتم عليها إعطاء عملهم قدراً أكبر من الجهد والوقت والاهتمام مما لا يترك لديهم متسعاً لإيجاب عدد كبير من الأبناء.

المتغيرات المرتبطة والمؤثرة على السلوك الإيجابى للسكان الريفيين

فما يلى عرض ومناقشة للعوامل المؤثرة على السلوك الإيجابى للسكان الريفيين كما نبين من نتائج بعض الدراسات التى أجريت فى هذا المجال وتشتمل هذه العوامل على مجموعة من العوامل الموقفية والمعيارية المتشابكة التى قد تؤثر على اتخاذ القرارات الإيجابية، وتتضمن بعض الخصائص الشخصية للأفراد، بجانب الخصائص البنائية للأسرة والمجتمع المحلى، وطبيعة القيم الاجتماعية والمعايير السلوكية والأفكار السائدة فى المحيط الذى يعيشون فيه.

١ - المستوى التعليمي

اتفقت نتائج كثيرة من الدراسات على وجود علاقة موجبة بين المستوى التعليمي للزوجين وممارسة أساليب تنظيم الأسرة، وعلاقة سالبة بين المستوى التعليمي لكل من الزوجين والخصوبة مقاسة بعدد الأطفال المولودين أحياء، وأشارت نتائج بعض الدراسات إلى أن تعليم المرأة أهم من تعليم الرجل في خفض معدل الخصوبة، وقد يعزى تأثير التعليم على الخصوبة إلى عدة أسباب من بينها أن طول فترة الدراسة قد تؤدي إلى التأخير في الزواج، وبالتالي تقصير فترة الإنجاب، كما قد يكون للمعارف المكتسبة عن طريق التعليم أثرها في زيادة وعي الأفراد وشعورهم بالمسؤوليات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والصحية المترتبة على إنجاب الأطفال، وعلى تطلعهم إلى مستوى معيشي مرتفع قد لا يمكن تحقيقه في ظل وجود عدد كبير من الأطفال، كذلك فإن ارتفاع المستوى التعليمي والثقافي للفرد قد يساعده على الاستمتاع بالموسيقى والرحلات والقراءة والمشاركة في أوجه النشاط الاجتماعي والثقافي والسياسي في المجتمع الذي يعيش فيه، مما قد يغير من اهتماماته ونظراته إلى الأطفال، بحيث لا يرى في إنجاب عدد كبير منهم كل ما في الكون من سعادة، بل ويرى في كثرتهم أعباءً وقيوداً تحد من قدرته على الاستمتاع بتلك النشطة. كذلك فإن التعليم يساعد على الاستخدام الملائم لوسائل تنظيم الأسرة.

ويزيد من أهميته تعليم المرأة الريفية في تخفيض الخصوبة وتنظيم الأسرة ما أظهرته نتائج بعض الدراسات من أن الزوجة الريفية تلعب دوراً مؤثراً في اتخاذ قرار تنظيم النسل، وكثيراً ما يرتبط تعليم النساء باشتغالهن مما لا يوفر لهن الوقت أو الجهد الكافي لتربية عدد كبير من الأطفال، بالإضافة إلى أن ما يضيفه عمل المرأة عليها من مكانة اجتماعية، وما يجلبه لها من دخل خاص يسهم في تدعيم مكانتها الاجتماعية والاقتصادية في الأسرة، ولا يجعل الأولاد هم مصدر الأمان الوحيد في حياتها الزوجية، والمحدد الأهم لمكانتها، لذا تبدو أهمية العمل على

تكثيف الجهود المبذولة في مجال التعليم ومحو الأمية وتعليم الكبار، وبصفة خاصة تلك الموجهة نحو تعليم المرأة الريفية.

٢- عمل الزوجة

اتفقت نتائج كثير من الدراسات على أن المرأة العامة أكثر استخداماً لوسائل تنظيم الأسرة، وأقل أنجاباً من المرأة غير العاملة، وقد يرجع ذلك إلى أن اشتغال الزوجة يخلق اهتمامات جديدة لديها، ويستغرق جزءاً كبيراً من جهودها ووقتها لا يمكنها معه الوفاء باعباء ومتطلبات أسرة كبيرة العدد، كما أن العمل يرفع من مكانتها الاجتماعية والاقتصادية، ولا يجعل قدرتها الإيجابية هي المحدد الرئيسي لمكانتها في الأسرة، كما قد يؤدي التحاق المرأة بعمل إلى تأخير سن زواجها.

وقد أشارت بعض الدراسات أن عمل المرأة في النشاط الزراعي العائلي، وبصفة خاصة في ظل الزراعة التقليدية التي لا تعتمد على استخدام الأساليب التكنولوجية الحديثة ليس له تأثير على خفض خصوبتها، بعكس العمل في مجالات النشاط الاقتصادي الأخرى، حيث لا يسهم عملها في مجال النشاط الزراعي العائلي في رفع مكانتها الاجتماعية، أو توليد اهتمامات لديها محبذو لتفضيل الأسرة الصغيرة.

٣- مهنة الزوج

دلت نتائج بعض الدراسات على وجود علاقة بين مهنة الزوج والسلوك الإيجابي نتيجة لارتباط بعض المهن بقيم واتجاهات معينة، وتشير بعض الدراسات إلى وجود ارتفاع نسبي في الخصوبة بين المزارعين، وإلى أن نسبة ممارسة أساليب تنظيم الأسرة أقل بين أسر المزارعين منها بين أسر غير المزارعين، ويعتقد البعض أن أسباب هذا الاختلاف يرجع ولو جزئياً إلى طبيعة مهنة الزراعة، فالزراعة في رأيهم تحتاج إلى أيدى عاملة كثيرة نسبياً بمقارنتها بالمهن الأخرى، وأنها تتيح

فرص العمل لأفراد الأسرة على اختلاف أعمارهم ذكوراً وإناثاً، فالمزارع قد يشعر بأن إضافة أى طفل جديد إلى الأسرة يعنى إضافة يد عاملة جديدة تخفف عن الأسرة بعض أعباء العمل المزرعى والمنزلى خصوصاً فى ظل الزراعة التقليدية التى تعتمد فى أداء معظم عملياتها على القوى البشرية، هذا فضلاً عما يعنيه أبناء الزراع من الناحية الاقتصادية لأبائهم فهم مصدر دخل فى حالة عملهم لدى الغير، ومصدر تأمين فى المستقبل للأباء فى حالة المرض أو العجز أو الشيخوخة، خاصة وأن طائفة الزراع ليس لديهم وسائل التأمين الاقتصادى ما هو متوافر عادة لدى الطوائف غير الزراعية كالمعاشات أو مكافآت نهاية الخدمة أو غير ذلك.

٤- المستوى الاقتصادى للأسرة:

أوضحت كثير من الدراسات أن هناك علاقة عكسية بين مقدار دخل الأسرة وارتفاع مستواها الاقتصادى عموماً من جهة وعدد ما تتجبه من أطفال من جهة أخرى، فمن الملاحظ أن الأسرة ذات مستوى المعيشة العالى لا تتجيب عادة إلا عدداً قليلاً من الأطفال، بينما تتجيب الأسر ذات الدخل المحدودة ومستوى المعيشة المنخفض عدداً أكبر منهم.

ويعزو بعض المحللين تباين الخصوبة بين الطبقات المتباينة فى الدخل إلى اختلاف اتجاهات وميول كل طبقة، فالطبقات ذات الدخل العالى يكون لديها شعور قوى بالأمن الاقتصادى، وبذلك فهى ليست فى حاجة إلى إنجاب عدد كبير من الأطفال حتى يكونوا مصدر دخل للأسرة، أو وسيلة لتأمين الأبناء اقتصادياً عند العجز أو الكبر، كما أنها غالباً ما تكون أكثر حرصاً على المحافظة على مستوى المعيشة العالى الذى درجت عليه، وأكثر دأباً على العمل من أجل توفير ما يكفل استمرار هذا المستوى إن تجسّنه، وفى سبيل ذلك قد تنظر إلى إنجاب عدد كبير من الأطفال على أنه يعنى مستوى معيشة أقل لهم، وتقسيم الثروة على عدد كبير من

الأطفال مستقبلاً يقلل من احتمال توفير المستوى المعيشى العالى الذى يطمح إليه الآباء وإلى عادة ما يود الآباء ألا يقل عن المستوى الذى ألفوه.

وهناك من يعزو انخفاض الخصوبة بين الطبقات ذات الدخل العالى وارتفاعها بين الطبقات الفقيرة إلى قدرة الطبقات الغنية على تحمل تكاليف خدمات تنظيم الأسرة غير أن انتشار هذه الخدمات بتكاليف رمزية فى معظم المناطق الريفية الحضرية يقلل من أهمية عامل التكاليف، ويبدو أن العوامل الأكثر تأثيراً على مدى الإقبال على تنظيم الأسرة هو اتجاهات السكان فى الطبقات والمستويات المعيشية المختلفة، وما يرتبط بها من اختلافات فى المستويات الثقافية والاجتماعية بما فى ذلك القيم والتقاليد التى تشكل الاتجاه نحو تنظيم النسل وحجم الأسرة المرغوب.

٥- العمر عند الزواج

اتفقت نتائج كثير من الدراسات على وجود علاقة عكسية بين العمر عند الزواج والخصوبة حيث أن انخفاض العمر عند الزواج يؤدي إلى إطالة فترة الخصوبة، وبالتالي ارتفاع عدد الأطفال المحتمل إنجابهم.

ويرى بعض المحللين أن الزواج المبكر للفرد فى الريف من الأسباب المساعدة على زيادة النسل، ليس بسبب طول فترة الخصوبة فقط، ولكن أيضاً لأن الزوجة الصغيرة قد يضعف تأثيرها فى عملية اتخاذ القرارات السرية، ومنها تلك المتعلقة بتنظيم النسل خاصة فى وجود ضغوط اجتماعية عليها من جانب أقارب الزوج، الذين عادة ما يقيمون معها فى ظل الأسرة الممتدة، فالزواج المبكر للفتاة الريفية يعد من العوامل المسنولة عن انخفاض المكانة الاجتماعية للمرأة الريفية، وما زال الزواج المبكر شائعاً فى مصر عامة، وفى الريف خاصة.

ولقد أثار موضوع الزواج المبكر للفتاة تعليقات كثيرة من المحللين فهم يبرزون أن الفتاة الريفية كثيراً ما يكون زواجها قبل اكتمال نضجها الجسماني، ومع ذلك فهي تجهد نفسها بأعمال شاقة، فمن إنجاب الأطفال الكثيرين لمساعدة زوجها في الحقل وتدعيم وضعها ومركزها الأسري، إلى القيام بشئون منزلها المتعددة، مما كان سبباً في أن تبدو في الشيخوخة بينما هي لا تزال في عمر الشباب وقد ذكر بعض المحللين أن ذلك كان من ضمن الأسباب التي تجعل الأزواج الريفيين يميلون للزواج بأخرى شابة، كذلك فإن عدم حصول الفتاة الريفية على قط من التعليم، وقلة اختلاطها بالناس وعدم التحدث أمامها عن شئون الحياة أو الأسرة فيما عدا توجيه النصائح لطاعة الزوج واحترامه، بالإضافة إلى كثرة الحمل، وسوء التغذية يؤدي إلى ضعف المرأة، وانعدام شخصيتها، ويقصر وظائفها على إنجاب الأطفال وخدمتهم وخدمة زوجها، مما يدعم وضعها التقليدي.

٦- صلة القرابة بين الزوجين:

تسهم صلة القرابة بين الزوجين في تشكيل العلاقة بينهما. وقد يكون لهذه الصلة علاقة غير مباشرة على الخصوبة، فمن ناحية قد يؤدي زواج الأقارب إلى زيادة الاتجاه نحو تنظيم الأسرة وخفض الخصوبة نتيجة لشعور الزوجة بالأمان نسبياً، وأن زواجها لن يتهدد لعدم إنجابها أو اقتصار إنجابها على البنات، إلا أنه من الناحية الأخرى - هذا هو المرجح - فإن زواج الأقارب قد يؤدي إلى رفع الخصوبة لارتباطه غالباً ببعض العوامل المؤثرة على الخصوبة مثل الزواج المبكر والمعيشة في أسرة ممتدة، إذ أن الزواج المبكر والمعيشة في أسرة ممتدة المرجح أن يكونا أكثر انتشاراً في الأسر التي يوجد بها صلة قرابة بين الزوجين، ومن المعتقد أن هذين العاملين يسهمان في رفع الخصوبة، وقد بينت نتائج دراسة عن الاختلافات في العمر عند الزواج أن الفتيات اللاتي يتزوجن من أقاربهن عادة ما يتزوجن في عمر أصغر من الفتيات اللاتي يتزوجن من خارج نطاق العائلة مما يؤدي إلى إطالة فترة الخصوبة وبالتالي يزيد من احتمال إنجاب عدد أكبر من الأطفال.

٧- وفیات الأطفال

لاحظ بعض الباحثين أن خصوبة المرأة تتأثر إذا مورت بتجربة وفاة طفل لها أو أكثر، حيث أن موت طفل رضيع يقلل من الفترات بين الحمل، بالإضافة إلى أنه يؤثر على العدد الكلى للأطفال المولودين أحياء للمرأة كرد فعل تعويضى تأمينى مبالغ فيه، بحيث أن فقد طفل قد لا يودى إلى تعويضه بإنجاب طفل بديل، ولكنه يشجع على إنجاب أكثر من طفل لضمان تعويضه بإنجاب طفل بديل، ولكنه يشجع على إنجاب أكثر من طفل لضمان تحقيق الحد الأدنى المرغوب فيه من عدد لأطفال، وبذلك يودى فقد الأطفال إلى زيادة حجم الأسرة وتزيد نتائج كثير من الدراسات الملاحظات السابقة من حيث وجود علاقة موجبة بين وفیات الأطفال سواء الرضع أو غير الرضع والخصوبة.

٨- مدة الزواج

لا يمكن الحكم الدقيق على السلوك الإنجابى للأفراد سواء من حيث اتجاههم نحو تنظيم الأسرة أو من حيث معدلات الخصوبة دون الأخذ فى الاعتبار مدة الزواج، حيث أنها هى التى تحدد العدد الذى يمكن عند الرغبة فى عدم التنظيم، وهى التى تسمح بإنجاب العدد المرغوب فيه من الأبناء. وقد دلت نتائج بعض الدراسات على وجود علاقة مغزوية موجبة بين مدة الزواج ومتوسط عدد الأبناء المولودين أحياء. وكثير من المحللين الذين يعتبرون الزواج المبكر أحد أسباب ارتفاع الخصوبة يرجعون ذلك فى المقام الأول إلى أنه يطول من فترة الخصوبة، وبالتالي يزيد من احتمال إنجاب عدد أكبر من الأطفال بافتراض ثبات العوامل الأخرى المؤثرة على الخصوبة.

٩- نوع الأسرة

يعتقد بعض المحللين الاجتماعيين أن نظام المعيشة فى أسرة ممتدة الشائع فى المناطق الريفية - الذى يتقلص باستمرار - يعتبر أحد الأسباب التى قد يعزى

إليها إرتفاع الخصوبة في الريف. ويرجع هذا إلى أنه في ظل نظام الأسرة الممتدة فإن الزوجة تتعرض إلى ضغوط اجتماعية من جانب والدتها وأقارب الزوج الذين يقيمون معها من أجل مزيد من الإنجاب، كما قد يرجع أيضاً إلى أنه في ظل المعيشة في أسرة ممتدة فإن مسئولية تربية الأبناء ورعايتهم قد لا تقع على كامل الزوجين مباشرة، إذ أن وجود الأجداد والأقارب بالأسرة قد ينقل مسئولية وعبء تربية الأبناء إليهم، مما قد يقلل من إحساس الآباء بعبء تربية الأطفال، وبالتالي تقل دوافعهم للحد من الإنجاب. وقد دلت نتائج إحدى الدراسات على أن معدلات الخصوبة أعلى في الأسرة الممتدة منا في الأسرة النووية، وأن التعليم كمتغير خافض للخصوبة يقل تأثيره عندما تعيش الزوجة في أسرة ممتدة.

١٠- مكانة المرأة الريفية

يفضل كثير من الريفيين الذكر على الأنثى، ويجعلونها أقل منه في الحقوق، ويضعونها في مكانة أقل منه منذ بداية نشأتها. وترجع المكانة المتدنية للمرأة الريفية إلى كثير من الأفكار التقليدية السائدة عن قصور طبيعة المرأة، ودورها في المجتمع والذي تؤكد عليه أجهزة التطبيع الاجتماعي المختلفة، وتعكسها أجهزة الإعلام، حيث تؤكد هذه الأفكار على أن الدور المعياري للمرأة خاصة الريفية هو دور التابعة الضعيفة أمام الرجل المسيطر القوي. ومن دواعي الأسف أن الوضع التقليدي الجائر للمرأة لريفية يعود في كثير من الأحيان إلى تصورات دينية خاطئة تراكت على مر العصور أدت إلى عدم التكافؤ بين الرجل والمرأة، وإهدار مبدأ المساواة بينهما، في حين أن الدين الإسلامي قد كرم المرأة كام وكزوجة وكأخت وأبنة وأعطاهما من الحقوق والواجبات ما لم تحظ به المرأة إلا في العصور الحديثة.

وترى سامية الساعاتي أن المرأة الريفية تستمد قوتها من ثلاث عناصر هي جاه، هلها أي عصبيتهم، وممتلكاتها مالا وعقارا، ونزيتها وبخاصة لذكور، ولا تتوفر هذه العناصر الثلاثة إلى في الطبقة الريفية المتميزة فقط، أما في الطبقة الفقيرة

التي تمثل السواد الأعظم من أهل الريف فإن قوة المرأة ومكانتها في الأسرة تتمثل فقط في كونها منجبة، وترتفع مكانتها بكثرة الإنجاب خاصة إنجاب الذكور. وقد دلت نتائج إحدى الدراسات على أن المجتمع الريفي يعطي أهمية للإنجاب والمرأة الولود عن المجتمع الحضري. كما أشارت نتائج دراسة أخرى إلى أنه يتم النظر إلى مكانة المرأة الريفية من خلال الإنجاب، لذلك فإن الريفيين يرون عقم الزوجة أمراً ميبها ويرفعون قيمة الزوجة الولود.

وفيما يتعلق بالعلاقة بين مكانة المرأة وسلوكها الإيجابي، فقد اتفقت كثير من الدراسات على أن ارتفاع مكانة المرأة في الأسرة من خلال تعليمها ووضعها الاجتماعي والاقتصادي يؤدي إلى خفض معدلات الخصوبة وزيادة استخدام وسائل تنظيم الأسرة.

١١ - عدد الأبناء المفضل

يؤثر عدد الأبناء المفضل لكل من الزوجين على سلوكها الإيجابي، فإذا كانت ظروف مواتية للإنجاب فسوف يستمر الزوجان في الإنجاب حتى الوصول إلى العدد المرغوب من الأبناء، وإذا كان العدد المرغوب فيه من الأطفال كبيراً فسوف يؤدي ذلك إلى ارتفاع الخصوبة مالم تتدخل عوامل أخرى. وقد أوضحت نتائج إحدى الدراسات في بعض المناطق الريفية أن أكثر من نصف أبواب الأسر يفضلون الخلفة الكبيرة العدد التي تزيد على ثلاثة أبناء، وإن عدد الأبناء في الأسر التي ترغب في عدد أكبر من الأطفال يزيد عنه في الأسر التي ترغب في عدد أقل، وأن كان قد لوحظ أن كثيراً من الأزواج الذين أوضحوا أنهم يفضلون الخلفة الصغيرة قد أنجبوا عدداً من الأطفال أكبر من المرغوب فيه. وقد أشارت نتائج بعض الدراسات إلى وجود إتساق بين الرغبة في الأسرة الصغيرة الحجم واستدام وسائل تنظيم الأسرة. وأوضحت نتائج دراسة أجريت في محافظة سوهاج أن ١٨٪

من الزوجات اللاتي لا يمارسن تنظيم الأسرة يرجعن السبب في ذلك إلى عدم إكتمال العدد المرغوب فيه من الأبناء.

ويرى بعض المحللين وجود علاقة طردية بين العدد لمفضل إنجاب من الأطفال وبين قيمة العزوة لدى الريفيين. حيث يعتبر خلف الأطفال موضوعاً للتفاخر عند الريفيين لأنهم سيكونون عزوة، ويزيدون من حجم الأسرة وتفرعها بالزواج والمصاهرة والاندماج في أسر أخرى. والاعتزاز بالعصبية مظهر من مظاهر التمسك بقيمة قديمة تمتد جذورها في أغوار المجتمع الإقطاعي القديم الذي عاش فيه الناس محرومين من كل ثقة في الإدارة الحكومية ومناصرتها للضعيف أمام ظلم القوى وطغيان المتحكم ونفوذ الإقطاعيين المطلق. فلا عجب إذن إذا كان الشخص يجد أمه وطمأنينه في حماية عزوته وعصبيته له ليس في حماية القانون وسلطته. ولاشك أن زوال النفوذ الإقطاعي، وقيام الدولة وأجهزتها بمسئولية حفظ الأمن، والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها مصر في العقود الأخيرة قد أضعفت من قيمة العصبية والعزوة في الريف، غير أنها ما زالت موجودة.

١٢ - النظر إلى الأولاد كمصدر دخل للأسرة

من معوقات تنظيم النسل أيضاً أن الأسر الزراعية والأسر الفقيرة بشكل عام تعتبر الأطفال رصيذاً اقتصادياً للأسرة، فالأطفال في الريف يستفاد بهم كأيدى عاملة في كثير من العمليات الزراعية، خاصة في ظل الزراعة لتقليدية التي لا تعتمد على الميكنة الحديثة. ومما زاد من أهمية الأطفال في العمل الزراعي هجرة الكثير من الأيدى العاملة الزراعية للعمل في الدول العربية أو ترك الزراعة إلى أعمال أخرى. وكما يستفاد من الأطفال لذكور في الأعمال الزراعية فإن الأطفال الإناث يساعدن أمهاتهن في الأعمال المنزلية وبعض الأعمال المزرعية أيضاً.

وبالإضافة إلى اعتبار الأطفال مصدراً للدخل فإن تكاليف وأعباء تربيتهم لا تكلف أبويهم عناء ومشقة، حيث لا يحرص الآباء بمعظم المناطق الريفية وكثير من المناطق الشعبية في الحضر على توفير سبل الرعاية اللائقة لأبنائهم من تعليم ورعاية صحية وترفيهية وأقامية وغيرها. وفي ظل نظام الأسرة الممتدة الذي لا يزال موجوداً في كثير من المناطق الريفية يلتقي الآباء كثيراً من مسئوليات تربية أبنائهم على أجدادهم وأقاربهم.

ولعل من أهم العوامل التي ساعدت على استغلال الأطفال كأيدى عاملة عدم اهتمام كثير من الآباء وبخاص في الريف بتعليم أولادهم نظراً لانخفاض قيمة التعليم من وجهة نظرهم، خاصة وأن غالبية الآباء والأمهات أميون، بالإضافة إلى التهاون في تطبيق قانون التعليم الإلزامي. كما أن سوء حالة المدارس، وانخفاض مستوى أداء العملية التعليمية، وعدم ملائمة كثير من مناهج الدراسة في الريف للمتطلبات الوظيفية البيئية تسهم أيضاً في نظرة الآباء السلبية إلى التعليم. خلاصة القول، إذا كان الأطفال يعتبرون مصدراً للدخل، ولا يشكلون عبئاً على أسرهم التي لا تهتم بتوفير سبل الرعاية الكريمة لهم، فلم إذن يهددون إلى الحد من الإنجاب؟.

١٢- الرغبة في إنجاب الذكور

ترتفع قيمة خلف الذكور عند الريفيين على الرغم من أن كثيراً منهم لا يبرون عن ذلك صراحة. ويرجع ذلك إلى كون الذكور هم اليد العاملة، وهم مصدر طمأنينة الأسرة على ممتلكاتها، وتخليد أسمها، وحماية نسلها والدفاع عن شرفها. كما أنهم عامل كبير في تقوية العصبية واتساعها عن طريق النسب، وهم الذين يرعون الوالدين أثناء الكبر ويتكفلون بهما، بالإضافة إلى أن الريفيين يزرون أن تربية الذكور أسهل من تربية الإناث، حيث أن الذكر غالباً ما ترتد إليه تصرفاته مباشرة، فإذا أتى بسلوك منحرف فإن سلوكه في الغالب يعود عليه مباشرة، ولا يشين أسرته. كما يشينها أقل انحراف من الأنثى. ويعتبر الكثير خلف الأنثى هم لايفارهم حتى

تتزوج، وحتى زواجها لا يوضع حداً لقلق أهلها خاصة إذا لم تتجب وبالذات إذا لم تتجب ذكوراً، إذ يمكن أن تطلق، لذلك فإن تربية الأنثى مقرونة في الأذهان بالمشقة النفسية والقلق والتوتر، لذلك يتوق الريفيون إلى خلف الذكور.

وقد دلت كثير من الدراسات على أن تفضيل الذكور ما زال في المجتمع المصري بشقيه الريفي والحضري بغض النظر عن مكانة المرأة أو موقعها، وعلى أن هناك ارتباطاً بين حجم الأسرة وقيمة تفضيل الذكور، حيث تدل على أن الرغبة في إنجاب ذكر تعتبر أحد العوامل المسنولة عن كثرة المواليد في الأسرة المصرية وبصفة خاصة في الريف. وقد أظهرت نتائج إحدى الدراسات عن الدوافع المسببة لتنظيم الأسرة في مصر الدافعة لتنظيم الأسرة أقل لدى الأزواج الذين ليس لديهم أبناء ذكور إناث منها بين الذين لديهم ابن واحد على الأقل.

١٤ - الاعتقاد بأن تنظيم النسل حرام:

ثار جدل طويل حول نظرة الدين إلى موضوع تنظيم الأسرة حيث أنه يقوم على إتخاذ وسيلة لمنع الحمل، الأمر الذي قد ينظر إليه لبعض على أنه معارضة لإرادة الله وأنه يحول دون كثرة النرية التي يوصى بها الدين. فكيف يباح تنظيم الأسرة والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "تلكحوا تناسلوا فأتى مباه بكم الأمم يوم القيامة" ويتناسى هؤلاء أن رسول الله لا يفاخر بالكم وحده، وإنما يفاخر بالكم والكيف معاً، بل قد يكون الكيف أهم، حيث يقول الرسول ﷺ "المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف".

هذا ونص الفقهاء قديماً وحديثاً على بعض الأسباب التي تجيز للناس شرعاً استخدام وسائل تنظيم الأسرة، ومنها أن يكون الحمل والولادة ضلماً بصحة الأم أو مهدداً لحياتها بالخطر، والرغبة في المحافظة على جمال المرأة، ورغبة الزوج في التخفيف عن نفسه عبء المعيشة بالتقليل من النسل حتى لا يضطر إلى ارتياد موارد

السوء وكسب الحرام من أجل سد حاجات من يعولهم، وأن يكون للمرأة من الأعمال مالا تستطيع النهوض به مع الحمل فتتعرض لمشقة العمل والحمل معاً.

يتضح مما سبق أن الدين الإسلام لم يقف عائقاً في سبيل تنظيم النسل أو يتخذ موقف سلبياً منه، ومع ذلك فهناك بعض التحفظات والمشاعر المتضاربة بشأن تنظيم الأسرة نتيجة لسوء فهم موقف الدين من هذه المسألة، وقد يرجع هذا إلى قصور التوعية الدينية في هذه المسألة.

وقد سعت بعض الدراسات إلى اختيار العلاقة بين القيم الدينية وممارسة تنظيم الأسرة. وقد دلت نتائج هذه الدراسات على أن الدين كما يفهمه كثير من الريفيين يعتبر أحد العوامل الهامة في تكوين الاتجاه نحو تنظيم الأسرة، وأن ١٧% من الذين لا يمارسون تنظيم الأسرة تسهم المعتقدات الدينية في الحيلولة دون اقتناعهم بمبدأ تنظيم الأسرة كما تبين من خلاله دراسة أخرى عن اتجاهات الخصوبة في الريف المصري أن للمفاهيم الدينية أثر على ارتفاع معدلات الإجاب في الريف المصري. وقد دلت إحدى الدراسات التي أجريت على عينة من الأسر في محافظة سوهاج على أن أهم أسباب عدم ممارسة أساليب تنظيم الأسرة هو الاعتقاد بأن تنظيم الأسرة يتعارض مع تعاليم الدين وأن كل شئ يأمر الله، وأن حوالي ٣٥% من الزوجات لا يمارسن التنظيم لهذا السبب.

١٥ - التشكك في جدوى وسائل تنظيم الأسرة والتخوف من آثارها

يوجد لدى كثير من الريفيين اعتقاد بأن وسائل منع الحمل كالحبوب واللولب لا يمكن أن تمنع الحمل لأن ذلك يرتبط بإرادة الله، ويبررون ذلك بأن بعض من استعملن الحبوب أو تركيب اللولب، كما أن هناك اعتقاد شائع لدى غير الممارسات لتنظيم الأسرة بصفة خاصة بأن وسائل تنظيم الأسرة وبخاصة الحبوب تسبب ضرراً

للرأة كالعقم والضعف العام وهبوط القلب وزغلة العين والصداع والألم، وأن اللولب يحدث نزيفاً دائماً للمرأة الأمر الذى يودى إلى ضعفها أيضاً.

وقد دلت نتائج بعض الدراسات على أن الخوف من الآثار الجانبية لتلك الوسائل من أهم أسباب عدم ممارسة أساليب تنظيم الأسرة. وقد يرجع الخطأ فى استعمال هذه الوسائل إلى إرتفاع نسبة الاعتماد على الأقارب والمعارف فى الحصول على المعلومات لخاصة بتنظيم الأسرة.

١٦ - الوعى بالمشكلة السكانية

من المرجح أنه كلما زاد وعى الفرد وإدراكه لأبعاد المشكلة السكانية وما يترتب عليها من ضغط على المرافق والخدمات وما يودى إليه من انخفاض فى مستوى المعيشة كلما كان أكثر تبصراً لعواقب عدم تنظيم نسله. وعلى الرغم من أن تأثير هذا لعامل على الخصوبة لم يلق اهتماماً يذكر من جانب الباحثين، إلا أن الانخفاض النسبى لوعى الريفيين بأبعاد وآثار المشكلة السكانية نتيجة لارتفاع نسبة الأمية بينهم وانخفاض مستوياتهم التعليمية قد يكون أحد العوامل لمفسرة لارتفاع معدلات الخصوبة فى الريف عنها فى الحضر.

غير أنه ليس من المحتمل أن يدرك معظم السكان - وبخاصة الريفيون - المشكلة السكانية بأبعادها القومية المختلفة، وحتى إذا تسنى لهم ذلك فإنه لن يحرك دوافعهم بالدرجة الكافية، ولكن من المرجح أن ما يحرك استجابتهم هو إدراكهم واقتناعهم بالعوائد الإيجابية التى ستعود عليهم من جراء تنظيم نسلهم، وصغر حجم أسرهم، والجوانب السلبية والمشكلات التى ستواجههم نتيجة لكبر حجم أسرهم. فالمطلوب إذن تبنى سياسة لتنظيم الأسرة تستند إلى الترغيب والترهيب معاً. الترغيب فى الأسرة الصغيرة، والترهيب من الأسرة الكبيرة، مع العمل على تهيئة

لظروف الموضوعية المساعدة على مواجهة المعوقات القيمية وغير القيمية السابق
ايضاها لمساندة السياسة المقترحة.

١٧- المستوى التنموي للقرية

يرى بعض المحللين الاجتماعيين أن الدوافع للأسرة الكبيرة أو الصغيرة
تتأثر بخواص القرية، وأن متغيرات التحديث قد تلعب دوراً أكثر أهمية في تفسير
السلوك الديموجرافي من المتغيرات الثقافية، وأن تولد فرص اقتصادية غير زراعية
وتحديث لممارسات الزراعية يقلل من الاعتماد على الأطفال كقوة عمل ومصدر
للدخل، حيث تتيح الزراعة التقليدية فرصاً لعمل الأطفال مما لا يجعل من إنجاب
عدد كبير من الأطفال مشكلة، بل على العكس قد يكونون مصدراً لزيادة الدخل.
كذلك فإن توفر الفرص التعليمية للأطفال في القرية قد تساعد على توجيههم إلى
التعليم بدلاً من العمل، وبالتالي تقل قيمتهم الاقتصادية مما لا يشجع على مزيد من
الإنجاب. وبالإضافة إلى ذلك فإن توافر الخدمات الصحية، وتحسين نوعيتها،
وبصفة خاصة خدمات رعاية الأمومة والطفولة قد تساعد على خفض معدلات
وفيات الأطفال المعروف بارتباطها طردياً مع الخصوبة.

ومما لا شك فيه أن اضطراب عمليات التنمية الشاملة سوف يوفر مناخاً
ملائماً لخفض معدلات المواليد، وتشجيع عملية تنظيم الأسرة. وتوجد دلائل كثيرة
على أن الدول الأكثر تقدماً ينخفض بها معدلات المواليد. وهنا يتأكد رأي العيسوي
الذي يقول: "... الأمر ليس مجرد خدمات تنظيم الأسرة، وإنما الطلب عليها، وهو
لا يتولد إلا إذا توافر مناخ تنموي شمل للنواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية
مرات لخفض الخصوبة.

أهم العوامل المؤثرة فى خصوبة السكان

أولاً: عوامل تؤثر فى العلاقة الجنسية وتنقسم لقسمين:

(أ) عوامل تتحكم فى حدوث أو عدم حدوث الإخصاب فى فترة القدرة على الإجاب وتشمل:

- ١- سن الزواج.
- ٢- نسبة النساء اللاتى لم يسبق لهن الزواج.
- ٣- المدة التى تقضيها المرأة فى سن الإجاب خارج الحياة الزوجية بسبب الطلاق أو الترميل.

(ب) عوامل تؤثر فى العلاقة الجنسية أثناء الزواج، ومنها:

- ١- الإبالة التطوعية.
- ٢- الإبالة غير التطوعية والناجمة عن مرض أو انفصال مؤقت بين الزوجين لظروف خاصة.
- ٣- عدد مرات الاتصال الجنسى (فيما عدا فترات الإبالة)

ثانياً: عوامل تتحكم فى التعرض للحمل:

القدرة على الإجاب أو عدم القدرة عليه، نتيجة أسباب مقصودة أو غير مقصودة.

ثالثاً: عوامل تتحكم فى حياة الجنين

(أ) وفاة الجنين نتيجة أسباب غير مقصودة.

(ب) وفاة الجنين نتيجة أسباب مقصودة.

والعلاقة بين مستوى الخصوبة ودرجة التقدم الاقتصادى والاجتماعى تبدو من مقارنة معدل التكاثر الإجمالى ببعض المؤشرات الهامة، مثل:

١- نصيب الفرد من الدخل القومى ومن الطاقة المستهلكة.

٢- درجة التحضر العمرانى ونسبة الأمية لدى الإناث.

وقد أوضحت النتائج أن مستويات الخصوبة العالية تتمشى مع انخفاض درجة التقدم الاقتصادى الاجتماعى.

وقد حسب معامل الارتباط بين الخصوبة وهذه المؤشرات وتأكدت بموجبه العلاقة القوية بين الخصوبة وكل من هذه المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية ويمكن أن نربط هذه النتيجة ونظرية الانتقال الديموغرافى وتطبيقها فى إمكان التنبؤ باتجاهات الخصوبة ونمو السكان فى الدول النامية فى المستقبل. وتقوم هذه النظرية على أساس العلاقة بين المواليد والوفيات، وبات الارتفاع الملموس فى مستوى لخصوبة فى المجتمعات ما قبل الصناعية كان مرتبطاً بمستويات حضارية منخفضة، وكلما اتجهت هذه المجتمعات نحو التصنيع، فأنها تتجه نحو انخفاض الخصوبة.

والخصوبة تتأثر فى مستواها بالعوامل الوسيطة والتي تعد بدورها إنعكاساً للظروف البيئية والحضارية مثل التقاليد السائدة فى المجتمعات النامية والتركيب السرى بها.

ومن الواضح أن وسائل التحكم فى مستوى الخصوبة السائدة فى المجتمعات المتقدمة مثل تأخير من الزواج وعدم الزواج إطلاقاً، وكذلك استخدام وسائل منع الحمل - تعد عوامل أساسية وانخفاض معدل المواليد بهذه الدول.

ولكن هذه العوامل ليست سائدة بنفس الدرجة فى الدول النامية، مما يجعلها تعيش فى مرحلة الخصوبة الطبيعية. وإن استشعرت بعض الدول خطورة التضخم السكانى على خطط التنمية بها وما يلقى من أعباء على كاهل المجتمع خاصة فى توفير الغذاء والخدمات وكذلك رفع مستوى العيش للسكان.

الوفيات ومقاييس الوفاة

تعد الوفيات عنصر هام من عناصر تغير السكان، حيث تفوق في أثرها عامل الهجرة، وإن كانت الخصوبة تسبقها وتتناقص مع الخصوبة في أنها أكثر ثباتاً. ويمكن التحكم في مستواها. وترتبط الوفيات بمستوى التعمر، وقد شهدت معظم دول العالم إنخفاضاً في مستوى الوفاة بين سكانها بسبب التقدم الطبي، ويعد انخفاض الوفيات السبب الرئيسي في ظاهرة الانفجار السكاني والتي تعد أهم ملامح التاريخ البشري الحديث وخاصة في الدول النامية، حيث يمثل تحدياً ضخماً لمواردها.

تعتمد كثير من دراسات الوفيات حسب العمر والنوع وعلى ما يعرف بجدول الحياة. وتعتمد دقة هذا الجدول على دقة الإحصاءات الحيوية والتعدادات السكانية، ومن ثم فإنه من السهل إنشاؤها في الدول المتقدمة، وبالرغم من ذلك فإن جانباً كبيراً من تحليل الوفاة يتم دون الرجوع إليها بمقاييس الوفاة.

$$١- \text{معدل الوفيات الخام} = \frac{\text{عدد الوفيات المسجلة خلال سنة ميلادية}}{\text{عدد السكان الكلي في منتصف السنة}} \times ١٠٠٠$$

أبرز عيوبه المزج بين مجموعات سكانية كثيرة تختلف الوفيات فيما بينها إختلافاً واضحاً، حيث يمزج هذه العناصر دون تمييز ومن أهم عيوبه أنه يبين مستوى الوفاة لمجتمع بأكمله في سنة ما.

٢- معدل الوفيات حسب العمر:

معدل خاص بكل فئة عمرية، حيث ينسب عدد الوفيات التي حدثت في كل فئة إلى جملة السكان في نفس الفئة مضروباً في ١٠٠٠، وتتأثر الوفاة بعامل السن

والنوع، وقد تنقسم معدلات الوفيات العمرية هذه إلى أربع فترات من فترات التوزيع وهي: فترة الرضاعة وفترة الطفولة وفترة العمل والاتجاب هم الكهولة والشيخوخة.

٣- معدل وفيات الرضع:

نحصل عليه بقسمة عدد وفيات الأطفال الذي تقل أعمارهم عن سنة على مجموع عدد الوفيات أحياء خلال نفس السنة مضروباً في ١٠٠٠ وهو يعكس ما تقدمه الدولة من خدمات صحية لمواطنيها وصيغته كالآتي:

$$\text{معدل وفيات الرضع} = \frac{\text{عدد حالات الوفاة للأطفال أقل من سنة}}{\text{مجموع عدد المواليد الأحياء في نفس السنة}} \times 1000$$

٤- معدل الوفيات حسب السبب

وهو يبين مستوى الصحة العامة والأمراض السائدة وصيغة المعدل كالآتي:

$$\text{معدل الوفيات الناتجة عن سبب ما في سنة معينة} = \frac{\text{عدد الوفيات الناتجة عن سبب ما في سنة معينة}}{\text{جملة عدد السكان في منتصف السنة}} \times 1000$$

وتتأثر بيانات أسباب الوفاة بتفاوت المهارات الطبية والتوزيع الجغرافي للخدمات الطبية.

٥- معدلات الوفيات حسب المهنة والحالة الاجتماعية والاقتصادية:

$$\text{معدل الوفيات في مهنة معينة في سنة ما} = \frac{\text{عدد الوفيات في مهنة معينة في سنة ما}}{\text{عدد السكان في نفس المهنة ونفس السنة}} \times 1000$$

ترجع أهمية معدل الوفيات المهني لتحديد مخاطر الوفاة المرتبطة بالمهن المتعددة التي يشملها النشاط الاقتصادي في المجتمع. وتبدو الفوارق العرقية من السمات الهامة لمظاهره.

ومن الواضح أن معدلات الوفيات مرتبطة بتباين التركيب العمري والنوعى، كذلك تعد الفوارق الحضرية الريفية ظاهرة هامة فى اختلاف مستويات الوفيات. ويبدو ذلك بوضوح فى الدول النامية التى يقل فيها معدل الوفيات فى الحضر عنه فى الريف ومع ذلك فليست هذه هى القاعدة العامة فى تباين الوفيات الحضرى الريفى لأن التناقض بينهما يكون كبيراً فقط فى وفيات الأطفال الرضع.

تقارب معدلات الوفيات فى الدول المتقدمة والدول النامية

شهد العالم انخفاضاً كبيراً فى معدلات الوفيات بعد الحرب العالمية الثانية، بالأخص فى الدول النامية اقتصادياً، وكان من العوامل التى ساعدت على ذلك التعاون الدولى لتوفير الخدمات الصحية، التقدم الكبير فى الوسائل الوقائية والعلاجية للأمراض المعدية والأمراض الصدرية، والتقدم الاقتصادى وارتفاع مستوى المعيشة وتوفير المال للبرامج الصحية. ونتيجة لذلك فقد أصبح انخفاض معدل الوفيات الذى كان من صفات الدول المتقدمة فى متناول عدد كبير من الدول النامية، وازمحتلت الفجوة بين الدول المتقدمة والنامية فى الفترة ٨٥ - ١٩٩٠ حيث بلغ هذا المتوسط حوالى ٩ فى الألف.

ولا يمكن تفسير التقارب بين معدل الوفيات فى الدول المتقدمة والدول النامية على أساس تقارب مستوى الرعاية الصحية فى كل منهما، فهذا غير صحيح، فمن المؤكد أن حجم ومستوى الرعاية الصحية فى الدول المتقدمة أفضل كثيراً مما هو عليه الحال فى الدول النامية، غير أن تحسن مستوى الخدمات الصحية وارتفاع مستوى المعيشة فى الدول المتقدمة فى أدى إلى لارتفاع متوسط الأعمار فى تلك الدول، وإلى ارتفاع نسبة كبار السن بها، ومن الطبيعى أن يكون معدل الوفيات بين كبار السن أعلى منه بين صغار السن الذين يشكلون نسبة عالية من سكان الدول النامية.

إنجاء معدلات الوفيات في مصر

شهد معدل الوفيات الخام اتخفاضاً ملحوظاً خلال النصف الثاني من القرن العشرين، حيث انخفض من ١٦,٩ في الألف ١٩٦٠ إلى ٦,٨ في الألف فقط في ١٩٩٧. ويعتبر معدل الوفيات هذا أقل من متوسط معدلات الوفيات في الدول النامية والدول المتقدمة على السواء، حيث بلغ هذا المتوسط ١٠ في الألف في الدول المتقدمة، ٩ في الألف في الدول النامية، و ٩ في الألف على مستوى العالم في ١٩٩١.

أمد الحياة

كان لاستمرار إنخفاض معدل الوفيات وخاصة في الأعمار المبكرة أثره الواضح في إرتفاع متوسط طول عمر الفرد، مما أدى لتزايد عدد السكان الذي يصلوا لأعمار متقدمة فوق لستين أو الخامسة والستين.

ويقاس أمد الحياة باستخدام أساليب إحصائية تعتمد على جدول الحياة وهو عبارة عن عدد السنوات التي يتوقع أن يعيشها الفرد في أى سن معلومة، وتوقع الحياة يكون بالنسبة للإناث أكبر منه كثيراً بالنسبة للذكور في كل الفئات العمرية، وذلك لما تتصف به الإناث من إمكانية البقاء على قيد الحياة لفترة أطول منها عند الذكور ويعتبر ذلك إلى حد بعيد الزيادة الكبيرة في عدد الأراامل من الإناث عنها في الذكور وذلك في المراحل المتأخرة من العمر.

ويرجع الإرتفاع في متوسط أمد الحياة لمجموعة من العوامل أبرزها التقدم السريع الذي أحرزته البشرية وخاصة فيما بعد الحرب العالمية الثانية في مجال مقاومة الأمراض خاصة المعدية، فيما يعرف بالمضادات الحيوية.

وتختلف دول العالم فى أمد لحياة لسكانها إختلافاً كبيراً مثل إختلافها فى كثير من المقاييس الحيوية الأخرى ويمكن تقسيم هذه الدول إلى ثلاث مجموعات رئيسية حسب توقع الحياة عند المولد.

(١) المجموعة الأولى: يقل بها أمد الحياة عن ٤٥ سنة وتشمل دول إفريقيا المدارية.

(٢) المجموعة الثانية: يتراوح متوسط أمد الحياة بها بين ٤٥ - ٦٥ وتشمل الغالبية العظمى من الدول النامية فى أمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا وأفريقيا.

(٣) المجموعة الثالثة: يزيد أمد الحياة بدولها عن ٦٥ سنة وتشمل الدول المتقدمة فى العالم سواء فى أوروبا أو أمريكا الشمالية أو أمريكا اللاتينية، وهذه الدول المتقدمة حققت تقدماً كبيراً فى العقود الأخيرة وبين هذه الدول من يربو أمد الحياة فيها على ٧٠ سنة، مثل كندا والولايات المتحدة.

وعموماً كلما ارتفع عدد السنوات التى يتوقع أن يعيشها الطفل المولود حديثاً كلما دل ذلك على تحسن المستوى الصحى فى المجتمع. وفى مصر بلغ العمر المتوقع عند الميلاد ٦٧,١ سنة للذكور، مقابل ٧١,٥ سنة للإناث وذلك فى عام ٢٠٠١.

النمو السكاني

يعد النمو السكاني في العالم أبرز الظواهر الديموغرافية المميزة في العصر الحديث، حيث يمثل تحدياً هاماً للبشرية، خاصة بالنسبة للشعوب النامية، ويرتبط نمو السكان بالزيادة الطبيعية وهي الفرق بين المواليد والوفيات دون أن تدخل الهجرة في حسابها، ولذلك فإن دراسة النمو السكاني القائم على أساس الزيادة الطبيعية في بلد ما، يسهم في تحديد المدة التي يستغرقها هذا البلد في الوصول لحجم معلوم إذا استمرت المعدلات بنفس مستواها.

وتعتمد دراسة النمو السكاني على معدل النمو السكاني وهي أساس الدراسة، ودرجة التغير في حجم السكان في إقليم ما في فترة زمنية محددة، ويحسب بطريقتين إحداهما هي حساب الفرق بين أعداد السكان في تعدادين مختلفين، والأخرى هي تقدير معدل التغير من سجلات المواليد والوفيات والهجرة.

والطريقة الأولى التي تعتمد على جملة عدد السكان في تعدادين مختلفين، هي الطريقة الشائعة لحساب معدل تغير السكان في المجتمع، ويمكن الحصول على هذا المعدل باستخدام طريقتي المتواليين العددية والهندسية.

الضوابط البيئية للنمو السكاني

ارتبط ارتفاع مستوى الوفيات بعدد من العوامل البيئية التي كانت ضابطة للنمو ومتحركة في حركته بدرجة كبيرة، وأبرز هذه العوامل:

المجاعات التى كانت تتعرض لها أقاليم كبيرة من العالم القديم، ثم الأمراض الوبائية التى كانت قوة الإنسان وقدراته عاجزة عن مقاومتها، وأخيراً الحروب بين المجتمعات.

(أ) المجاعات:

لم تسلم قارات العالم القديم من المجاعات بسبب الكوارث الطبيعية، مثل الفيضانات ونقص الأمطار وترتب على كل ذلك تناقص كبير فى عدد السكان.

ومن أبرز المجاعات التى شهدتها أوروبا فى العصر الحديث تلك التى تعرضت لها أيرلنده فيما بين سنتى ١٨٤٦ - ١٨٥١، وكانت هذه المجاعات من المؤثرات الهامة فى تحديد نمو السكان فى الأقاليم المختلفة فى العالم، وبالإضافة إلى الجفاف كعامل خلاف فقد تعرض شمال غرب الصين لفيضانات نهر اليانجسى وأدى ذلك لحدوث مجاعات، وقد شهدت الهند مجاعات ضخمة فى سنوات متتالية مثلما حدث فى سنتى ١٨٠٣ - ١٨٠٤ وفى ١٨٣٧ - ١٨٣٨ وكان ضحاياها بالملايين، مما أثر تأثيراً كبيراً على نمو السكان بالهند.

ولم تسلم مصر فى تاريخها السكانى من المجاعات والأوبئة التى كانت عنصراً هاماً من عنصر الوفيات وارتبطت المجاعات بانخفاض منسوب مياه النيل وعجزها عن الوفاء باحتياجات الزراعة فى البلاد ومن أمثالى ذلك الشدة المستتصية.

(ب) الأمراض الوبائية:

من أبرزها التيفود والجدرى والسل والحصبة والسعال الديكى والحمى القرمزية والدفتيريا التى كانت كلها تؤدى بنسبة ليست صغيرة من السكان.

وقد شهد العالم بعض الأوبئة التي كان لها أثر كبير على نمو سكانه، ومن أشهرها الموت الأسود أو مرض الطاعون الذي انتشر في الفترة ١٣٤٨ - ١٣٥٠ في قارة أوروبا. وفي العصر الحديث شهد العالم إنتشار وباء الإنفلونزا في سنتي ١٩١٨ - ١٩١٩ والذي أثر في كثير من الدول.

(ج) الحروب:

كانت الحروب لها أثر في تأخير نمو السكان في مرحلة ما قبل الثورة الصناعية في المجتمعات القبلية وليست هناك تقديرات عن خسائر الحروب في البشر على إمتداد التاريخ، وكانت الخسائر العسكرية في الحرب العلمية الأولى كبيرة بسبب ضخامة القوات المحاربة.

وكانت أكبر الخسائر في الحرب من نصيب روسيا، حيث يقدرها البعض بحوالي مليوني نسمة خسائر مباشرة باستثناء المدنيين، والنقص في المواليد، وقد انعكس ذلك على انخفاض معدل النمو السكاني في روسيا، وساعد على ذلك أيضاً الحرب الأهلية ثم المجاعة ١٩١٨ - ١٩٢٢ وانتشار الطاعون.

وفي الحرب العالمية الثانية تعرضت أوروبا لخسائر بشرية كبيرة ومن بين كل الدول كان الإتحاد السوفيتي أكثرها خسارة بشرية كبيرة ومن بين كل الدول كان الإتحاد السوفيتي أكثرها خسارة بشرية إذ يقدر جملة خسائره في هذه الحروب ٣٧,٥ مليون نسمة، منها ٧ مليون خسائر عسكرية، و ١٨,٥ مليون خسائر مدنية، ١٠,٩ مليون خسائر ناتجة عن النقص في المواليد، و ١,٣ مليون خسائر عن الهجرة المغادرة، وبالإضافة إلى هاتين الحربين فقد شهدت مناطق أخرى من العالم حروباً إقليمية أودت بالعديد من أرواح أبناءها.

عوامل النمو السكاني في العصر الحديث

- ١- الثورة الزراعية في وسائل وأساليب الإنتاج.
- ٢- الانقلاب الصناعي في القرن ١٨ وما صاحبه من زيادة في الإنتاج وتطور وسائل النقل واختراع الآلة البخارية سنة ١٦٩٨ واستخدام البخار في السكك الحديدية والسفن، وقد ساعد التحسين في فنون النقل على فتح أراضي جديدة شاسعة وما ترتب على ذلك من هجرة.
- ٣- الاستقرار السياسى النسبى من العوامل الهامة التى أدت لتزايد سكان الغرب زيادة سكانية رهيبه.

وقد بدأت معدلات المواليد في دول شمال وغرب أوروبا في الهبوط منذ سنة ١٨٥٠ بسبب الأمراض الوبائية، ومعنى ذلك أن الطفرة السكانية في العصر الحديث نتجت عن الزيادة الطبيعية الكبيرة والتي نتجت بدورها عن انخفاض معدل الوفيات مع بقاء معدلات المواليد ثابتة.

وقد بدأ الانخفاض الواضح في معدلات الوفيات في دول شمال أوروبا في وقت مبكر من القرن ١٩ واستمر هذا الانخفاض بدرجة ملحوظة في أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا، ولكن في العقود الأخيرة أصبحت القارات تعاني من نمو السكان السريع. والواقع أن الدول الأوروبية لم تشهد في تاريخها معدلاً للنمو السكانى كالذى تشهده حالياً كثير من الدول النامية.

ونظراً لتباين معدلات المواليد والوفيات بين مناطق العالم الجغرافية فإنها تختلف كذلك في معدلات نمو السكان بها، ويمكن تقسيم العالم إلى نطاقين كبيرين، أحدهما يتمثل في الدول المتقدمة في أوروبا وأمريكا الشمالية والاتحاد السوفيتى،

حيث ينخفض معدل النمو السكاني بها، والنطاق الآخر فيتمثل في القارات النامية، آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

مراحل النمو السكاني:

أدت دراسة النمو السكاني لمحاولة تقسيمه لمراحل رئيسية ديموغرافية تتميز كل منها بسمات خاصة معتمدة على تطور المواليد والوفيات وتعرف هذه النظرية بنظرية النمو الطبيعي للسكان أو بالنظرية الديموغرافية الانتقالية، وأقيمت على أساس تجارب بيولوجية معملية. وتعد نظرية الانتقال الديموغرافي من أبرز المظاهر المرتبطة بدراسة السكان، وربما حظيت باهتمام كبير يماثل الاهتمام الذي قوبلت به نظرية فالتوس من قبل وهي باختصار تمثل العلاقة بين معدل المواليد والوفيات وما تنتجه من مؤثرات ديموغرافية تنعكس على معدل النمو السكاني في المجتمع وهي تعتمد على عنصر الزمن لتحديد تطور منحنى النمو.

١- المرحلة الأولى:

تعرض بالمرحلة البدائية، تتميز بارتفاع معدل لمواليد والوفيات، ويتعرض السكان فيها لأوبئة ومجاعات ترفع معدل الوفيات إلى أرقام كبيرة وكذلك ترتفع بينها معدلات وفيات الأطفال الرضع.

وقد مرت كل شعوب العالم بها حتى القرن ١٧، ولكن قلت المجتمعات التي تتمثل فيها هذه المرحلة في العصر الحديث قلة واضحة وأصبحت مقصورة على بعض أجزاء وسط أفريقيا.

٢- المرحلة الثانية:

تعرف بمرحلة التزايد السكاني المبكر أو المرحلة الديموغرافية الشاب، وتتميز بالنمو المتزايد والسريع للسكان الناتج عن انخفاض معدل الوفيات مع

استمرار معدل المواليد مرتفعاً. ويتميز الهرم العمرى للسكان باتساع القاعدة أى ارتفاع نسبة الصغار وتعيش معظم دول العالم النامى فى هذه المرحلة، وقد دخل كثير من الدول تلك المرحلة منذ مقدار عقدين من الزمان.

ودول هذه المرحلة تعيش الآن مرحلة الانفجار السكانى الذى يعد من أبرز مشكلاتها المعاصرة، ويعد التطور التكنولوجى الكبير من أهم العوامل التى مكنت الدول من الدخول إلى المحطة الثانية - مرحلة الانفجار السكانى - حيث استطاعت بواسطته أن تسيطر على الأمراض الوبائية وأن تخفض من معدل الوفيات بها فى فترة قصيرة مع بقاء معدل المواليد مرتفعاً. ولذلك فإن ديناميكية الانفجار السكانى ترجع فى الأساس إلى الهبوط الكبير فى معدل الوفيات نتيجة السيطرة على أسبابها.

٣- المرحلة الثالثة:

تعرف بمرحلة التزايد السكانى المتأخر وهى المرحلة التى تعيشها الدول ذات الخصوبة المتوسطة. ويتميز النمو السكانى بأنه أقل من مستواه من المرحلة السابقة ذات التزايد المبكر، وفى هذه المرحلة توجد دول مثل الأرجنتين حيث يصل معدل النمو السكانى فيها ١,٥%، شيلي بمعدل ١,٩%، أوروغواى بمعدل ١,١%، كذلك دول الكاريبى. وفى هذه الدول يلعب تنظيم الأسرة دوراً هاماً فى خفض مستويات الخصوبة، وتعد هذه المرحلة أولى المراحل التى تضم سكاناً من سكان العالم المتقدم والعالم النامى معاً، ويشبه معدل النمو لديها معدل النمو العالمى فى الوقت الحاضر.

٤- المرحلة الرابعة:

هى المرحلة الأخيرة فى الدورة الديموغرافية وتشمل الدول التى وصلت إلى مرحلة الثبات والاستقرار الديموغرافيين. حيث إنخفض فيها معدل المواليد ومعدل

الوفيات إنخفاضاً ملحوظاً وبالتالي هبط معدل النمو السكاني بها إلى أدنى مستوياته في العالم اليوم، حيث يقل متوسطه من ٠,٦٪ سنوياً.

كانت هناك ثلاث دول يصل معدل النمو السكاني بها إلى درجة الصفر، وهي النمسا ولكسمبرج والسويد، وتعرضت ثلاث دول لنقص طبيعي هي الدنمارك والمجر وألمانيا الاتحادية، حيث وصل معدل النمو بها إلى -٠,٢٪.

تمثل اليابان نوعاً فريداً في العصر الحديث، حيث استطاعت أن تمر من المرحلة الثالثة إلى المرحلة الرابعة التي تعيشها حالياً في أقل من ٢٠ سنة، وذلك نتيجة سياسية حازمة لتخفيض معدل النمو السكاني بها، وهي تعد بذلك الدولة الآسيوية الوحيدة التي تعيش في المرحلة الرابعة.

وبالرغم من أنه يمكن التنبؤ بأن كثير من الدول ستصل إلى المرحلة الرابعة في النهاية إلا أن ذلك الانتقال المرحلي يرتبط بتغيرات جذرية بمعدلات المواليد والوفيات إلى المستوى المنخفض لساند في دول المرحلة الرابعة من الدورة الديموغرافية.

التركيب العمرى والنوعى للسكان

ويُقصد بالتركيب العمرى والنوعى للسكان توزيعهم وفقاً للجنس والعمر، ويعبر عن التكوين النوعى والعمرى للسكان فى المجتمع برسم بيانى يسمى بالهرم السكانى، يمثل المحور الرأسى فيه العمر، بينما يمثل المحور الأفقى فيه الفئات العمرية. وتعد دراسة التركيب العمرى والنوعى Age-Sex composition على قدر كبير من أهمية فى دراسة السكان، ذلك لأنها توضح الملامح الديموغرافية للمجتمع ذكوراً وإناثاً وتحدد الفئات المنتجة فهو التى يقع على عاتقها عبء إعالة باقى أفراد.

أولاً التركيب العمرى:

تعد بيانات السن كما أوردتها التعدادات السكانية المصدر الرئيسى لدراسة التركيب العمرى، وينقسم السكان إلى ثلاث فئات عمرية عريضة سواء كانت أرقاماً مطلقة أو نسباً مئوية من جملة السكان، وهذه الفئات هى:

١- صغار السن (صفر - ١٤ سنة)

وهذه الفئة تمثل قاعدة الهرم السكانى الذى سنشير عليه فيما بعد، وتتصف بانها غير منتجة، كما انها أكثر الفئات تأثراً بعاملى المواليد والوفيات، وذلك لأن الوفيات ترتفع نسبتها بين صغار السن.

٢- متوسطو السن (١٥ - ٦٤):

وهى الفئة المنتجة فى المجتمع - كما أنها الفئة التى تسهم فى نمو السكان وتعتمد عليها الفئتان الأخريان - هذه الفئة هى الأكثر قدرة على الحركة والهجرة، وفى الدول المتقدمة حيث تنخفض معدلات المواليد والوفيات.

نسبة الإعالة: Dependency Ratio

ترتبط نسبة الإعالة بالتركيب العمري للسكان، وتقوم على أساس أن كل فرد في المجتمع مستهلك، أما المنتجون فهم بعض أفرادهم فقط، فالقطر الذي تزيد فيه نسبة السكان المنتجين للسلع والخدمات أفضل حالاً من الناحية الاقتصادية من قطر تقل فيه هذه النسبة وذلك بإفترض تساوى الظروف الاجتماعية والديموغرافية الأخرى في القطرين.

وتتفق معظم الدراسات السكانية على اعتبار من تقل سنهم عن الخامسة عشر "محولين صغار" ومن تزيد أعمارهم على الستين "بالمحولين الكبار" أو المسنين أما قطاع السكان الباقي الذي يتراوح عمر أفرادهم بين ١٥ - ٦٥ سنة فيمثلون القطاع النشط اقتصادياً من السكان والذي تقع عليه عبء إعالة المجتمع. وتحسب نسبة إعالة الصغار بالصيغة التالية:

$$100 \times \frac{\text{عدد السكان أقل من ١٥ سنة}}{\text{عدد السكان في المدى العمري (١٥-٥٩)}}$$

وبنفس الطريقة تحسب نسبة إعالة الكبار على النحو التالي:

$$100 \times \frac{\text{عدد السكان ٦٥ سنة فأكثر}}{\text{عدد السكان في المدى العمري (١٥-٥٩)}}$$

ومن الحقائق الهامة الأخرى التي يمكن استنتاجها، أن العلاقة بين فئتي نسبة إعالة الصغار والكبار من ناحية، ونسبة الإعالة الكلية من ناحية أخرى ليست واحدة في كل الدول فيبدو كقاعدة عامة أن نسبة إعالة الصغار تفوق نسبة الكبار.

يبد أن نسبة الإعالة كقاعدة عامة - تعد نتاجاً للتركيب العمرى للسكان، كما أنها يمكن أن تكون مقياساً من مقاييس التفرقة بين الدول النامية والدول المتقدمة، ومن المفارقات العجيبة أن الدول النامية التى تبذل جهوداً ضخمة فى سبيل زيادة إنتاجها ورفع مستوى معيشتها هى الدول التى تعاني من زيادة عبء الإعالة الكلية.

ثانياً التركيب النوعى:

بالرغم من أن أعداد الذكور والإناث ليست متباينة تبايناً واسعاً فى المجتمعات المختلفة فإن دراسة التركيب النوعى هامة فى دراسة السكان، ويمكن حساب نسبة النوع Sex Ratio أو ما تسمى أحياناً بنسبة الذكور - على أساس قسمة عدد الذكور على عدد الإناث وضرب الناتج فى مائة.

وتتأثر نسبة النوع فى المجتمعات زيادة ونقصاناً ببعض العوامل التى أهمها:

- أ- الهجرة الوافدة أو المغادرة لكل من الذكور والإناث.
- ب- تباين معدل الوفيات بالنسبة لكلا النوعين فى الأعمال المختلفة.
- ج- الخطاء فى البيانات التى يشملها التعداد.
- د- الحروب التى تؤدى إلى زيادة كبيرة فى وفيات الذكور.

وقد إنعكست الصورة فى دول المهجر التى إستقبلت أعداداً كبيرة من الذكور تفوق أعداد الإناث حتى الحرب العالمية الأولى.

وفى كثير من الدول النامية ما زال الذكور يكوينون النسبة الأكبر من المهاجرين إلى المدن، ويبدو ذلك بوضوح فى الفئات العمرية الوسطى، وفى مصر مثلاً ترتفع نسبة الذكور على الإناث فى المدن الكبرى كالقاهرة والإسكندرية.

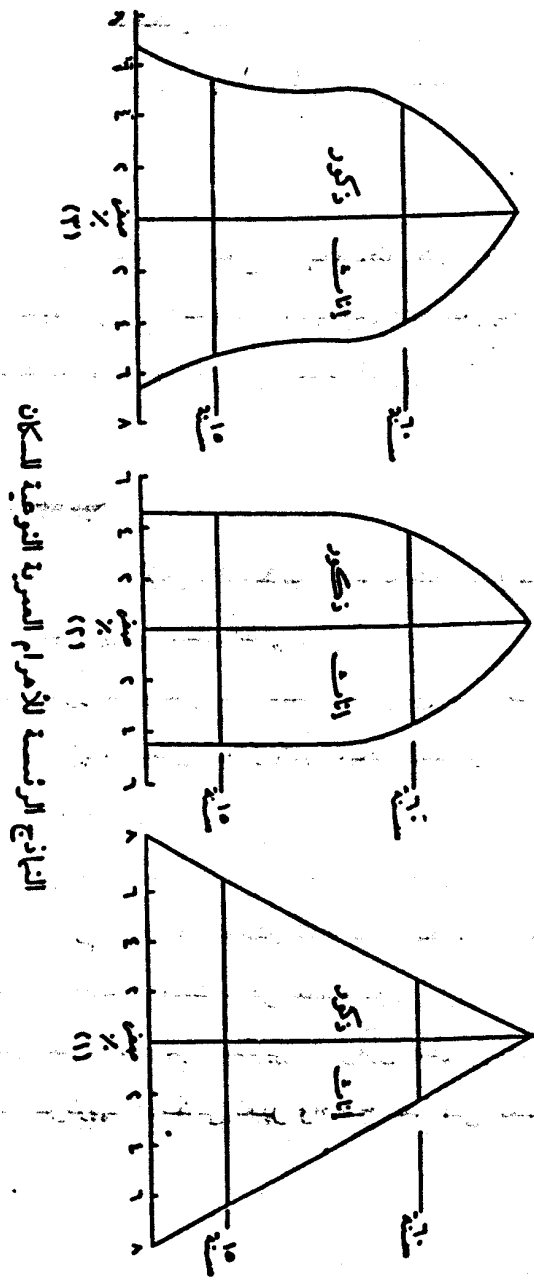
الهرم النوعى للسكان: Age-Sex Population Pyramid

يعد الهرم النوعى للسكان أسهل أنواع التمثيل البياني فهما لاختلافات التركيب العمرى النوعى بين المجموعات السكانية فى الدولة الواحدة أو بين الدول بعضها وبعض.

ويتأثر شكل الهرم السكانى بارتفاع أو إنخفاض كل من المواليد والوفيات والهجرة فى فترات سابقة ويبدو ذلك فى نسب كل فئة عمرية لمجموع السكان متناحية وعلاقتها بالفئات الأدنى والأعلى من ناحية أخرى.

تصنيف الأهرام السكانية:

- هناك ثلاث صور من الأهرام السكانية تكشف عن الجوانب الديموغرافية فى المجتمع، وهذه الصور يبينها الشكل التالى وهى:
- ١- الهرم ذو القاعدة العريضة والجوانب المنحدرة برفق نحو القمة، وهذا الهرم يمثل البلاد التى ينمو فيها السكان بمعدل كبير نتيجة إنخفاض وفيات الأطفال ولم تخفض من معدل المواليد لديها.
 - ٢- الهرم ذو القاعدة الضيقة والقمة المحدبة، وهو يشبه خلية نحل من الطراز القديم ويمثل البلاد التى تتميز بإنخفاض معدل المواليد وإنخفاض معدلات الوفيات، ويتمثل هذا النمط من الأهرام السكانية فى معظم دول أوروبا.
 - ٣- الهرم ذو القاعدة المتوسطة وهو وسط بين الهرمين القتي والمسن، ويتمثل فى الدول التى حدث لتركيبها السكانى تغير واضح كما هى الحال فى الولايات المتحدة وكندا.



التركيب الاقتصادي للسكان

تعد دراسة التركيب الاقتصادي من العناصر الهامة فى دراسة تركيب السكان فيمكن من خلال هذه الدراسة تحديد ملامح النشاط الاقتصادي وأهمية عناصره وارتباطها بظروف البيئة الجغرافية.

تعريف:

بالرغم من أن المفهوم الأساسى الذى يحدد النشاط الاقتصادي لا يختلف كثيراً من تعداد لآخر - فإن السكان ذوى النشاط الاقتصادي Economically Active Population يمكن تعريفهم بوجه "الأفراد الذين يشتركون فى تقديم العمل لإنتاج السلع الاقتصادية والخدمات"، وعلى ذلك فإن القوة البشرية فى المجتمع يمكن أن تنقسم إلى قسمين:

١ - لأفراد داخلون فى القوة العاملة:

وهم جميع الأفراد الذين يسهمون فعلاً بمجهودهم الجسماني أو العقلي فيان العمل يتصل بإنتاج السلع أو الخدمات سواء كانوا يعملون بأجر أو بدون أجر أو لحسابهم الخاص أو أصحاب أعمال.

٢ - الأفراد الخارجون عن القوة العاملة:

وهم الأفراد الذين يقومون بأعمال لا تسهم مباشرة فى إنتاج السلع والخدمات، وتشمل هذه الفئة ربوات البيوت والطلبة، كما يدخل فى عدادها غير القادرين على العمل مثل العجزة الذين لا يمكنهم أداء عمل مثير بسبب عاهة مقعدة أو مرض مزمن أو غير ذلك، كما يدخل فى عدادها الأطفال دون سنة السادسة، والمحاليين إلى المعاش وكبار السن الذين تزيد أعمارهم على الخامسة والستين ما دامو لا يمارسون عملاً مثمرًا.

ومحاولة للوصول إلى معدلات أكثر دقة من المعدل الخام فإن الأمر يتطلب معرفة نسبة العاملين إلى جملة السكان حسب كل فئة عمرية نوعية. العمالة والتركيب العمري:

يعتمد حجم القوة العاملة في المجتمع على العوامل الديموغرافية والاجتماعية وليس من شك في أن ذلك يرتبط بحجم السكان ككل، أن الصغار وكبار السن يقومون في الدول النامية بدور كبير في النشاط الاقتصادي بل أن الإناث يشتركن في ذلك حيث تتخفف بها أعباء الإعالة لإتخفاض مستوى الخصوبة وقلة عدد الأطفال الصغار (أقل من ١٥ سنة) وبالإضافة إلى ذلك فإن التعليم يكون إجبارياً فيها للسكان حتى سن معينة ومن ثم يكون كل الأطفال خلال هذه السن خارج نطاق القوة العاملة.

معدلات النشاط الاقتصادي للإناث:

من المعتاد في تعدادات السكان أن تصنف الإناث ضمن القوى العاملة طالما أنهن يمارسن عملاً خارج المنزل، ومع ذلك فإن هناك اختلافاً بين الدول لأن هناك بعض الدول تدخل الإناث معاملات في الزراعة ضمن قوة العمل والبعض الآخر يستثنيهن في ذلك.

ومعدلات النشاط الاقتصادي للإناث من سن ١٥ إلى سن ٢٥ سنة، ومن المعتاد في البلاد المتقدمة صناعياً أن تدخل أعداد كبيرة من الفتيات في القوة العاملة عندما يتجاوزن سن الخامسة عشرة.

ويتأثر دخول المرأة لسوق العمل بمجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية مرتبطة في ذلك بمدى مكانة المرأة في المجتمع ومستويات التعليم التي وصلت إليها والدور الذي تلعبه في النشاط الاقتصادي.

تصنيف النشاط الإقتصادي: Industry or Economic Activity

يعرف النشاط الإقتصادي في ثلاث مجموعات رئيسية كبرى هي:

- ١- مجموعة الأنشطة الأولية: Primary Group
وتشمل قطاع الزراعة والرى والغابات وصيد البر والبحر.
- ٢- مجموعة الأنشطة الثانوية: Secondary Group
وتشمل قطاع المناجم والمحاجر والصناعات التحويلية والبناء والتشييد.
- ٣- مجموعة الأنشطة الثالثة: Tertiary Group
وتشمل القطاعات الأخرى - أى الكهرباء والغاز والمياه والتجارة والنقل والمواصلات والخدمات وغيرها.

التركيب المهني Occupation

ويتحدد التركيب المهني في عشر مجموعات هو الآخر على النحو التالي:

- ١- أصحاب المهن الفنية والعلمية
 - ٢- المديرون.
 - ٣- المشتغلون بالعمال الكتابية.
 - ٤- المشتغلون بأعمال البيع
 - ٥- المشتغلون بأعمال الزراعة والصيد وقطع الأشجار.
 - ٦- المشتغلون بالمناجم والمحاجر.
 - ٧- المشتغلون بالنقل والمواصلات.
 - ٨- أصحاب الحرف والصناع والعمال والفعلة ومن إليهم.
 - ٩- المشتغلون بالخدمات الرياضية والترفيهية وغيرها.
 - ١٠- عمال غير مصنفين في حرف أخرى.
- وغالباً ما تتحدد هذه المهن الرئيسية المذكورة للأفراد الذين بلغوا من العمر ١٥ سنة فأكثر.

ووفقاً لتصنيف الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء للسكان الذين تبلغ أعمارهم ١٥ سنة فأكثر حسب أقسام المهن المختلفة في ١٩٩٦ فإن جملة عددهم

تبلغ حوالى ١٧,٢ مليون نسمة، منهم حوالى ١٤,٦ مليون من الذكور و ٢,٦ مليون من أنثى، وإن أكبر نسبة يعملون فى مجال الزراعة وتربية الحيوانات ٢٧,٢، تليها نسبة الحرفيين ١٤٪، الفنيون ومساعدو الأخصائيين ٩,١٪ ثم عمال المصانع ٦,٢٪ ثم كبار المسئولين والمديرين ٤,٣٪ وأخيراً عمال المهن العادية ٢,٤٪ كما هو موضح فى جدول (١).

جدول (١) التوزيع العددي والنسبي للسكان (١٥ سنة فأكثر) حسب المهنة فى ريف وحضر الجمهورية فى ١٩٩٦ (العدد بالآلاف)

القطاع		ريف		حضر		جملة	
المهنة		عدد	%	عدد	%	عدد	%
رجال التشريع وكبار المسئولين والمديرين		١٧٨	١,٩	٥١٦	٧,١	٧٣٩	٤,٣
الأخصائيون (أصحاب المهن العلمية)		٦٥٩	٧,١	١٤٢٢	١٧,٩	٢٠٨١	١٢,١
الفنيون ومساعدو الأخصائيين		٦٣٤	٦,٨	٩٣٢	١١,٧	١٥٦٦	٩,١
القائمون بالأعمال الكتابية ومن إليهم		٤٩٣	٥,٣	٦٣٢	٧,٩	١١٢٥	٦,٥
العاملون فى الخدمات ومجال البيع		٦٦٩	٧,٢	٧٩٢	٩,٩	١٤٦١	٨,٥
المزارعون وعمال الزراعة والعاملون بالصيد		٤١٨٢	٤٥,١	٥٠١	٦,٣	٤٦٨٣	٢٧,٢
الحرفيون ومن إليهم		٩٣١	١٠,١	١٤٧٩	١٨,٦	٢٤١٠	١٤,٠
عمال المصانع ومشغلو الماكينات		٤٦١	٥,٠	٦٠٩	٧,٧	١٠٦٩	٦,٢
عمال المهن العادية		١٥٦	١,٧	٢٦٤	٣,٣	٤٢٠	٢,٤
الذين لا يمكن تصنيفهم حسب المهنة		٩١٤	٩,٨	٧٦٤	٩,٦	١٦٧٨	٩,٧
الجملة		٩٢٧٧	١٠٠,٠	٧٩٥٥	١٠٠,٠	١٧٢٣٢	١٠٠,٠

المصدر: جمعت البيانات من الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء - الكتاب

الإحصائى السنوى ١٩٩٩. (جدول ١-١٥)

وبالنسبة للتوزيع المهني وفقاً للجنس يتبين أن أعلى نسبة من الذكور تمتحن الزراعة ٣٠,٦٪ يليها الحرفيون ١٦,١٪ ثم المهن العلمية ٩,٨٪ فالخدمات ٩,٢٪، أما بالنسبة للإناث فالنسبة الأكبر منهن يعملن في المهن العلمية ٢٤,٨٪، يليها الأعمال الكتابية ١٦,٦٪ ثم الفنية ١٦,١٪، ثم الزراعية ٨٪. (جدول ٢).

وعلى مستوى الريف يتبين أن ٤٥,١٪ من اصحاب المهن يعملون في الزراعة وتربية الحيوان وتبلغ النسبة للذكور ٤٨,٤٪ وللإناث ١٨,٩٪، ثم الحرفيون بنسبة ١٠,١٪ (١١٪ للذكور، ٢,٣٪ للإناث)، ثم الخدمات ٧,٢٪ (ذكور ٧,٧٪، إناث ١٢,٩٪) بينما في الحضر فإن النسبة الكبرى هي نسبة الحرفيين ١٨,٦٪ (٢٢,٧٪ للذكور، ٢,٢٪ للإناث)، ثم المهن العمية ١٧,٩٪ (١٤,٦٪ للذكور، ٣١٪ للإناث)، ثم الفنيون ١١,٧٪ (١٠٪ للذكور، ١٨,٧٪ للإناث).

من البيانات السابقة نستخلص ما يلي:

- ١- إن أكبر المهن من حيث عدد المشتغلين بها في ١٩٩٦ هي الزراعة وتربية الحيوان على مستوى الجمهورية (جدول ٣)
- ٢- إن أكبر المهن من حيث عدد الذكور العاملين بها هي الزراعة أيضاً (٣٠,٦٪)، ومن حيث عدد الإناث هي المهن العلمية، ثم الأعمال الكتابية.
- ٣- إن أكبر المهن من حيث عدد العاملين بها في الريف هي الزراعة والتي عمل بها ٤٥٪ من اصحاب المهن و ٤٨,٤٪ من جملة الذكور، ١٩٪ من جملة الإناث، أما في الحضر فإن أكبر مهنة هي الحرفيون والتي يعمل بها ١٨,٦٪ من اصحاب المهن في الحضر.
- ٤- من الواضح أن هناك عرقلة بين نوع المهنة والجنس فبينما يعمل غالبية الذكور في العمال التي تتطلب قوة عضلية كالزراعة والحرف، بينما غالبية الإناث يعملن في مهن لا تتطلب قوة عضلية أو مجهوداً بدنياً كالمهن العلمية والفنية والكتابية،

- وهو الأمر الذى يتفق مع طبيعة نظرة المجتمع للعمل الذى يتناسب مع المرأة وتؤكد عليه عمليات التطبيع الاجتماعى المتعلقة بأدوار كل من الذكر والأنثى.
- ٥- بينما يوجد تركيز كبير واضح للعمل فى مجال مهنى واحد هو الزراعة وتربية الحيوان فى الريف، فإنه لا يوجد مثل ذلك التركيز على مجال واحد فى الحضر، حيث يبدو أن الحضريين يعملون فى مهن أكثر تنوعاً، وأن التكوين المهنى فى الحضر أكثر تبايناً منه فى الريف.
- ٦- أن نسبة الممتهنين للزراعة فى الريف على الرغم من ارتفاعها الواضح كما يظهر من الأرقام السابقة، هى فى الواقع أكبر مما تظهره هذه الأرقام، إذا ما أخذ فى الحسبان أن معظم الذين يدخلون سوق العمل فى مرحلة مبكرة (أقل من ١٥ عاماً) يعملون بالزراعة، وأن أعداداً كبيرة من النساء الريفيات اللاتى يشاركن فى العمل الزراعى العائلى لا يصنفن ضمن قوة العمل كما سبق ذكره.

جدول (٢) التوزيع العددي والنسبي للسكان (١٥ سنة فأكثر) حسب المهنة في
ريف وحضر الجمهورية في ١٩٩٦

القطاع		ريف		حضر		جملة
المهنة		ذكور %	إناث %	ذكور %	إناث %	جملة
رجال التشريع وكبار المسؤولين والمديرين		٢,٠	١,٥	٧,٧	٤,٦	٣,٤
الأخصائيون (أصحاب المهن الطبية)		٦,١	١٥,٣	١٤,٦	٣١,٠	٢٤,٨
الفنيون ومساعدو الأخصائيين		٦,١	١٢,١	١٠,٠	١٨,٧	١٦,١
القائمون بالأعمال الكتابية ومن إليهم		٤,٠	٢٦,٠	٥,٥٧	١٧,٠	١٦,٦
العاملون في الخدمات ومجال البيع		٧,٧	٢,٩	١١,٠	٥,٨	٤,٧
المزارعون وعمال الزراعة والعاملون بالصيد		٤٨,٤	١٨,٩	٧,٦	٠,٩	٨,٠
الحرفيون ومن إليهم		١١,٠	٢,٣	٢٢,٧	٢,٢	٢,٢
عمال المصانع ومشغلو الماكينات		٥,٥	٠,٩	٩,١	٢,١	١,٥
عمال المهن العادية		١,٧	١,٣	٣,٩	٠,٩	١,١
الذين لا يمكن تصنيفهم حسب المهنة		٧,٥	٢٨,٨	٧,٧	١٦,٨	٢١,٦
الجملة		١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠

المصدر: جمعت البيانات ثم حسبت من: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء

- الكتاب الإحصائي السنوي ١٩٩٩. جدول (١-١٥)

جدول (٣) التوزيع العددي والنسبي للسكان (١٥ سنة فأكثر) حسب المهنة في
رؤف وحضر الجمهورية في ١٩٩٦ (العدد بالآلاف)

القطاع		رؤف		حضر		جملة
المهنة	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
رجال التشريع وكبار المسؤولين والمديرين	١٦٢	١٦	٤٨٨	٧٣	٦٥٠	٨٩
الأخصائيين (أصحاب المهن العلمية)	٥٠١	١٥٨	٩٢٦	٤٩٦	١٤٢٧	٦٥٤
الفنيون ومساعدو الأخصائيين	٥٠٩	١٢٥	٦٣٣	٢٩٩	١١٤٢	٤٢٤
القائمون بالأعمال الكتابية ومن إليهم	٣٢٨	١٦٥	٣٦٠	٢٧٢	٦٨٨	٤٣٧
العاملون في الخدمات ومجال البيع	٦٣٩	٣٠	٦٩٩	٩٣	١٣٣٨	١٢٣
المزارعون وعمال الزراعة والعمالون بالصيد	٣٩٨٦	١٩٦	٤٨٧	١٤	٤٤٧٣	٢١٠
الحرفيون ومن إليهم	٩٠٧	٢٤	١٤٤٤	٣٥	٢٣٥١	٥٩
عمال المصانع ومشغلو الماكينات	٤٥٢	٩	٥٧٧	٣٢	١٠٢٨	٤١
عمال المهن العادية	١٤٢	١٤	٢٥٠	١٤	٣٩٢	٢٨
الذين لا يمكن تصنيفهم حسب المهنة	٦١٥	٢٩٩	٤٩٥	٢٦٩	١١١٠	٥٦٨
الجملة	٨٢٤١	١٠٣٦	٦٣٥٨	١٥٩٧	١٤٥٩٩	٢٦٣٣

المصدر: جمعت البيانات ثم حسبت من: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء

- الكتاب الإحصائي السنوي ١٩٩٩ - جدول (١-١٥)

الهجرة السكانية

تعد الهجرة عنصراً رئيسياً من عناصر الدراسة السكانية لأنها فيما عدا الزيادة الطبيعية تعد المصدر الوحيد لتغير حجم السكان، وتسمى الهجرة أحياناً بالانتقال الأفقى، الذى يشير إلى تغيير محل الإقامة والانتقال من مكان إلى مكان جغرافى معين إلى مكان آخر وذلك تمييزاً لها عن نوع آخر من الانتقال يسمى الانتقال الرأسى، ويقصد به الانتقال إلى أعلى أو إلى أسفل السلم الاجتماعى، أو من طبقة اجتماعية إلى أخرى، وقد يصاحب كلا من هذين النوعين من الانتقالات الأفقية والرأسية انتقالات عديدة، كالانتقال من مهنة إلى مهنة أخرى، أو من عمل إلى عمل. وكلا النوعين من الانتقالات وثيق الصلة بالآخر، إذ كثيراً ما ينتقل الأفراد أفقياً من مكان لآخر بدافع الرغبة فى الانتقال رأسياً، أى الرغبة فى تحسين أوضاعهم الاجتماعية على السلم الطبقي، غير أنه ليس كل انتقال أفقى يصاحبه انتقال رأسى بالضرورة، والعكس صحيح.

أسباب الهجرة:

تختلف أسباب الهجرة إختلافاً واضحاً وإن كانت معظم الدوافع متشابهة فى أغلب الأحيان سواء فى الهجرات طويلة المسافة أو قصيرتها، وتوجد عوامل كثيرة ومتشابهة فى بعض الأحيان تؤدي إلى الهجرة، ويمكن تصنيف هذه العوامل إلى عوامل دافعة وعوامل جاذبة، وفيما يلى نبذة عن كل منهما:

أولاً: العوامل الدافعة: وتوجد بالمناطق المهاجر منها ومن أمثلتها ما يلى:

١- الزيادة الكبيرة فى عدد السكان بمنطقة معينة قد تكون عاملاً دافعاً إلى الهجرة منها إلى مناطق أخرى، خاصة إذا لم يصاحب تلك الزيادة زيادة مناسبة فى الموارد الاقتصادية.

٢- استنفاد الموارد الطبيعية فى بعض المناطق قد تكون سبباً فى هجرة السكان إلى المناطق الأخرى، من أمثلة لك بعض للمناطق التى يعيش السكان فيها على التعدين (استخراج الفحم أو الحديد أو غيرها من المعادن) أو استخراج البترول، إذ عندما تنضب المناجم أو الآبار يضطر السكان المعتمدون عليها فى عملهم ومعيشتهم إلى الهجرة إلى مناطق أخرى.

٣- الظروف الطبيعية غير المرضية كثيراً ما تدفع الأفراد والجماعات إلى الهجرة، من أمثلة ذلك الزلازل والبراكين التى أحياناً ما تهدد المواطنين فى بعض المناطق وتلحق بهم أضرار جسيمة فى الرواح والممتلكات، كذلك الفيضانات العالية التى أحياناً ما تجتاح مناطق شاسعة مسببة خسائر فادحة، والجفاف الشديد خصوصاً إذا ما تعاقب عاماً بعد عام فى مناطق يعتمد فيها السكان على الأمطار التى تنمو عليها الأعشاب والمحاصيل.

٤- عدم القدرة على التكيف اجتماعياً أو سياسياً أو عنصرياً فى بعض المناطق قد يكون سبباً من الأسباب التى تدفع بعض الأفراد إلى الهجرة إلى مناطق أخرى، فالخلافات حول العقائد الاجتماعية أو الدينية أو السياسية أو الاقتصادية أو غيرها كانت ولا تزال سبباً فى لجوء بعض الأفراد إلى الهجرة بسبب عدم قدرتهم على التكيف مع الآخرين فى المناطق التى يعيشون فيها، هذا إلى جانب إلى أن الحروب والثورات أو على الأقل احتمالاً نشوبها فى بعض المناطق هى من العوامل التى قد تدفع بعض الأفراد إلى الهجرة وترك أوطانهم إلى مناطق أكثر أمناً واستقراراً.

٥- على أن هناك دوافع أخرى شخصية متعددة منها الرغبة فى تحقيق مستوى اقتصادى مرتفع أو مركز اجتماعى واقتصادى افضل من الوضع القائم، أو الرغبة فى اكتساب خبرات جديدة والاستفادة من المعارف والخبرات المكتسبة أو فى تحقيق مستوى معيشة أعلى ومستوى أرفع من الرفاهية، أو الانتقال إلى حيث يوجد الأهل أو الأصدقاء، هذا إلى جانب بعض الدوافع كالخوف من القوانين أو

التشكك فيها، والخوف من الخزي أو العار بسبب فقدان المركز الاقتصادى أو الاجتماعى، أو كثرة الخلافات بين الأهل والأقارب أو الجيران.

ثانياً العوامل الجاذبة: وتوجد عادة بالمناطق المهاجر إليها ومن أمثلتها:

- ١- اكتشاف واستغلال موارد جديدة قد تكون عاملاً هاماً فى جذب بعض الأفراد والجماعات إلى حيث توجد تلك الموارد الجديدة المكتشفة أو المستغلة حديثاً.
- ٢- التوسع الصناعى فى بعض المناطق قد يجذب كثيراً من الأيدي العاملة من مناطق أخرى، وبخاصة الريفيين للاستفادة من الأجر المرتفعة نسبياً، والامتيازات التى تمنحها الصناعة.
- ٣- تمتع بعض المناطق بمميزات خاصة، من أمثلة ذلك المناخ المعتدل الذى يسود فى بعض المناطق مما يجعلها مناطق جذب لبعض الأفراد الذين يهتمون بهذا المناخ، كذلك وجود بعض الخدمات كالخدمات الصحية أو التعليمية أو الترفيهية ببعض المناطق يجعلها أيضاً مناطق جذب لبعض السكان الراغبين فى المعيشة فى مناطق تتوفر فيها مثل الخدمات. وقد كان خلو المناطق الريفية من الكثير من الخدمات وتركيزها بالمناطق الحضرية ما جعل الأخيرة مناطق جذب قوى للكثير من السكان الريفيين.

وقد لا تكون عوامل الجذب عوامل حقيقية قدر ما تكون تصورات لا أساس لها من الواقع. فقد يندفع عدد كبير من السكان الريفيين إلى منطقة حضرية تحت ضغط الظروف الاقتصادية السيئة ومستوى المعيشة المنخفض فى الريف، اعتقاداً منهم بوجود فرص عمل وفيرة وأجور مرتفعة فى المدينة، غير أن الحقيقة قد تظهر أن تلك الفرص غير متوافرة أو على الأقل ليست كافية لمقابلة احتياجات الأعداد الكبيرة من المهاجرين فتكون النتيجة زيادة البطالة المقنعة والسافرة بالمناطق الحضرية، وخلق العديد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية بها.

وبطبيعة الحال فإن عوامل الجذب (+) والطرْد (-) فى كل من منطقتى لأصل والوصول تتباين لكل مهاجر أو من ينوى الهجرة. وهناك اختلافات جوهريّة هامة بين العوامل المرتبطة بمنطقة الأصل وتلك المرتبطة بمنطقة الوصول، وفى ضوء العوامل المؤثرة فى أماكن الأصل والوصول للمهاجرين حاول "إيفريت لى" أن يقنن ظاهرة الهجرة، وصاغ هذه العلاقات بين عوامل الجذب والطرْد فيما يمكن تسميته بقوانين الهجرة، وقد خلص بعدة حقائق أبرزها.

- ١- أن حجم الهجرة داخل منطقة معينة يتباين مع درجات الاختلافات البيئية التى تتميز بها هذه المنطقة.
- ٢- أن حجم الهجرة يختلف باختلاف السكان وتنوعهم.
- ٣- أن حجم الهجرة يرتبط بالقدره على تخطى العوائق المختلفة فيما بين منطقتى الأصل والوصول.
- ٤- أن الهجرة تتأثر بالتقلبات الاقتصادية إلى حد كبير.
- ٥- أنه إذا لم تفرض ضوابط صارمة للحد من الهجرة فإن حجمها ومعدلها يميلان للتزايد بمضى الزمن.

ومن البديهي أن حجم الهجرة ومعدلها يتأثران بمستوى لتقدم فى القطر أو لمنطقة تأثراً جنرياً.

أنواع الهجرة

توجد تصنيفات كثيرة للهجرة منها تصنيفها إلى هجرة داخلية وخارجية ولا: الهجرة الداخلية:

تعد الهجرة الداخلية من المظاهر الهامة لحركة السكان داخل الأقاليم أو لقطر، وتختلف عوامل الجذب والطرْد للمهاجرين من بيئة لأخرى بطريقة تجعل يارات الهجرة تأخذ إتجاها مختلفة على رة الدولة، وينظر إلى العوامل الاقتصادية

على أنها العناصر المؤثرة فى الهجرة جذباً وطرداً. ويقصد بالهجرة الداخلية إنتقال الأفراد من مكان إلى مكان آخر داخل الدولة بقصد الإقامة الدائمة فى المكان الجديد.

وتعد الهجرة من الريف إلى الحضر Rural- Urban Migration أهم مظاهر الهجرة الداخلية وخاصة فى الدول التى أخذت بأسباب التنمية الصناعية حديثاً أثر فى تقدمها الاقتصادى وارتفاع دخول أفرادها فى القطاعات المرتبطة بالصناعة، ودفع بأعداد كبيرة من السكان الريفيين إلى الإتجاه نحو المراكز الحضرية والتى غالباً ما تكون مراكز رئيسية للصناعة.

وتكون الهجرة عاملاً هاماً من عوامل المراكز الحضرية وتختلف درجة أسبابها فى هذا النمو باختلاف العوامل الكامنة فى تلك المراكز، وتتفق معظم دول العالم النامى فى تلك الظاهرة والتى تجلت فى تدفق أعداد كبيرة من سكان الريف إلى المدن.

مقاييس الهجرة الداخلية:

إن المقام المستخدم فى كل المقاييس هو إجمالى عدد السكان فى كل من المنطقتين كما تبين الصيغ التالية لحساب هذه المقاييس:

$$١- \text{ معدل الهجرة الوافدة} = \frac{\text{عدد المهاجرين إلى المنطقة}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}} \times ١٠٠$$

$$٢- \text{ معدل الهجرة المغادرة} = \frac{\text{عدد المهاجرين من المنطقة}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}} \times ١٠٠$$

$$٣- \text{ معدل الهجرة الصافية} = \frac{\text{عدد المهاجرين إلى المنطقة} - \text{عدد المهاجرين من المنطقة}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}} \times ١٠٠$$

٤- معدل الهجرة الكلية -

$$\frac{\text{عدد المهاجرين إلى المنطقة} + \text{عدد المهاجرين من المنطقة}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}} \times 100$$

وبالإضافة إلى هذه المعدلات العامة فهناك معدلات نوعية ترتبط بأعمار مهاجرين ونوعهم ولذا تعرف بالمعدلات العمرية النوعية.

لرئ تقدير حجم الهجرة الداخلية:

هناك ثلاث طرق يمكن بواسطتها تقدير حجم الهجرة الداخلية واتجاهاتها، تعتمد هذه الطرق على مصدرين رئيسيين هما التعداد والإحصاءات الحيوية. الطرق الثلاث لتقدير حجم الهجرة الداخلية هي الطرق الآتية:

١- طريقة محل الميلاد:

تستخدم جداول محل الميلاد مقارنة بمكان الإقامة وقت التعداد، وباستخدام هذه الطريقة في عدة تعدادات متعاقبة فإنه يمكن معرفة تطور حركة الهجرة الداخلية في البلاد.

على أنه ينبغي الإشارة إلى أن طريقة محل الميلاد في دراسة الهجرة داخلية لا تخلو من عيوب، ذلك لأنه ليس من المتوقع أن يحظى سؤال بسيط عن حل الميلاد بإجابات دقيقة من كل السكان. كذلك فقد تؤدي التغيرات المستمرة في حدود الإدارية إلى عدم الدقة في بيانات محل الميلاد.

٢- طريقة معادلة الموازنة:

يعتمد تحديد دور الهجرة في نمو السكان على طريقة تعرف بمعادلة موازنة، وهي تعتمد على الإحصاءات الحيوية من ناحية وبيانات التعداد العام لسكان من ناحية أخرى، حيث يكون من السهل تقدير الزيادة الطبيعية بين التعدادين

ومقارنتها بالزيادة الكلية في الفترة التعدادية، ويمثل الفرق بينهما الهجرة الصافية سواء كانت هجرة وافدة أو مغادرة في المكان الواحد.

٣- طريقة نسبة البقاء Survival Ratio Method

بالإضافة إلى الطريقتين السابقتين هناك طريقة ثالثة لدراسة خصائص المهاجرين مثل العمر والنوع وتعتمد على ما يعرف بنسب البقاء (Survival Ratio) أي احتمال البقاء لفوج من السكان في فئة عمرية في تعداد معين (ت) إلى التعداد التالي (ت + ن)، والبيانات المطلوبة حينئذ هي عدد الأشخاص حسب العمر والنوع في تعدادين متتاليين ثم مجموعة من نسب البقاء التعدادية في كل فئة عمرية والتي يمكن تطبيقها على السكان في التعداد الأول حتى يمكن اشتقاق تقدير لعدد السكان المتوقع أن يظل على قيد الحياة في التعداد التالي.

تيارات الهجرة الداخلية

الهجرة الداخلية لها اتجاهات مختلفة تتبلور عادة فيما يسمى بتيارات الهجرة، وليست هناك دولة في العالم إلا وشهدت حركة سكانية داخلية على رقعتها وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة، وتتميز بعض الشعوب بحركتها القوية وعدم الاستقرار الدائم مثل الشعوب السلافية.

وتعد الولايات المتحدة من أكبر دول العالم في حركة السكان الداخلية ويقدر أن خمس سكانها على الأقل ينتقلون بين ظهرانيتها كل عام.

وترجع زيادة حركة الهجرة الداخلية في الولايات المتحدة إلى ضخامة الدولة واتساعها وتباين أقاليمها الطبيعية والاقتصادية. وعموماً كل تيار من تيارات الهجرة يختلف عن الآخر في دوافعه وقوته (أي في عدد المهاجرين) وفي خواص سكانه،

وفى آثاره الاجتماعية والاقتصادية على المنطقة المهاجر منها وإليها. وفيما يلي عرض لبعض تيارات الهجرة الداخلية فى مصر:

تيارات الهجرة الداخلية من الريف إلى الحضر:

الهجرة من الريف إلى الحضر أو ما يطلق عليه أحياناً من القرية إلى المدينة ليست أمراً حديثاً وإنما تحدث منذ زمن بعيد عندما أخذ الإنسان بنظام التخصص وتقسيم العمل.

واتجه بعض السكان إلى العمل بمهنة الزراعة وإلى الإقامة بالقرى قريبيين من الأراضي الزراعية، واتجه البعض الآخر إلى العمل بالمهن غير الزراعية من صناعة وتجارة وخدمات وغيرها إلى الإقامة فى المدن. وكلما زاد عدد سكان القرى وزاد ضغطهم على الموارد الأرضية الزراعية المحدودة، وكلما قل نصيب الفرد من الدخل وانخفض مستوى المعيشة، وكلما ظهرت لدى بعض السكان الزراعيين مهارات وقدرات فى أعمال غير زراعية، كلما ترك بعض السكان الريفيين قراهم صوب المدن سواء أكان لديهم معرفة أو خبرة بما يوجد به من مهن وأعمال أو ليس لديهم. ولم ينقطع فى أى وقت من الأوقات تيار الهجرة من القرى إلى المدن، وإن كان فى بعض الأوقات يقوى قليلاً مع سوء الحال فى الريف ووجود مغريات فى الحضر أو يضعف قليلاً مع تحسن الحياة فى الريف وصعوبتها فى الحضر، وهناك العديد من القوى الدافعة والجاذبة كما سبق القول تؤثر فى هذا الشأن.

حجم الهجرة من الريف إلى الحضر وخواص المهاجرين:

أشارت نتائج بعض الدراسات إلى أن الهجرة الريفية الحضرية قد أشهت بنحو ٣١% من النمو الحضرى فى مصر خلال الفترة ٤٧ - ١٩٦٠، وحوالى ٢٧% خلال الفترة ٦٠ - ١٩٧٦، و ١٧,٥% خلال الفترة ٦٦ - ١٩٧٦. وقد بلغ عدد

المهاجرين من الريف إلى الحضر في ١٩٧٦ حوالى مليون مهاجراً. وبلغ عددهم في ١٩٦٦ حوالى ١,٣٩ مليوناً، نزح حوالى نصفهم إلى المحافظات الحضرية (القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس) و ٣٠٪ إلى محافظات الوجه البحرى، وحوالى ٢٠٪ إلى محافظات الوجه القبلى. وقد تبين أن ٥٣,٣٪ منهم من الذكور، ٤٦,٧٪ من الإناث، وغالبية المهاجرين فى الفئات العمرية المنتجة، وحوالى ٥٦,٣٪ أميون، ٢٦,٧٪ يقرأون ويكتبون، أما الباقون فحاصلون على شهادات أقل من المتوسطة ومتوسطة فى غالبيتهم.

وعموماً فإن المستوى التعليمى للمهاجرين الريفيين كان أعلى من المستوى التعليمى للريفيين بصفة عامة، معنى ذلك إن المتعلمين أقل رغبة فى البقاء فى الريف من غير المتعلمين.

أثار الهجرة من الريف إلى الحضر:

من المعتقد أن الهجرة من الريف إلى الحضر تحدث للريف خسارة بشرية ومادية. تتمثل فى فقدانه لشطر من شبابه. ربما فى بعض المجتمعات ذات الكثافة السكانية العالية بالريف كما هو الحال فى مصر قد لا يكون هناك إحساس بمدى وأثر أو قيمة هذا الفاقد إلا أنه حقيقة واقعة تحس بها أكثر بعض المجتمعات المتقدمة حيث يرون أن الشباب الذى يعتقد عليه الأمل كرجال المستقبل وكقادة للمنظمات والمؤسسات الريفية يترك الريف ويتجه إلى الحضر. والمشكلة ليست فى نظرهم مشكلة نقص فى الأيدى العاملة التى سرعان ما تحل محلها الآلات الميكانيكية بقدر ما هى فقدان أعداد من الشباب المتميز.

وفى مصر لا يمثل السكان المهاجرون من الريف إلى لحضر سوى نسبة صغيرة من جملة سكان الريف إلى حد أن نزوحهم لا يصاحبه شعور محسوس

بانخفاض الضغط السكاني بما يعكس ارتفاعاً ملموساً في مستوى معيشة بقية السكان في المناطق المهاجر منها، ذلك لأن الزيادة الطبيعية الناتجة عن زيادة المواليد عن الوفيات في ظل خصوبة السكان العالية تجعل الزيادة في عدد السكان بالمناطق الريفية في اطراد مستمر بما يعوض أى نقص بسبب الهجرة.

ولقد كانت الهجرة الريفية إلى المناطق الحضرية - خاصة في الدول النامية حديثة التصنيع - سبباً في خلق العديد من المشاكل بسبب نزوح أعداد كبيرة من المهاجرين إليها أكثر مما تستطيع أن تستوعبه مختلف الأنشطة الاقتصادية بها، فلا الصناعة ولا التجارة ولا مختلف الخدمات أصبحت بقادرة على أن تشغل الأعداد الكبيرة من المهاجرين فضلاً عن أن غالبيتهم لا تتوفر لديهم المعارف ولا الخبرات والكفاءات والمران اللازم للقيام بأنواع الأعمال في تلك المناطق، وكانت النتيجة تكدس المناطق الحضرية بأعداد كبيرة من السكان، وانتشار البطالة المقنعة والسافرة، وظهور مشاكل الإسكان والمواصلات والصحة والتعليم والغذاء والجرائم والتشرد والبقاء وغيرها مما تنوء به بعض المدن. وقد كان لسهولة وسائل الاتصال والانتقال أثره في زيادة عدد المهاجرين صوب المناطق الحضرية. على أن المناطق الحضرية في بعض الدول استفادت من هجرة الشباب الريفي إليها والذي سد نقصاً في الأيدي العاملة، على الأقل غير الفنية وغير الماهرة، فقد قبل المهاجرون العمل بأجور منخفضة بسبب قلة كفاءتهم أو كثرة عددهم بالنسبة للمتاح من فرص العمل، وبسبب عدم قدرتهم على التنظيم لغرض المساومة على أجور مرتفعة على الأقل في البداية خصوصاً في ظل غياب التشريعات العمالية أو عدم تطبيقها بدقة.

والنازح من القرية إلى المدينة يعاني من مشاكل قوية حتى يتكيف اجتماعياً مع الحياة المدنية، بسبب الاختلاف بين طبيعة الحياة الريفية التي تسودها نظم العلاقات الأولية، وطبيعة الحياة لحضرية حيث تسود نظم العلاقات الثانوية. فالمهاجر من مجتمع قروي منعزل ومتجانس، تسوده العلاقات الشخصية، والقليل

من التخصصات الدقيقة والآلات البسيطة، والاعتماد الضعيف على الإبداع الفردى، وحيث العمل الشاق، يجد نفسه فجأة فى بيئة مغايرة تماماً لما ألفه، فيقع فى حيرة شديدة لما يسود من حرية شخصية بين الجماعات الثانوية، وغالباً ما يتعرض الشباب الريفى لنوع من الارتباك لأن وسائل لضبط الاجتماعى القديمة لم تعد قائمة، ويبدو العالم الحضرى عالماً بلا أصدقاء، يتراحم فيه الأفراد ويتنافسون ويتصارعون فى سبيل الحصول على مكاسب شخصية.

ويجد كثير من المهاجرين من القرية إلى المدينة أن عليهم تغيير مهنتهم بعد الهجرة وهذا شئ طبيعى، الأمر الذى يتطلب إعداد وتدريب وتكييف مهنى للمهاجرين حتى يكتسبوا المهارات والقدرات اللازمة للعمل بالمهن الجديدة والتي تختلف فى متطلباتها من حيث الخبرة والكفاءة لا عن مهنة الزراعة فحسب بل أيضاً عن المهن غير الزراعية المماثلة بالمناطق الريفية، فالصنع والتجار والباعة والحرفيين بل والمدرسين والأطباء الريفيون لاشك أقل خبرة ومهارة من نظائهم بالمناطق الحضرية. إنهم يعملون تحت ظروف بيئية واجتماعية واقتصادية وتكنولوجية أقل تقدماً من مثيلاتها فى الحضر.

والمهاجرون إلى المدن لمصرية ربما يتشابهون بعض الشئ مع المهاجرين من الريف إلى الحضر فى الدول النامية فى كونهم عادة فقراء رقيقى الحال بقليل جداً من رؤوس الأموال إن وجد شئ من ذلك لديهم، ومن ثم لايمكنهم البدء فى مشروعات أو أنشطة اقتصادية يعتد بها والنتيجة أنهم يتجهون إلى العمل كعمال أجواء فى المصانع حيث يقومون بالأعمال التى لا تتطلب بالضرورة درجة عالية من الخبرة والمهارة على الأقل فى البداية، وكباعة لسلع يجوبون بها الشوارع أو يجلسون بها على جوانب الطرقات أو كعمال حرفيين فى حرف مختلفة، أو بعض أنواع مختلفة من الخدمات.

والهجرة من الريف إلى الحضر لا تستلزم من المهجر أن يتحمل فقط الصدمة الثقافية بالمدينة ولا أن يعد نفسه مهنيًا. وكيف نفسه اجتماعيًا لتقافتها وإنما أيضاً لظروفها وأوضاعها الاقتصادية، فالمهاجرون الريفيون القادمون إلى المدينة عادة ما يكونون ملاكاً مساكنهم في المناطق النازحين منها. حقيقة أن تلك المساكن عادة ما يكون مستواها منخفضاً من حيث البناء والتسهيلات السكنية من مياه شرب ومجارى وإنارة وأثاث وغير ذلك إلا أنهم عادة لا يدفعون نظير الإقامة بها إيجاراً أو مصروفات تذكر، وأول ما يصادف المهاجر إلى المدينة من مشاكل كبيرة هو العثور على مسكن بإيجار يستطيع أن يديه في ظل أجره أو دخله الضئيل، على الأقل في البداية. هذا إذا وفق في العثور على مكان للإقامة، وعادة ما يكون ذلك بعد أن يحل ضيقاً على أقاربه ومعارفه فترات تطول أو تقصر حسب علاقاته وصلاته القرابية بهم. وإلى جانب صعوبة الحصول على مسكن واستفاد جزء كبير من الدخل فيه - وهو أمر لم يكن يتوقع مدى فداحته - فإنه يواجه أيضاً بمصروفات أخرى عديدة لم يكن يحسب لها حساب وفي مقدمتها نفقات المواصلات والملبس وغيرها.

وكثيراً ما تضطر أسر المهاجرين الريفيين تحت وطأة متطلبات المعيشة أن تقيم كل في حجرة في مناطق نائية في أطراف المدن في بيوت غير صحية يقل مستواها من كافة النواحي أحياناً عن تلك التي نزحوا منها، كما وقد تضطربهم سوء حالتهم الاقتصادية، وعدم إمكانهم مواجهة مستلزمات المعيشة ذات التكاليف المرتفعة في المدينة إلى الاستدانة والعجز عن دفع الديون ثم الوقوع في مشاكل مع الدائنين، ويصبحون معتمدين على غيرهم لكي يعولهم. وهناك من يضطر إلى امتحان مهن لاتضيف شيئاً إلى الإنتاج القومي كالتسول أو أخرى وضيفة، ومنهم من يقعوا صرعى لتوتر أعصابهم ويكون مصيرهم الإصابة بمختلف الأمراض العصبية، ومنهم من ينحرف فيلجأ إلى البغاء والسرقه والإجرام وغيرها من الأمراض الاجتماعية التي تتصف بها المدن الكبيرة.

وربما بسبب توقع المشاكل الاقتصادية بالمدينة كثيراً ما يلجأ بعض المهاجرين، خاصة أولئك النازحين من الوجه القبلى إلى عدم اصطحابهم لأسرهم معهم على الأقل فى بداية الهجرة إلى أن يستقر بهم الحال فى عمل ومسكن، ويصبح فى مقدورهم إعالة أسرهم فى البيئة الجديدة ذات التكاليف المرتفعة عن نظيرتها فى القرى. إن تصورات ومعتقدات سكان الريف عن مدى إرتفاع دخول السكان بالحضر أحياناً ما تكون خيالية أو مبالغاً فيها، كما وأن توقعاتهم عن الأعباء المعيشية قد تكون أيضاً خاطئة، بسبب ذلك يواجهون بصدمة اقتصادية قد تصل فى شدتها إلى حد حمل بع المهاجرين إلى الإرتداد والعودة إلى قراهم بعد قضاء فترة من الوقت بالمدينة، وبعد أن يكونوا قد عجزوا عن تكيف أنفسهم لظروفها الاقتصادية وأنفقوا ما قد يكون لديهم من بعض المدخرات. والعودة إلى الريف فى ظل هذه الخبرات السيئة تحمل ذكريات مريرة، تزيد أحياناً من كراهية سكان الريف للحضر. على أن المهاجر الذى يمكنه تحمل الصدمات السابقة، والذى يستطيع التكيف اجتماعياً ومهنياً لحياة المدينة يصبح فى مستوى معيشى أعلى من نظرائه الذين بقوا فى الريف.

الهجرة الداخلية نحو المناطق الزراعية (الهجرة من الحضر إلى الريف)

قد يبدو طبيعياً أن يهاجر الأفراد من الريف إلى الحضر بسبب ما يوجد بالمناطق الحضرية من مغريات وقوى جاذبة عديدة، وكنتيجة لسوء الحالة فى المناطق الريفية، أما أن ينتقلوا من الحضر إلى الريف فهذا قد يبدو غريباً وإن كان دائم الحدوث. الهجرة من الحضر إلى الريف لها أسباب عديدة وتختلف تلك الأسباب من مجتمع لآخر وفى نفس المجتمع الواحد من وقت لآخر، على أن الحالة التى يكون عليها كل من الريف والحضر من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية لها دخل كبير فى هذا الشأن، فقد يهاجر الناس من الحضر إلى لريف رغبة فى المعيشة فى مكان هادئ بعيداً عن صخب المدينة وضوضائها وزحامها الذى يجعلها

أشبه بالسجن الضيق الذى يصعب التحرك فيه، كانوا قد يهاجرون إلى الريف بقصد الإقامة بمسكن فسيح بإيجار معتدل وفي بيئة ذات جو نقي بعيداً عن الازدحام المسكنى وخصوصاً فى ظل ندرة المساكن ببعض المدن. وبعض الأفراد خصوصاً أولئك الذين من أصل ريفى قد ينتقلون إلى الريف لأنهم فشلوا فى أن يحققوا بالمدينة ما كانوا يصبون إلى تحقيقه من دخول عالية ومستويات معيشية مرتفعة وذلك إما بسبب صعوبات اقتصادية أو كساد أو كوارث أو غير ذلك من الأسباب.

وفى زمن الحرب أو التهديد بها يتجه بعض الناس عادة إلى الريف باعتباره مكاناً آمناً للإقامة، كما أنه فى زمن الأزمات الاقتصادية والبطالة يعتبر المكان الذى يمكن فيه انتزاع ضروريات الحياة، حتى ولو لم يكن ذلك فى صورة دخول فورية أو منتظمة وأن من الأيسر الحصول على الاستقرار والطمأنينة والراحة النفسية بعيداً عن الصراع والتنافس فى المدينة رغم ما فيها من ترف ومريحات. على أنه توجد طائفة من الناس الذين يفضلون بعد انتهاء مدة خدمتهم بالمدينة قضاء الفترة الباقية من حياتهم فى الريف حيث يستطيعون امتلاك قطعة من الأرض الزراعية يقيمون عليها مشروعا زراعيا كطريقة للحصول على دخل إضافى أو شغل لوقت الفراغ إن لم يكن بقصد الربح والاستثمار الاقتصادى.

آثار الهجرة من الحضر إلى الريف:

لا يعتقد أن تيار الهجرة من الحضر إلى الريف يحمل فى طياته آثاراً ذات بال على المناطق الحضرية المهاجر منها، ربما لأسباب كثيرة منها ضعف هذا التيار ممثلاً فى العدد القليل من المهاجرين وانخفاض مستواهم بصفة عامة عن نظائريهم من السكان الحضريين المتبقين بالمناطق المهاجر إليها لا يتوافر لهم سبل لعيش، والذين أصبحوا يعرفون تقدم المناطق الحضرية ويقفون حجر عثرة فى سبيل تحسينها بسبب ما يصاحب وجودهم من مشاكل عديدة، الأمر الذى جعل بعض

المصلحين يراودهم من أن لأخر فكرة إعادة ترحيل المهاجرين الحضريين الذين من أصل ريفي الذين لا عمل لهم إلى بلدانهم الأصلية.

وفى ظل ضعف تيار الهجرة من الحضر إلى الريف وفى ظل خصائص المهاجرين لا يبدو أن الريف يستفيد كثيرا من المهاجرين إليه من المناطق الحضرية سواء لقلة عددهم أو لعدم استقرارهم أو لعدم رغبتهم للعمل أو البقاء فيه. حقيقة أن الصفات الاجتماعية والاقتصادية للمهاجرين إليه من المدينة قد تكون أعلى نسبياً من صفات سكانه غير أن اتجاهاتهم غير المرغوبة نحو الريف تجعل منهم أفراداً غير دى فائدة كبيرة بالنسبة لإحداث تغييرات مرغوبة فى الريف حتى وإن كانوا مقيمين به لتعلقهم بالمدينة وتطلعهم إلى اليوم الذين ينتقلون فيه إليها، ومن ثم لاتعنيهم أحوال الريف وشنونه فى قليل أو كثير رغم أن هؤلاء الأفراد هم أساساً المنوط بهم النهوض بالريف والعمل على خدمته من أطباء ومرشدين زراعيين ورؤساء مجالس قروية ومدرسين وغيرهم. حقيقة أن هؤلاء وامثالهم ليسوا بالمهاجرين حقاً قدر ما هم عاملين بالريف فقط لفترة من الزمن وليس لديهم النية فى الإقامة الدائمة به، غير أنه على أى حال من المفروض أن عملهم وإقامتهم ولو لفترة بالمناطق لريفية يكون فيها فائدة للريف وسكانه، خاصة وأن وجودهم فيه محسوب عليه عدداً وتكلفة، على أن هذا الوضع يختلف كثيراً عن مثيله فى بعض الدول الغربية المتقدمة والتي استفاد ريفها اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً من نزوح أعداد من السكان الحضريين إليه.

ومن أهم المشاكل التى يعانى منها المهاجر من الحضر إلى الريف عدا مشاكل التكيف المهني هى مشاكل التكيف الاجتماعى، فالقيم والتقاليد والعادات فى الحضر ربما تختلف كثيراً عن مثيلتها فى الريف، فالمجتمع الريفى المحلى بما فيه من ضبط اجتماعى عالى نتيجة صغر حجمه يكون بمثابة الجو لخانق والقوى الصاغطة بشدة والمنظمة بقسوة لسلوك المهاجرين الحضريين الذين يظلون لفترة

من الوقت قد تطول تحت رقابة السكان الريفيين المحليين يتابعون كل تصرفاتهم وسلوكهم بالنقد الشديد أحياناً إذا لم تقم مع لتصرفات والسلوك السائد.

وتتباين قدرة المهاجر الحضري على التكيف للأوضاع في البيئة الريفية حسب خلفيته الاجتماعية، فالذين من أصل حضري يواجهون بصعوبات أكثر بكثير من الذين من أصل ريفي بسبب القيم والتقاليد الحضرية التي تأسست في نفوسهم طوال حياتهم في المناطق الحضرية، كالعادات في العمل وتدبير شئون المنزل واقتصادياته والأوضاع الاجتماعية وطرق ووسائل الترويج. كل هذه وغيرها تختلف وتتناقض مع متطلبات الحياة بالمجتمع الريفي، أما الصعوبات الاقتصادية فتتوقف على الوضع الاقتصادي للمهاجر نفسه فإن كان لديه لدخل الكافي استطاع إلى حد كبير أن يواجه المشاكل الاقتصادية في الريف، وإلا فإن المشكلة تصبح أكثر تعقيداً. وقد يعجب البعض من القول بأن أولئك الذين من أصل ريفي يجدون هم الآخرون صعوبة في التكيف للحياة الريفية بعد أن يكونوا قد أمضوا فترة من الوقت بالمناطق الحضرية، غير أن تلك حقيقة واقعة ترجع إلى أن ما اعتنقوه من قيم وتقاليد وعادات وما تعودوا عليه من طرق في السلوك واتجاهات أصبح مختلفاً عن مثيله بالمناطق الريفية الأصلية التي نشأوا فيها، وهم بذلك يجدون أنفسهم في حيرة بين جديد يصعب التخلي عنه وبين قديم يصعب الرجوع إليه. على أن بعضاً من المهاجرين من الحضر إلى الريف سواء كانوا من أصل حضري أو ريفي كثيراً ما يظلون ولفترة قد تطول يرثون فقدان الحرية الشخصية ومستوى المعيشة والخدمات وغيرها من المميزات التي كانوا يعيشون في ظلها بالمناطق الحضرية وقد يفكر البعض منهم في العودة إلى الحضر ثانية.

بمقارنة حجم تيار الهجرة من الريف إلى الحضر بتيار الهجرة من الحضر إلى الريف في كل من ١٩٦٦ و ١٩٧٦ نجد أن الأول كان أكبر كثيراً من الثاني. وتعدى الريادة المصطردة في سبة السكان الحضريين، والنقص

المضطرد في نسبة السكان الريفيين في التعدادات المختلفة حتى ١٩٧٦ إلى عامل الهجرة الحضرية في المحل الأول، خاصة في ظل ما هو معروف أن معدل الخصوبة في الريف أعلى منه في الحضر، بمعنى أنه لا يمكن أن يعزى الزيادة في نسبة السكان الحضريين إلى ارتفاع خصوبتهم.

على أنه قد لوحظ أن نسبة كل من السكان لريفيين والحضريين لم يحدث لها تغيير محسوس في تعداد ١٩٨٦ مقارنة بتعداد ١٩٧٦. ولا يعني ذلك أن الهجرة قد توقفت بين الريف والحضر، ولكن قد يعني ذلك أن تيارى الهجرة من الريف إلى الحضر ومن الحضر إلى الريف قد تقاربا في الحجم، أو أن نسبة أعلى من الحضريين قد هاجروا هجرة خارجية خلال تلك الفترة مما قلل من تأثير هجرة الريفيين إلى الحضر على نسبة كل من السكان الريفيين والحضريين. على أى حال فإنه في ظل عدم وجود دراسات حديثة عن هذا الموضوع لا يمكن الجزم بصحة أى من هذه التفسيرات.

الهجرة من الحضر إلى الحضر

يقصد بهذا النوع من الهجرة انتقال الأفراد من منطقة حضرية إلى منطقة حضرية أخرى. ولقد كان من المعتقد إلى عهد قريب أن هذا التيار ضعيف للغاية غير أن نتائج تعداد السكان بالعينة في ١٩٦٦ وما استتبعها من بحوث أوضحت أن هذا التيار هو أقوى تيارات الهجرة في مصر مقاساً بعدد ما يتضمنه من مهاجرين، يليه قوة من ناحية عدد المهاجرين تيار الهجرة من الريف إلى الحضر، فقد بلغ عدد المهاجرين من الحضر إلى الحضر ١٦٩٨٦١١ مهاجراً بينما بلغ المهاجرين من الريف إلى الحضر ١٣٩٧٤٠٦ مهاجراً في ١٩٦٦. وفي ١٩٧٦ بلغ عدد المهاجرين من الحضر إلى الريف حوالي ٢,٠١٩ مليون مهاجراً، مقابل حوالي مليون مهاجراً من الريف إلى الحضر غير أن هذا التيار لا يحظى بالأهمية التي ينالها

تيار الهجرة من الريف إلى الحضر، لأنه من ناحية لايؤثر على حجم النمو السكاني في الحضر ككل، ولأن المهاجرين من الحضر إلى الحضر عادة ما يكونون أكثر قدرة على التكيف مع الحياة الحضرية في الأماكن المهاجر إليها.

وهناك الكثير من الأسباب التي تدفع الناس إلى الهجرة من الريف إلى الحضر أو التي تجذبهم إلى الحضر بحيث تبدو وكأن هجرتهم أمراً منطقياً للغاية، عكس ما يبدو عند محاولة التفكير في أسباب الهجرة من منطقة حضرية إلى منطقة حضرية أخرى. الحقيقة أن أسباب الطرد والجذب موجودة بالنسبة لكل حركة هجرة أياً كان اتجاهها غير أنه في بعض الحالات قد لا تكون عوامل الطرد كثيرة ولا قوية من حيث تأثيرها كمعامل الجذب أو العكس. والحضر في مصر كما سبق القول يتكون من المدن وهي بلدان متفاوتة تفاوتاً كبيراً من حيث ظروفها، وبالأخص فرص العمل والترقي ومستوى الأجور وما تتمتع به من العديد من الخدمات التعليمية والصحية وغيرها. ومن ثم كان بديهياً أن تكون بعض هذه البلدان أكثر جذباً للسكان الحضريين من غيرهم بحكم ما لها من ميزة نسبية.

الهجرة من الريف إلى الريف

يعتبر هذا التيار أضعف تيارات الهجرة الأربعة، ففي مصر بلغ عدد المهاجرين من المناطق الريفية إلى مناطق ريفية أخرى ٩٨٥٧٣ مهاجراً في ١٩٦٦ ذلك لأنه لا توجد - بالأخص في الوقت الحاضر بعد أن تم استصلاح الكثير من الأراضي البور في الدلتا والوادي - من فرص العمل ولا المميزات الاقتصادية والاجتماعية في معظم المناطق الريفية ما لايوجد في المناطق الريفية الأخرى، فأجور العمال الزراعيين تكاد تكون متقاربة في معظم المناطق وفرص تملك أو استئجار أراضي زراعية حالياً لم تعد أيضاً ميسورة بشكل كبير في منطقة دون أخرى بما يغري بالهجرة، وإذا كانت هناك فروق أو مميزات اقتصادية فإنها لا تكون

بالدرجة من الإغراء ما يجعل زراعا من محافظة معينة يهاجرون للعمل بالزراعة فى ريف محافظة أخرى، وإن حدث ذلك فإن أعداد هؤلاء المهاجرين تكون عادة قليلة للغاية باستثناء أولئك الذين يهاجرون بغرض تملك أو استئجار بعض الأراضى حديثة الاستصلاح تحت إغراء التيسيرات والتسهيلات التى تقدمها الدولة من أراضى ومسكن وحيوانات وقروض وغير ذلك. ولما كان معظم المهاجرين من المناطق الريفية إلى مناطق ريفية أخرى من الزراع أو أبنائهم، ولما كان عددهم قليلاً وصفاتهم وخواصهم الاجتماعية والتعليمية لا تختلف كثيراً عن نظائرهم من الريفيين فإن المناطق الريفية المهاجر منها وإليها - على الأقل فى بلد كمصر - لا تتأثر بمثل هذه الهجرة إلا فى حالات قليلة.

ثانياً: الهجرة الخارجية

يقصد بالهجرة الخارجية انتقال السكان من دولة إلى دولة أخرى بهدف تغيير الإقامة بصفة مؤقتة أو دائمة. على أنه من المتعذر وضع حدود فاصلة بين الهجرة الخارجية الدائمة والهجرة الخارجية المؤقتة، غير أن المهاجر بصفة دائمة عادة ما لا تكون لديه النية للعودة إلى موطنه الأصلي مرة أخرى.

ومعظم المهاجرين المصريين هجرة خارجية دائمة عادة ما يتوجهون إلى الدول الصناعية المتقدمة وخاصة الولايات المتحدة وكندا وأستراليا وبعض الدول الأوربية حيث توجد بهذه الدول فرص العمل والتوظيف والانتاج والإرتقاء المهنى والعلمى، بالإضافة إلى الدخل المرتفع لأصحاب الكفايات العلمية. ولذا فإن أغلب المهاجرين إلى هذه البلدان هم عادة من أصحاب الكفاءات العلمية. أما غالبية المهاجرين المصريين إلى الخارج هجرة مؤقتة فإنهم يتمثلون فى المصريين الذين يذهبون لعمل فترات محددة، غالباً فى الدول العربية البترولية. ولا يعرف على وجه التحديد عدد المهاجرين المصريين إلى الخارج، غير أن عدد المصريين بالخارج فى تعداد ١٩٨٦ يشير إلى أنهم يبلغون أكثر من ٢ مليون نسمة.

ولم يكن لهجرة المصريين للخارج أى وزن منذ بداية القرن الحالى وحتى بداية الستينيات، ولكن خلال الستينيات والسبعينيات تزايدت أعداد المصريين بالخارج بمعدلات كبيرة بسبب الزيادة فى عوائد البترول فى عدد من الدول العربية، وحاجة هذه الدول إلى العمالة المجلوبة فى تلك الدول بدرجة كافية لأسباب ديموجرافية ترتبط بانخفاض عدد السكان، وأسباب اجتماعية وثقافية كتحریم عمل المرأة فى كثير من المجالات. وكانت مصر هى البلد العربى الذى يزخر بأعلى عدد من الكفاءات التى يمكنها تلبية رغبات هذه البلاد.

الآثار المترتبة على الهجرة الخارجية

اهتمت كثير من الدراسات بتحديد الآثار الإيجابية والسلبية لهجرة المصريين للخارج، وبخاصة هجرة العمالة المصرية إلى الدول العربية، وأوضحت نتائج بعض هذه الدراسات أن أهم الآثار الإيجابية لهذه الهجرة تتلخص فى التأكيد على حرية الشخص وحقه فى العمل خارج وطنه وعودته إلى وطنه متى شاء، والتخفيف من الأعباء الناجمة من لتضخم السكانى، وتدعيم العلاقات بين مصر والدول الأخرى، وزيادة موارد الدولة من العملة الصعبة.

أما الآثار السلبية فيتمثل أهمها فى نقص العمالة الفنية المدربة مما أدى إلى ارتفاع أجورها، والتنازلات الوظيفية للعاملين فى دول المهجر مما يكون أحياناً مأساً بالكرامة الوطنية، إهدار قيمة العمل نتيجة حصول المهاجر فى بلد المهجر على أجور مرتفعة مع مجهودات متواضعة بالمقارنة بالحال فى مصر، وارتفاع معدلات التضخم، وتدهور الروابط الأسرية، وتراخى الشعور بالانتماء، وارتفاع نسبة الإعالة، واضطرار الدولة لتعويض نسبة الفاقد فى رأسمالها البشرى بعمالة غير مدربة، واحتمال تعرض العمالة المصرية المهاجرة للاستغناء عنها فجأة.

نتائج الهجرة

للحجرة نتائج واضحة فى حجم وتوزيع وتركيب السكان فى منطقتى الأصل والوصول، ويمكن أن تحدد أهم هذه النتائج فى النواحي التالية:

١- تغير حجم السكان:

يعد تغير حجم السكان من أبرز نتائج الهجرة، وتتحدد ملامح هذا التغير فى اتجاهين عكسيين أحدهما يتمثل فى زيادة السكان فى المناطق المستقبلية سواء كانت مدناً أو مناطق زراعية حديثة العهد بالاستيطان - والآخر يتمثل فى تناقص عدد السكان فى المناطق المرسلة (مناطق الأصل) خاصة الريف الذى يتعرض باستمرار لتناقص سكاني depopulation بسبب الهجرة المغادرة.

الهجرة والنمو الحضرى:

يعد النمو الحضرى الذى شهده العالم فى المائة سنة الأخيرة من السمات البارزة فى نمط توزيع السكان، وقد أسهمت الهجرة إلى المراكز الحضرية بدور كبير فى هذا النمو وخاصة هجرة السكان الريفيين التى أدت إلى خلل شديد فى توازن توزيع السكان بين الحضر والريف.

وقد أدت هذه الهجرات إلى زيادة سكان الحضر، ويرتبط نمو المدن بمعدلات لهجرة إليها والتى تودى إلى تزايد سكان المدينة الأصلية أو التوابع التى تنشأ وتتضخم حولها.

وترتبط الهجرة الريفية - لحضرية بتوطن الصناعة الحديثة ارتباطاً وثيقاً ولذلك فقد أصبحت المدن مراكز توطن صناعى وجذب سكاني بمعدلات تفوق متوسط معدل النمو فى الدولة.

٢- تغير التركيب العمري والنوعى

ومن أبرز الخصائص ظاهرة الانتقاء الهجرى Migration Selectivity، أى اختيار المهاجرين ونوعيتهم، وانعكاس ذلك على خصائص السكان فى مكانى الأصل والوصول.

وتنعكس نتائج الهجرة على التركيب العمري النوعى فى المدن بوضوح حيث يكون الذكور فى أعمار العمل الصغرى هم الغالبية فى المراحل المبكرة للنمو الحضرى. وفى فترات الهجرة العظمى إلى الولايات المتحدة — كانت غالبية المهاجرين من الذكور.

وتؤدى هجرة الشباب نحو المدن إلى تزايد نسبة الأعمار الوسطى بها، بعكس مناطق إرسال المهاجرين.

٣- مشكلات الاختلاط السكانى فى المهجر:

لعل أبرز النتائج المترتبة على الهجرة إختلاط العناصر السكانية فى المهجر مع ما يترتب على ذلك الاختلاط من مشكلات عرقية ولغوية مختلفة سواء بالنسبة للسكان المهاجرين أو السكان الأصليين.

وتظهر المشكلات العرقية بوضوح فى المناطق التى هاجرت إليها العناصر الأوربية الإنجلو ساكسونية، كما هى الحال فى أمريكا الشمالية — أو جنوب أفريقيا، أما فى استراليا ونيوزيلند فلم تظهر هذه المشكلات لقلّة عدد السكان الأصليين.

أما الاختلافات اللغوية، فقد تؤدى إلى مشكلات للسكان فى المهجر. وتظل اللغة لأصلية سائدة لدى المهاجرين، ولا تهمل إلا عند الجيل الثانى أو الثالث خاصة

بين لذكور الذين يدخلون سوق العمل ويضطرون إلى التحدث بلغة المهاجر السائدة حتى يتمكنوا من كسب عيشهم .

وعلى النقيض مما سبق فإن الهجرات الاستعمارية التي أدت إلى انتشار المؤشرات الثقافية كان لها تأثير عكسي، فقد أدخلت اللغات الأوربية إلى مناطق واسعة من العالم وأصبحت هذه اللغات الدخيلة أهم وسائل الإتصال والتفاهم بسهولة بين لسكان.

٤- النتائج الاقتصادية للهجرة:

تتمثل النتائج الاقتصادية للهجرة في عدة وجوه أبرزها إنتقال رؤوس الأموال والمساعدات المالية المباشرة وغير المباشرة، وذلك لأن المهاجرين يدخلون أموالاً إلى المهاجر عند إنتقالهم إليه. وبالإضافة إلى إنتقال رؤوس الأموال من المهاجر إلى الوطن الأصلي للمهاجرين فإن الهجرة تكلف مناطق الاستقبال وتزيد من أعبائها الاقتصادية، فبالإضافة إلى ما تتحمله الدولة المستقبلية من أجور الإنتقال، فإن هناك أعباء أخرى تتمثل في تجهيز المساكن والأراضى والخدمات المتعددة للمهاجرين الجدد.

ومن أبرز النتائج السيئة التي تترتب على الهجرة أن هناك قطاعاً كبيراً من سكان المناطق المتخلفة يهاجرون بدافع الفقر الشديد في بيئاتهم ويؤدي ذلك إلى نتائج وخيمة حيث يكونون عبئاً ثقيلاً على المنطقة المستقبلية.

التغيرات المصاحبة لهجرة الريفيين المصريين إلى الخارج

أوضحت نتائج بعض الدراسات التي أجريت عن هجرة الريفيين المصريين للعمل بالخارج إلى أن هجرتهم قد ترتب عليها أو صاحبها بعض التغيرات الهامة. فقد أشارت نتائج إحدى الدراسات عن الآثار الاقتصادية والاجتماعية للهجرة المؤقتة من إحدى القرى المصرية إلى حدوث تحول واضح في دور المرأة الريفية التي هاجر زوجها، حيث تحولت من زوجة تابعة تماماً لزوجها إلى امرأة تستطيع الاعتماد على نفسها في تسيير أمور منزلها وأولادها أثناء غياب الزوج. كما أوضحت نتائج الدراسة أيضاً أن بعض مدخرات المهاجرين قد وجهت إلى عملية التوسع في مصانع الطوب التي جذبت أعداداً كبيرة من العمالة الزراعية، وأوضح بحث آخر عن بعض المصاحبات الاجتماعية لهجرة الريفيين للدول العربية النفطية أنه قد ارتبط بهجرة المشتغلين بالزراعة تحول أعداد من العمال الزراعيين إلى مهن أخرى، خاصة في مجال البناء، وإن هجرة القرويين للعمل بالدول النفطية لم تقتصر على عمال الزراعة الأجراء فقط، بل شملت صغار الحائزين نتيجة للتضخم وارتفاع أسعار مستلزمات الإنتاج وانخفاض العائد من الزراعة. كذلك فإنه قد صاحب الهجرة تغير في القيم الاجتماعية المتعلقة بالنشاط الاقتصادي لصالح مهن أخرى غير الزراعية كالحرف، كما زادت حدة المضاربة على الأرض الزراعية، وحدث أيضاً تغير في بعض الأدوار الاجتماعية التقليدية للمرأة القروية، خاصة أدوارها على مستوى المجتمع المحلي، وصاحب هجرة الآباء للعمل بالدول العربية خلل في بعض وظائف الأسرة القروية، خاصة وظيفة التنشئة الاجتماعية.

وقد أوضحت نتائج دراسة أجراها أبو مندور وآخرون أن أوجه التصرف في المدخرات التي كونها المهاجرون للخارج قد تمثلت في شراء أجهزة منزلية، تسديد الديون، شراء أرض للبناء وبناء منزل وأخيراً شراء ماشية وتوصلت دراسة أخرى إلى نتائج مشابهة حيث أوضحت أن أهم مجالات الاستثمار للتحويلات النقدية

هى على الترتيب بناء منزل، شراء أرض زراعية، شراء أرض بناء، زواج المهاجر أو تزويجه لبعض أبنائه، شراء سيارة أو جرار زراعى، فتح محل بقالة وعمل بالتجارة، وإنشاء مزرعة دواجن أو إنتاج حيوانى (دهود، ١٩٨٤).

وقد بينت إحدى الدراسات عدة آثار ترتبت على هجرة القرويين للعمل بالخارج من بينها انخفاض نسبة السكان فى فئات العمر الوسطى، التحسن الملحوظ فى الحالة التعليمية للسكان، تأجيل الزواج، زيادة التحول إلى نمط الأسرة النووية، رفع مستوى معيشة الأسرة، توسيع دور المرأة فى الحياة الاقتصادية للأسرة (أبو المكارم، ١٩٨٧).

وتوصلت دراسة الأشمونى (١٩٩٣) إلى عدة نتائج توضح حدوث تغيرات بنائية وظيفية فى الأسرة الريفية كنتيجة لهجرة وعودة رب الأسرة، من بين هذه التغيرات: تغير تركيب الأسرة من ممتدة أو مركبة إلى بسيطة، ارتفاع مستوى المعيشة، زيادة حجم الحيازة الزراعية، انخفاض درجة الاكتفاء الذاتى للأسرة، زيادة درجة التماسك الأسرى، تغير فى الأدوار الوظيفية لأفراد الأسرة، وتقلص سلطة كبار العائلة فى اتخاذ القرارات السرية.

مما سبق يتبين أن هجرة بعض السكان الريفيين للعمل فى الدول العربية قد ترتب عليها بعض الآثار الاقتصادية والاجتماعية المتباينة، وعموماً فإن ظاهرة هجرة المزارعين قد غيرت بعض الأفكار الشائعة عن سلبية الفلاح المصرى، وعدم رغبته فى المخاطرة والتصاقه الشديد بأرضه.

الباب الثالث

الثقافة المصرية

- تعريف الثقافة
- مكونات وتنظيم الثقافة
- أوجه التشابه والاختلاف بين الثقافات
- التغير الثقافي
- العمليات الثقافية

تعريف الثقافة

الثقافة (Culture) مصطلح هام فى كل العلوم الاجتماعية وبقد اهتم علم الأنثروبولوجيا بوجه خاصه بدراسة الثقافة دراسة تفصيلية متعمقة وأسفرت دراساته عن قدر كبير من المعارف العلمية التى تمتلئ بها حالياً الكثير من الكتب والمراجع والمقالات العلمية وسوف نحاول فى هذا المجال توضيح كل من المعنى العلمى والمعنى الدارج للثقافة وبيان ونشأتها وطبيعتها وخواصها.

إلى جانب ذلك سوف نوضح الفرق بين الثقافة والمدنية، وأسباب الاهتمام بدراسة الثقافة، ولصعوبة التعرف على أصل الثقافة، والأساس البيولوجى للثقافة وأهمية الجماعات الإنسانية فى اكتساب الثقافة، تلك المعارف تعتبر ضرورية للطلاب المبتدئ الذى يرغب فى فهم المجتمع ومكوناته ووظائفه وخصائصه فدراسة الثقافة تساعد على تحقيق ذلك.

حاول الكثيرون من علماء الأنثروبولوجيا تحديد المقصود بالثقافة ولجأ بعضهم إلى وضع تعاريف محددة لها بينما اكتفى البعض الآخر بتنفيذ وشرح ما بعده هذا المصطلح الهام. ومن بين التعاريف العديدة للثقافة ذلك التعريف الكلاسيكى لعالم الأنثروبولوجيا الانجليزى Edward Tylor الذى قد ورد فى كتابه Primitive Culture والمنشور فى لندن ١٨٧١ والذى جاء به أن الثقافة هى: ذلك الكل المعقد الذى يتضمن المعارف والعقائد والفن والأخلاق والقانون والتقاليد والقدرات والعادات الأخرى المكتسبة بواسطة الإنسان عضو فى المجتمع.

وهناك بعض العلماء الذين يضيفون إلى هذا التعريف أشياء أخرى ويشيرون بوجه التحديد إلى أن عبارة القدرات والعادات الأخرى إنما يتضمن أيضاً اللغة

والأساليب التكنولوجية المستخدمة فى صنع واستعمال الأدوات، ويرغبون أن يكون واضحاً أن طرق السلوك والتفكير والشعور المشتركة هى أيضاً جزء من الثقافة غير أن مضمون تعريف Tylor dukn يعنى كل هذه الأشياء وأن لم يكن تفصيلاً فالثقافة هى السلوك المتعلم وأنماط السلوك المتعلمة أى كل طرق أو أنماط التفكير والشعور بل والآراء المشتركة، ومن الجدير بالذكر أن تعريف Tylor للثقافة - رغم قدمه ورغم وجود تعاريف كثيرة أخرى أضيفت من بعده - لا يزال يلقى قبولاً عاماً إلى حد كبير لدى الكثير من العلماء الاجتماعيين.

وقبل أن ننتهى من الكلام على التعريف للثقافة ربما يجد أن نورد تعريفاً آخر حتى يتبين منه مدى اتفاق أو اختلاف التعاريف بعضها عن بعض. يعرف جون كوبر الثقافة على أنها الأنماط دائمة التغير من السلوك المتعلم ومنتجات هذا السلوك المتعلم (بما فى ذلك الاتجاهات والقيم والمعارف والأشياء المادية) التى يشترك فيها أفراد المجتمع وتنتقل فيما بينهم، ويقت المولف النظر بوجه خاص فى هذا التعريف إلى الحقائق الآتية:

- ١- أن سلوك الناس عموماً متعلم.
- ٢- أن الثقافة منظمة فى أنماط.
- ٣- أن هذه الأنماط ناتجة عن تعليم (شعورى أو لا شعورى) من الناس الآخرين.
- ٤- أنها توجد فى شكل أشياء مادية وأفكار وعادات وأيضاً اتجاهات ومعارف معنوية.
- ٥- أنها تميل إلى أن تكون إلى حد ما عامة ومشاركة بين أعضاء المجتمع تتعلم من الآخرين وتعلم للآخرين بطريقة لا شعورية إلى حد كبير.
- ٦- أن هذه الطرق فى الأداء والطرق فى التفكير تكون نمط حياة الناس.
- ٧- أن هذه الطرق متغيراً باستمرار.

ولعله واضحاً من هذا التعريف أن جون كوبر إنما ينظر إلى الثقافة على أنها السلوك المتعلم وأنماط السلوك المتعلقة المتغيرة التي يشترك فيها الناس ويتناقلوها فيما بينهم، وهذا ما يتفق تماماً مع تعريف تيلو السابق توضيحه، غير أنه يختلف معه في أنه يعتبر الأشياء المادية الثقافية جزء من الثقافة وبمعنى آخر ينظر إلى الثقافة على أنها تتكون من ماديات ومعنويات.

المفهوم الدارج للثقافة:

اتضح من المفهوم العلمي للثقافة أنها السلوك المتعلم وأنماط السلوك المتعلمة التي يقتبسها الفرد من غيره من الأفراد في المجتمع وينقلها بدوره إلى الأفراد الآخرين وهذا يعني أن كل فرد في المجتمع - باستثناء المولود حديثاً - له ثقافة على عكس ما يعتقد الكثيرون ممن يستخدمون لفظ "ثقافة" بالمعنى الدارج لوصف الأفراد الذين يطلقون عليهم دراجياً بالمتقنين كالعلماء والمهندسين والكتاب والصحفيون وذوى الآداب الرفيعة الذين يحسنون الجلوس على الموائد واستخدام أدوات الطعام المختلفة أو استقبال الناس ومعاملتهم بطريقة حسنة والذين يعرفون القواعد الخاصة (التيكيت) بالسلوك المناسب في المواقف المختلفة أو الأفراد من حملة الشهادات أو أولئك الذين يهتمون بالنواحي الفنية والأدبية والموسيقية.

مثل هؤلاء قد يكونوا فقط أحسن حظاً من غيرهم من أفراد آخرين بحكم تمتعهم بأحسن ثمرات ثقافتهم، ووفقاً لهذا المعنى الدارج للثقافة فإن الأفراد غير المتقنين هم أولئك الذين يتصفون بصفات عكس الصفات المذكور أعلاه والذين لا يتمتعون على القل بمثل هذه الصفات، هذا المعنى الدارج للثقافة بعيداً كل البعد عن معناها العلمي والذي يعني أنها طريقة حياة جماعة من الناس يشترك أفرادها فيها بدرجات متفاوتة فكل الناس في المجتمع لهم ثقافة، ولو أن مختلف الأفراد ومختلف الجماعات لها ثقافات مختلفة.

فالعامل الأميين غير المهرة فى المزارع والمصانع والمناجم وجامعى القمامة فى الشوارع وغيرهم جميعهم لهم ثقافة شأنهم فى ذلك شأن من يسمون بالمتقنين من أفراد المجتمع رغم أن هؤلاء الوسائل ربما لم يدخلوا مدرسة أو معهداً عالياً ولم يسمعوا قط عن أى عالم أو أديب أو موسيقى موهوب أو ممثل مشهور كما أنهم لا يعرفون شيئاً عن أى إنتاج علمى أو أدبى أو موسيقى أو فنى ذات قيمة عالية أو منخفضة، أنهم قوم يكدون ويكدحون طوال يومهم للحصول على قدر ضئيل من الدخل يواجهون به احتياجاتهم اليومية الضرورية، خبراتهم ومعارفهم وقدراتهم وكفاءتهم محدود للغاية ومع ذلك فإن لهم ثقافة شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من الأفراد الآخرين بالمجتمع، وبالمثل يمكن أن يقال بالنسبة لربة البيت العادية التى تمضى طوال يومها فى أداء الأعمال المنزلية لديها هى الأخرى ثقافة شأنها فى ذلك شأن الطيبة أو الأدبية أو نجمة السينما أو الأوبرا اللامعة.

وربما يعزى الخلط الذى لا يزال يحدث بين المعنيين العلمى والدارج للثقافة كما يقول J.B. McKee إلى أنه فى الماضى وعلى وجه التقريب فى منتصف القرن التاسع عشر كان يستخدم لفظى الثقافى والمدنية فى الدراسات الأنثروبولوجية لوصف طريقة الحياة السائدة فى أنواع من المجتمعات بينما يستخدم لفظى الوحشية Savage والبربرية لوصف طريقة الحياة فى مجتمعات أخرى.

فالمصطلح ثقافة - من الناحية التاريخية - نشأ فى محيط التفرقة والتمييز بين أنواع الحياة الاجتماعية للسكان فى المجتمعات المختلفة إلا أنه عندما وضع Tylor تعريفه المشهور فى ١٨٧١ أصبح المصطلح "ثقافة" لا يقصد به بالمرّة مدلوله القديم وإنما أصبح يطبق على كل المجتمعات المتحضرة البدائية والمتقدمة والمتخلفة على السواء. كل الناس لهم ثقافة بل لا بد أن يكون لهم ثقافة.

ولقد أوضح McKee أن العالم البريطانى Raymond Williams قد تتبع فى مؤلفه "الثقافة والمجتمع" (١٨٧٠ - ١٩٥٠) والمنشور فى ١٩٥٩ التطورات التى طرأت على استخدام لفظ ثقافة بواسطة المفكرين البريطانيين منذ أوائل القرن الثامن عشر فتيين له أن الثقافة تستخدم بالمفهوم الذى تستخدم به حالياً منذ بداية المجتمع الصناعى ومنذ حدوث التغيرات الثورية فى الحياة الاجتماعية التى جاءت مع التصنيع، ويقول أنها أحد كلمات خمسة هامة أصبحت مهمة لاعطاء معنى للخبرات التى جاءت مع هذه التغيرات الكبيرة والكلمات الأخرى هى: الديمقراطية - الصناعة - الطبقة الفن. وعلى الرغم من المجهودات الكبيرة التى قام بها العلماء الاجتماعيون وبالأخص الأنثربولوجيون لتعريف الثقافة وعلى الرغم من الكتابات التى كتبت فى هذا الشأن فإنه لا يزال هناك عدم اتفاق تام على مدلول هذا المصطلح الهام.

الثقافة والمدنية

على أن ثمة خلط آخر كثيراً ما يحدث بين المصطلحين الثقافة (Culture) والمدنية (Civilization) وهو خلط يجب أيضاً تفاديه، فقد أوضحنا قبلاً المفهوم العلمى للثقافة فما هو إذن المقصود بالمدينة؟ أى ساكن المدينة وهى كلمة تعنى عكس كلمة بدائى Frimitive، وعندما يقال المجتمعات المتمدينة يقصد بذلك المجتمعات الحضرية الكبيرة ذات النظام الاقتصادى والسياسى والاجتماعى المعقد، وعندما يقال المجتمعات البدائية إنما يقصد بذلك المجتمعات الصغيرة البسيطة التى لا تحتوى على الأنظمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الكبيرة والمعقدة.

بالطبع هناك سمات كثيرة جداً تتصف بها كل من المجتمعات المتمدينة والمجتمعات البدائية ليس هنا مجال التعرض إليها لكن المهم أن نشير إلى أن لفظى متمدين وبدائى أنهما إلا مصطلحين لوصف نوعين من المجتمعات تختلف عن بعضهما من حيث التركيب والبناء والوظائف والخواص وأنه سواء أكانت

المجتمعات متمدينة أو بدائية فإن لكل منها ثقافتها وعلى ذلك فليس هناك ثمة ما يدعو للخلط بين الثقافة والمدنية فلفظ ثقافتها وعلى ذلك فليس هناك ثمة ما يدعو للخلط بين الثقافة والمدنية فلفظ ثقافة لا يجب أن يكون مرادفاً للفظ مدنية لأن المدنية لفظ يصف نوع الحياة في مجتمعات معينة بمقارنتها بنوع الحياة في مجتمعات أخرى بينما لفظ ثقافة يعنى طريقة الحياة في أى مجتمع انساني متمدين كان أو بدائي.

على انه يجب الإشارة إلى أن بعض الأنثروبولوجيين لم يعودوا يرغبون في استخدام لفظ بدائي لوصف الثقافة التي تتصف بها المجتمعات البسيطة غير المعقدة لأن كلمة بدائي تعنى للكثيرين التخلف وتوحى بالاعتقاد بأن المجتمعات مرتبة على سلم الرقي كل تقف في مكان معين، أنهم يميلون حالياً لاستخدام لفظ Nonliterate Societies وهو لفظ يقصد به المجتمعات التي ليس لها لغة مكتوبة بدلاً من لفظ Frimitive Societies، وأحياناً ما يستخدم أيضاً لفظ Freliterate ولكن نظراً لأن هذا اللفظ الأخير قريباً من لفظ Frimitive فأن البعض يفضل استخدام لفظ Nonliterate.

وأخيراً أيا كانت المصطلحات المستخدمة لوصف مختلف أنواع المجتمعات وإيا كانت التعاريف المستخدمة في الدلالة على الثقافة فإنه يجب أن لا نخلط بين المجتمع والثقافة، يقول ساذرلاتد وأيضاً زملائه أن المجتمع عبارة عن مجموعة من الناس تعيش في مكان معين مميزة عن غيرهم من الناس حيث سلوكهم الحقيقي أي من حيث طريقة تفكيرهم وطريقة شعورهم وانفعالهم، ومن هنا يمكن التمييز بين المجتمع والثقافة فعندما نركز الاهتمام على الناس ونرى كيف أنهم كأفراد وكمجموعات صغيرة مرتبطون ببعض في وحدة واحدة منظمة إلى حد ما ومميزة عن غيرها من الجماعات المنظمة الأخرى في هذه الحالة تكون نتحدث عن المجتمع.

أما إذا تحدثنا عن أنماط سلوك الناس تقاليدهم وعقائدهم ولغتهم وطرق تفكيرهم وشعورهم وأفعالهم المشتركة والتي ترتبط ببعضها في نمط عام فأنتنا في هذه الحالة نكون نتحدث عن الثقافة، ويقول ساذرلاند أن Ralph Linton قد فرق ببساطة بين المجتمع والثقافة بقوله "أن المجتمع مجموعة منظمة من الأفراد بينما الثقافة مجموعة منظمة من ردود الأفعال المتعلمة التي يتصف بها مجتمع معين.

أسباب الاهتمام بدراسة الثقافة

يعزى الاهتمام بدراسة الثقافة إلى عوامل عديدة منها:

١ - حب الاستطلاع

رغبة الإنسان في التعرف على كيف بدأت الخليقة على سطح الأرض وكيف نشأت التجمعات الإنسانية الأولى وكيف تطورت أشكالها ووظائفها وأوجه نشاطها كل ذلك وغيره دفع الكثيرين من الأفراد على مر العصور إلى محاولة الوقوف على قصة حياة الإنسان على سطح الأرض، ولقد كانت فيما مضى بعض المعارف المتوصل إليها - خاصة عن نشأة الإنسان - أحياناً تتعارض مع العقائد الدينية السائدة غير أنه حالياً أصبحت الكثير من المعارف العلمية في هذا الشأن مقبولة بصفة عامة والقليل جداً منها ما يتعارض مع هذه العقائد الدينية.

ويسعى علماء الأنثروبولوجيا إلى محاولة دراسة المجتمعات البدائية البسيطة بوجه خاص قبل أن تنقرض هذه المجتمعات لأنها فعلاً أخذت في الزوال، أو قبل أن تتأثر طريقة الحياة بها من جراء اختلاطها بالمجتمعات المتمدينة المعاصرة بسبب سهولة الانتقال والاتصال في الوقت الحاضر، انهم يهدفون من وراء ذلك إلى محاولة استكمال التعرف على المجهول من المعارف الخاصة بنشأة وتطور الثقافة في المجتمعات المختلفة على مر الأزمنة المختلفة، أن تاريخ الإنسان على سطح الأرض لا يزال يكتنفه الكثير من "عموص هذا الغموض يكتشف بعض جوانبه من

أن لأخر بفضل البحث والتنقيب وحب الاستطلاع الذى يساور الكثيرين من العلماء والباحثين المتخصصين فى علمى التاريخ والأنثروبولوجيا بوجه خاص.

٢- الرغبة فى الاستفادة بخبرات الماضى وتجاريه:

ان دراسة الماضى وما ينطوى عليه من خبرات عديدة كانت أيضاً دافعاً وراء الرغبة فى تقصى الحقائق المتعلقة بالخبرات السابقة املاً فى أن تساعد هذه الحقائق فى فهم مشاكل الحاضر وربما فى حلها، لقد أظهرت بعض الاكتشافات على ان الناس فى مختلف المجتمعات حتى البسيط جداً منها وفى مختلف العصور مرت ببعض التجارب والخبرات التى لا يجب الاستهانة بقيمتها أو التقليل من قدرها أو من أهميتها وأن الالمام بهذه التجارب والخبرات يعتبر مفيداً للغاية.

فلو أمكن مثلاً التعرف على كيف نشأت وتطورت أنظمة التحكم وأنظمة الأسرة والأنظمة الاقتصادية والأديان وغير ذلك لأمكن الاستفادة من كل هذه المعارف لا فى الأنظمة القائمة حالياً فحسب بل وفى ادراك أوجه القوة والضعف فى كل منها، ومميزات وعيوب كل نظام من واقع الخبرات السابقة والمشاكل والصعوبات التى تعرض لها كل نظام حتى يمكن تفادى الوقوع فى مثلها، أن خبرات الماضى كثيراً ما تكون أكبر عون فى حل مشاكل الحاضر وفى التخطيط للمستقبل.

٣- الرغبة فى فهم المجتمع وما ينتابه من تغيرات:

دراسة الثقافة بكل ما تتضمنه من معنويات كالتقاليد والعادات الشعبية والعرف والقوانين والعلوم والفنون والآداب والتكنولوجى المستخدم وغير ذلك، وبكل ما تتضمنه من منتجات مادية يساعد على التعرف على اصل أو نشأة العناصر الثقافية والأنماط الثقافية القائمة عليها والتغيرات التى تطرأ عليها أو تنتابها، أن السلوك المتعلم لأفراد المجتمع وأنماط ذلك السلوك المتعلم (أى الثقافة) هى التى

تشكل طريقة الحياة فى المجتمع كما سبق القول ومن ثم فإن دراسة الثقافة وما يطرأ عليها من تغيرات يساعد على فهم بل ويعتبر أمراً ضرورياً لفهم التركيب البنائى والوظيفى للمجتمع.

٤- لزيادة الفهم المتبادل بين المجتمعات ذات الثقافات المختلفة:

دراسة مكونات الثقافات المختلفة من شأنه أن يفسر أوجه الشبه والخلاف بين هذه الثقافات، كثيراً ما تختلف طرق سلوك وطرق تفكير واتجاهات الناس من مجتمع لآخر اختلافاً كبيراً لدرجة أن ما قد يعتبر صواباً فى مجتمع قد يعتبر خطأ فى مجتمع آخر وما قد يعتبر عفة فى مجتمع قد يعتبر فجوراً فى مجتمع آخر، ولو أن هناك ادراك واعى لحقيقة أسباب التشابه والاختلاف هذه تساعد ذلك على إزالة الكثير من سوء الفهم والغموض الذى يسود تفكير الناس فى المجتمعات المختلفة تجاه ثقافات بعضهم البعض ولساعد كثيراً على إقامة علاقات طيبة بين المجتمعات على اساس من الفهم والاحترام المتبادل.

هذا بالإضافة إلى أن كل ثقافة تقريباً يوجد بها من الأشياء القيمة ما لم يوجد له شبيهه فى ثقافة أخرى، دراسة الثقافات المختلفة تساعد على التعرف على كل هذه الأشياء وتيسر من امكان الاستفادة عن طريق الاقتباس بما توصل غليه الناس فى مجتمعات أخرى من أشياء معنوية أو مادية قيمة بعد تكييفها وتعديلها أو تحويلها بما يتناسب وظروف كل مجتمع.

صعوبة التعرف على أصل الثقافة:

على الرغم من التقدم العلمى الكبير الذى وصل إليه الانسان فى العصر الحاضر فى مختلف الميادين إلا أنه مع الأسف لا يوجد حتى الآن معلومات عملية دقيقة تجيب على الاستفسارات المتعلقة بمتى وأين وكيف بدأ الإنسان فى خلق ثقافة

على الرغم من أن الكثير من الأفراد على مر العصور كانوا يسعون للوصول إلى اجابات مرضية عن هذا الشأن، لم يكن كل هؤلاء الأفراد من العلماء بل كان منهم رجال الدين والفلاسفة والمصلحون، بعض هؤلاء وصل إلى عدة تفسيرات واستنتاجات عن نشأة الثقافة ولكن من الصعب اثبات صحتها عن طريق البحث العلمى الميدانى لأن فترة ما قبل التاريخ مليئة بالغموض، ومن ثم فإن مشكلة التعرف على نشأة الثقافة لا تزال تتحدى جهود الباحثين والعلماء حتى اليوم.

وربما يعزى الاخفاق العلمى فى معرفة نشأة الثقافة إلى عوامل عديدة منها أن البحث العلمى فى هذا الشأن بدأ منذ عدة أجيال قليلة فى الوقت الذى تعتبر المصادر الأركيولوجية المسئولة أن بعض المعالم الأولى للثقافة بدأت فى الظهور منذ حوالى مليون سنة قبل الميلاد، ومن هذا يتبين مدى الفترة الزمنية الطويلة التى انقضت منذ بداية ظهور الثقافة على سطح الأرض وهذا من شأنه أن يصعب على اى باحث مهما كانت قدرته أن يكون لديه من الأدلة العلمية ما يوضح حقيقة نشأة الثقافة أى متى وأين وكيف نشأت على وجه التحديد، وإذا ما اعتبر أن أصل اللغات والحياة والاجتماعية والأسرية واستعمال الآلات ترجع إلى عصر ما قبل الإنسان Pre-Humen فإن المشكلة تصبح والأمر كذلك أكثر تعقيداً.

لقد سبقت الثقافة كافة السجلات المكتوبة سواء الموجودة أو التى كانت موجودة فيما مضى ومن ثم فإن كافة الحقائق التاريخية مهما أرتدت إلى الوراء لا يمكن أن تجيب على وجه التحديد على كيفية نشأة الثقافة فأصول الكثير من الأشياء الثقافية تائهة فى الغموض الذى تتصف به الحقبة الأولى من تاريخ حياة الإنسان على سطح الأرض لكن رغم أن الكثير من الأدلة عن حياة الإنسان فى الأزمنة الماضية قد ضاعت أو غير معروفة إلا أن العلم لا يخلو من بعض المعارف التى يستند بها عن الماديات الثقافية من الأزمنة القديمة والتى لم تفتى مثل الحجارة

والآلات والرسومات الموجودة على جدران الكهوف والتي يمكن ملاحظاتها ودراستها.

العناصر الثقافية والمعنوية عن الفترات السابقة هي التي لا يزال من الصعب تجميعها ومعرفتها لأنه كما سبق أن أوضحنا قبل ظهور الكتابة أو الرسم لم يكن هناك وسيلة ملموسة لشرح كيف يعيش الناس أو كيف يفكرون وفي أي شيء يفكرون ولماذا اخترعوا أشياء دون أشياء أخرى إلى غير ذلك ولو أنه من الممكن التوصل إلى بعض الآراء والاستنتاجات من فحص الأشياء المادية التي تركها الناس في الأزمنة الماضية غير أنه من الصعب أن ندرك ثقافتهم تماماً خصوصاً وأن الأشياء المادية وحدها لا تحكي قصة حياتهم الاجتماعية كاملة.

وعلى أي حال فإن كل ما يسعى إليه الباحثون من وراء دراستهم للعناصر الثقافية مادية أو معنوية عن هذه الحقبة الماضية من تاريخ حياة الإنسان هو أنه بالتحليل والاستنتاج ربما يستطيعون تكوين فكرة عن نشأة هذه العناصر الثقافية لكن ذلك ليس أمراً سهلاً لأنه لا يوجد وقت معين نشأت فيه أي سمو أو مركب أو نمط ثقافي معين فلا يعرف مثلاً متى نشأت الدولة أو الأسرة؟ لابد أن هناك ظروف كثيرة حدثت الواحدة تلو الأخرى سبقت ذلك وأدت في النهاية إلى بداية ظهور الحكومة والدولة والأسرة، ربما نشأت الحكومة تدريجياً نتيجة لوجود تآلف جنسى بين الأفراد، وهكذا الحال بالنسبة لأي سمة ثقافية أو مركب أو نمط ثقافي آخر جاء تدريجياً نتيجة حدوث شيء تلو الآخر نتيجة ظروف معينة حتى أصبح كما هو عليه حالياً أن كان لا يزال موجوداً وليس هناك أي تاريخ محدد يمكن أن يقال أن فيه ظهر عنصر ثقافي معين، ومن ثم يمكن القول أن مكونات الثقافة نشأت تدريجياً كما نشأت الأرض والكون بأجمعه، هذه هي الأقل فكرة التطور من الناحية العلمية.

الأساس البيولوجى للثقافة

ان الشكل الموجود عليه الإنسان حالياً جاء بعد فترة طويلة جداً من التطور البيولوجى، ربما موت ملايين من السفين إلى أن وصل الجنس البشرى إلى ما وصل إليه حالياً من صفات بيولوجية، ولن نتعرض فى هذا المجال لنشأة وتطور الإنسان وصفاته البيولوجية فى كل مرحلة من مراحل تطوره ومكانته فى المملكة الحيوانية فهذا أمر تناوله بالتفصيل علماء الانثروبولوجيا وعلماء البيولوجيا وكتبوا عنه الكثير من الكتب والمراجع العلمية، أننا سوف نهتم هنا بالإنسان المعاصر بصفاته البيولوجية الراهنة لأننا أساساً نستهدف التعرف على نشأة الحياة الاجتماعية للإنسان أكثر من التعرف على تطور خواصه البيولوجية.

الثقافة لها أساس بيولوجى لا يمكن اهماله ولا التغاضى عنه. لابد من دراسة الإنسان ككائن بيولوجى ذو قدرة على خلق وحمل ونقل الثقافة، لننظر إذن إلى بعض الخواص البيولوجية للإنسان التى ساعدته ومكنته على خلق ثقافة، الإنسان حيوانكفيره من الحيوانات الأخرى الموجودة على سطح الأرض، وكمحيوان فإنه يشترك مع سائر الحيوانات فى بعض الصفات البيولوجية والتى منها أنه كائن حى يتكون من مادة بروتلازمية حساسة، يتناول الطعام ويخرج الفضلات ويولد طاقة، مشكلته كغيره من الحيوانات تتضمن ضرورة تكيف نفسه للبيئة التى يعيش فيها وإشباع احتياجاته ودوافعه البيولوجية الموروثة والتى منها احتياجاته للمأكل والمشرب والراحة والحركة.

ومن صفات الإنسان أنه يحاول أن يحتفظ بدرجة حرارة جسمه يتنفس ويتولد لديه الرغبة للاختلاط الجنىسى، هذه الاحتياجات او الدوافع الفطرية تفرض الشعور بها عن طريق خلق حالة من التوتر أو عدم التوازن العضوى الذى يحمل على التفكير فى اشباعها، وكسائر الحيوانات الثديية يتصف [أنه يتكون من جنسين

(ذكر وأنثى) وبأنه من فصيلة الحيوانات ذات الدم الحار وبأنه يلد أطفاله أحياء. ومثل Frimates والتي منها القرود والشمبانزى والجوريل لا يعرف موسماً معيناً للاختلاط الجنسي ولا للتوالد بل يتم ذلك عادة فى أى وقت على مدار السنة وولد عادة مولوداً واحداً وبعد فترة طويلة نسبياً من الحمل، والمولود يكون عادة غير قادر على إعالة نفسه لمدة طويلة نسبياً بعد الولادة. كل هذه الصفات البيولوجية ذات أهمية قصوى وتستوجب اعتبارات خاصة بالنسبة للمجتمع الإنسانى والثقافة.

ورغم وجود هذه الصفات التى يشترك فيها أفعسان مع سائر الحيوانات الأخرى فإنه يختلف عنها فى أنه ورث القليل جداً من أنماط السلوك الغريزى باستثناء بعض ردود الفعل أى الانعكاسات الأوتوماتيكية مثل انقباض عدسة عينة فى حالة التعرض للضوء الشديد جداً وإفراز غدده للعاب عندما يكون جائعاً وأمامه طعام، وتقلص عضلاته عند الشعور بالألم، وتحكم جهازه العصبى فى تنفسه ودقات قلبه وعمليات هضمه وإخراجه بقليل جداً من التكييفات الإرادية من جانبه، باستثناء هذه الانعكاسات الموروثة فإنه لا يوجد نمط محدد لرد الفعل.

ومع أن الكثير من السلوك الحيوانى يتحكم فيه غريزياً إلا أنه يجب الإشارة إلى أن السلوك الغريزى يزداد فى الكائنات الحيوانية الدنيا، والإنسان بوصفه أرقى الكائنات الحيوانية فإن كل سلوكه تقريباً سلوك ارادى وليس غريزى. والغريزة هى طريقة سلوك موروثة لها أساس فسيولوجى يحدد السلوك بوضوح ويكون عام فى نفس الجنس من حيث التعبير عنه، ولعل من الجدير بالذكر أن نشير أن العلماء الاجتماعيين لم يعودوا يرغبوا فى استخدام ما يسمى بالغرائز حيث لم يعد لها قيمة تذكر فى وصف السلوك الإنسانى.

وفضلاً عن هذا الاختلاف فإن الإنسان يختلف أيضاً عن سائر الحيوانات فى أنه ينقصه القدرة البيولوجية فى أن يكيف نفسه لظروف بيئية معينة، فالأدب له فرو

كثيف والفيل له جلد سميك والسمك له قشر وزعانف كل هذه تجعل كل منها قادراً على المعيشة فى بيئة معينة، قليل جداً من الحيوانات يناسبها المعيشة فى أكثر من نوع واحد من الطقس لعدم قدرتها على أن تكيف نفسها للمعيشة والحياة فى البيئات المختلفة لأن تركيبها البيولوجى لا يمكنها من ذلك ومن ثم فأنها وجدت موزعة على سطح الأرض كل فى الأماكن التى تناسبها أما الإنسان فإنه على العكس من كل ذلك تماماً فكما ينقصه الأنماط المحددة من السلوك فإنه ينقصه التكيفات البيولوجية المحددة، ولكن هذه كلها ميزات وليست قصوراً فالإنسان كائن مرن لديه القدرة على التكيف مع الظروف البيئية التى يعيش فيها ومن ثم فإنه استطاع أن يعيش تحت الظروف المتباينة المختلفة على سطح الأرض.

على أن هناك ثلاث صفات بيولوجية هامة يتميز بها الإنسان عن الحيوانات الأخرى باستثناء Higher Primates ومنها القردة (Great Apes) (الجوريل) والشمبانزى). هذه الصفات الثلاث هى:

- ١- أن لديه يدين يمكن بواسطتهما مسك الأشياء Prehensile hand وأصبع يستطيع أن يجعله عكس أى أصبع آخر.
- ٢- وأنه عن طريق عموده الفقرى وشكله القائم استطاع الوقوف على رجليه الطويلتين فحرر بذلك يديه لعمل الأشياء وقد ساعد على ذلك أيضاً أن خفى رجليه تحميانه من أى صدمة قد تؤثر على مخه عند المشى.
- ٣- وأن لديه قوة ابصار واسعة وكبيرة يستطيع ببصره أن يرى - لمسافات بعيدة وأن يركز بصره على الأشياء التى تقع على مسافات مختلفة غير أن هذه الصفات وحدها لم تمكن القردة ولا Great apes من خلق ثقافة.

والذى جعل الإنسان مميزاً عن غيره من أفراد المملكة الحيوانية ومن ثم قادراً على خلق ثقافة هو ثلاث صفات بيولوجية أخرى انفرد بها عن سائر الحيوانات وهى:

- ١- أنه له جهاز عصبي على درجة عالية من التعقيد.
- ٢- أنه له مخ كبير يصل في حجمه إلى ثلاث أمثال حجم مخ الجوريللا ومعقداً جداً حيث ينتهي إليه ملايين أطراف الأعصاب المنتشرة بالجسم.
- ٣- أن جهازه الصوتي متصل بمنطقة كلامية متطورة في المخ مما جعله قادراً على ربط الكلمات في جمل والتعبير عنها بوضوح وقد ساعد على ذلك أن ليس لديه بحكم تركيب مخه معوقات تعوق تحريك لسانه في الاتجاهات المختلفة إذ أن أنيابه صغيرة كسائر أسنانه الأخرى تقريباً. من حيث الحجم كما أن فكوكه صغيرة أيضاً وإن كانت أقل قوة وأقل قدرة على كسر الأشياء بمقارنتها بفكوك وأسنان الـ Primates.

لكل هذه الصفات البيولوجية استطاع الإنسان أن يكون له لغة ورموز وإشارات يتفاهم بواسطتها مع غيره من الأفراد كما استطاع الإنسان بفضل خواص جهازه العصبي وجهازه الصوتي ومخه أن يتعلم ويتذكر ويفكر ويتبأ وبذلك أمكنه سائر الحيوانات الأخرى عمل ثقافة كما أصبح في استطاعته اكتسابها من الآخرين ونقلها لغيره.

وإذا كان الإنسان هو الكائن الحيواني الوحيد ذو الثقافة فكيف يفسر سلوك بعض أنواع الحيوانات والذي يتسم بالفهم والإدراك والذكاء والذي يشابه في بعض النواحي من سلوك الإنسان. هناك على ما يبدو اتفاق عام بأن الحيوانات غير الإنسانية ليس لديها المقدرة اللازمة لخلق ونقل ثقافة لعدة أسباب منها:

- ١- أن الحيوانات لا تستطيع عمداً أن تعلم غيرها من الحيوانات أى طريقة سلوك أو تفكير أو اتجاه معين، أو على الأقل ليس هناك من الأدلة على أنها تفعل ذلك. هذا على الرغم من أن لدى بعضها القدرة على تعلم بعض أنواع السلوك كما يبدو ذلك بوضوح من السلوك المتعلم لبعض القردة والكلاب.

٢- لا يمكن للحيوانات أن تقوم بعملية تجميع ونقل العناصر الثقافية وعلى ذلك فإن كل حيوان يبدأ من نفس النقطة التي بدأ منها الحيوان الآخر وليس من النقطة التي أنهى إليها.

٣- الحيوانات ليس لديها القدرة على فهم معنى ومضمون الأشياء ولا القدرة على الكلام وليس لديها لغة ولا رموز متعارف عليها. كل هذه الأشياء ضرورية ومهمة جداً وبدونها يتعذر تكوين الثقافة ونقلها من جيل لآخر. هناك بعض النواحي الثقافية التي تنقل من حيوان لآخر غير أن الكثير منها يتم لاشعورياً عن طريق التقليد.

٤- لا تستطيع الحيوانات أن تحل المشاكل المعقدة كما يفعل الإنسان ولو أن بعضها كما يبدو في بعض المواقف - أظهر قدرة على حل بعض المشاكل بطريقة لم تحدث من قبل لقد أستطاع الإنسان بفضل جهازه العصبي المعقد وجهازه الصوتي ومخه الكبير المعقد أن يقوم بما لم يستطيع أن تقوم به الحيوانات من أفعال وبذا قد أستطاع أن يكون ثقافة بينما عجزت الحيوانات الأخرى عن تحقيق ذلك.

على أنه ليس معنى عدم وجود ثقافة للحيوانات أن ليس هناك حياة اجتماعية بينها هناك ولا شك حياة اجتماعية بين أجناس الحيوانات ولو أن الوصول إلى درجة كبيرة من التعاون لا يوجد إلا بين الرتب العالية من الفقرات والحشرات التي تعيش جماعية ومعيشية من أمثلة ذلك الذناب والكلاب والقرود والشمبانزى والجوريل والطيور. وإلى جانب الحياة المجتمعية للإنسان هناك أيضاً حياة المجتمعية للنحل والنمل والتي يشير سلوكها إلى وجود درجة عالية من التعاون وتبادل المنفعة. فالنمل منظم على أساس طائفي يوجد بينه تخصص وتقسيم العمل وتنظيم جماعي محدد ومع ذلك لا يعنى هذا أن له ثقافة لأنه ليس له تراث اجتماعي يسعى لنقله من جيل لآخر. سلوك المل سلوك غريزي أى يحدده عوامل بيولوجية.

وليس أدل على أن سلوك الإنسان المتعلم يختلف عن سلوك النمل الغريزي من أنه إذا ما تصورنا إمكان انتزاع كل الإتجاهات والتقاليد من عقول الادميين وحطمنا كل الأشياء المادية التي أتوا بها فأتنا نرجع إلى الوراء حيث كان الإنسان في العصر الحجري. إقامة الحياة لموجودة حالياً في ظل ثقافة الإنسان الحالية سوف يتطلب ثمانية مجهودات أجيال عديدة لا حصر لها، أما إذا ما محونا ما سوف نطلق عليه تجاوزاً ثقافة النمل بل إذا محونا النمل جمعية باستثناء اثنين فقط وأبقيناها تحت ظروف بيئية مواتية لتكاثرها فأنهما سوف يكونا مجتمع النمل من جديد خلال فترة جيل واحد. كل نملة تخلق بمجموعة من الاستعدادات الغريزية التي توجهها لسلوك معين تحت كل ظرف من الظروف تقريباً. والخلاصة أنه ليس هناك من الأدلة على أن النحل والنمل وغيرها من لحيوانات التي تعيش معيشة جماعية لها ثقافة كتلك التي يتصف بها الإنسان.

إذا كانت بعض الحيوانات الراقية والطيور والحشرات لها حياتها الاجتماعية فهل معنى هذا أن لها تراث اجتماعي وهل هذا التراث الاجتماعي ينتقل من حيوان لآخر؟ هناك ما يشير إلى وجود تقاليد بين الطيور فهي تهاجر مثلاً في جماعات منظمة وفي أوقات معينة مثل هذا السلوك الجماعي يدل أن عملية نقل ثقافتها قد تمت وأن الحيوان يستطيع أن يتعلم سلوكاً معيناً بالتقليد من حيوان آخر ليس هذا فقط بل قد يسترعى انتباه البعض ما تقوم به لحيوانات من أنواع السلوك التي تدل على قدرتها على إقتباس بعض العناصر الثقافية البسيطة التي تتضمنها ثقافة الإنسان فالكلاب تتعلم مثلاً كيف تحضر الجرائد اليومية من الباعة أو توجه قطيع الغنم حسب رغبة سيدها أو ترشد كفيف البصر إلى طريق أو تشم رائحة الصيد إذا ما اصحابه الصياد بل أن أحد الكتاب ذهب إلى حد أنه يمكنها أن تكتسب القدرة على التمييز العنصري فتتبع على الرجل الأسود إذا كانت كلاب رجل أبيض.

بعض الحيوانات أذن لديها القدرة على التعلم بل وعلى الاتصال ببعضها ولكن كل هذه الأشياء لاتعني أن لها ثقافة ولا أن فى استطاعتها أن تكون ثقافة - رغم أن فى قدرتها أن تتعلم وتكتسب بعض الأشياء البسيطة سواء من غيرها من الحيوانات أو الإنسان ن طريق التقليد - لأنها لاتتمتع بالمميزات البيولوجية والتي أنفرد بها الإنسان عن سائر الحيوانات والسابق الإشارة إليها. بل أن بعض العلماء لا يروا أن الرتب العالية من الـ Spes لديها القدرة على تكوين ثقافة لعدم قدرتها على الكلام واستخدام الرموز والإشارات ونقل العناصر الثقافية لغيرها من الحيوانات باستثناء بعض الاتجاهات العامة والعواطف فى المواقف المعينة وفى غياب لغة الكلام يتم التعلم من الآخرين عن طريق التقليد فقط.

ولعلنا نستطيع أن نتصور ماذا يكون عليه حال الإنسان لو أنه تعلم من الإنسان الآخر عن طريق الملاحظة والتقليد فقط أى بدون الشرح والتعليق. بالتأكيد سوف تكون ثقافته بسيطة آلية، وبما أن القدرة على التقليد فى الحيوانات حتى الراقى منها والقريب الشبه بالإنسان محدودة جداً عنها. بالنسبة للإنسان فإنه يمكن تصور كيف أن الحوانات تصبح عاجزة عن أن تموت ثقافة حتى بمقارنتها بالإنسن الذى لايتكلم ولذى ليس له لغة ولا إشارات متفق عليها. لذلك فإن الثقافة هى من مميزات المجتمعات الإنسانية والقريبة من الإنسانية.

وعلى الرغم مما تبديه بعض الحيوانات من ذكاء فى المواقف المعينة وما يظهر عليها من تكيف ذكى لحل مشاكل فردية، وعلى الرغم من أن بعضها تعيش حياة جماعية ولديها القدرة على تعلم بعض أنواع السلوك إلا أنه لا يوجد سوى الإنسان (والكائنات الشبيه به والتي تأتى فى الترتيب التطورى قبله مباشرة) هى القادرة على نقل آرائها وأفكارها المعقدة عن طريق اللغة أو الإشارات لغيرها من الجماعات والقادرة على تكوين ثقافة.

وأخيراً إذا ما سلمنا بأن الثقافة بدأت تدريجياً مع الإنسان بحكم ما أمتاز به من صفات بيولوجية فإن السؤال الذى ربما قد يتبادر إلى الذهن هو متى كان الإنسان إنساناً؟ مع الأسف أنه لا من الصعب الإجابة على هذا السؤال نظراً لعدم توافر السجلات وأيضاً المعلومات التى يمكن الاستناد إليها فى هذا الشأن، أن ما يمكن أن يقال فقط أن أجناس المملكة الحيوانية مرت فى أطوار عديدة إلى أن وصلت لى الإنسان والذى يعتبر أحد أجناس هذه المملكة وأرقاها.

وبترتيب أجناس المملكة الحيوانية يلاحظ أن هناك مجاميع من الحيوانات لتي تقترب أشكالها فى الشبه من الإنسان إلى ذلك فجوة كبيرة ثم ظهور الإنسان. هذه الفجوة الكبيرة تضيق تدريجياً كما توصل علماء الأنثروبولوجيا إلى حقائق عن الأجناس التى تقع فى ترتيب ظهورها قبل الإنسان مع ذلك لازالت حلقة التطور غير كاملة وينقصها الكثير من الحقائق ولما كان من المعتقد أن الثقافة نشأت منذ زمن بعيد مع الإنسان الذى لا يزال غير معروف على وجه التحديد متى وجد فإن الثقافة بدورها لا يزال غير معروف على وجه الدقة متى نشأت وإن كان هناك بعض الاستنتاجات غير المؤكدة علمياً والتى تقول أنها نشأت مع أول كائنات حيوانية تقترب شبيهاً من الإنسان. من اللازم إذن عمل حصر لمخلفات الثقافة فى كافة العصور الماضية ثم السعى لمعرفة أى مرحلة من مراحل التطور البيولوجى بدأت الثقافة فى الظهور.

أهمية الجماعة الإنسانية فى اكتساب الثقافة

على الرغم من كل الإمكانات البيولوجية السابق الإشارة إليها والتى ميزت الإنسان عن غيره من سائر الحيوانات إلا أن الإنسان لم يكن رغم كل ذلك ليستطيع أن يكون له ثقافة لمجرد وجود هذه الإمكانات البيولوجية وحدها وبدون أن يكون عضواً فى جماعة إنسانية منها يقتبس مختلف أنواع السلوك. ولعل هذا كان واضحاً

من تعريف Tyior والذي أتضح منه أنها ذلك الجزء المتعلم من السلوك وأنماطاً لسلوك الإنسانى المتعلمة والتي يقتبسها الفرد بحكم كونه عضواً فى المجتمع بمعنى أن الثقافة مكتسبة وليست موروثه كما قد يعتقد البعض. أن وجود اليدين لاتعنى إستطاعة الإنسان أن يمسك ما لم يتعلم من الآخرين كيف يفعل ذلك، ووجود الرجلين والعمود الفقرى والشكل القائم لايعنى أن يستطيع الوقوف ولا المشى على رجليه، ووجود الجهاز الصوتى والمنطقة الكلامية فى المخ لايعنى أن يستطيع الكلام، ووجود المخ الكبير والجهاز العصبى المعقد لايعنى أن يستطيع التفكير أو التنبؤ أو التذكر.

أن كل هذه الأنواع من السلوك يتطلب أدائها من يعلم الطفل كيف يؤديها فالطفل العادى عند الولادة لايكون له ثقافة بل يكون مجرد كائن آدمى وليس إنساناً، لديه قدرات البيولوجية الكامنة لكى يكون إنساناً غير أنه لايصبح كذلك إلا إذا نشأ فى جماعة إنسانية تولته بالرعاية والتشنة الاجتماعية وعمته كيف يسلك وكيف يفكر فى المواقف المختلفة، منها يقتبس لكثير من طرق السلوك والتفكير والاتجاهات، ومنها يتعلم الكثير من المهارات والقدرات واللغة وباختصار عن طريق الحياة فى جماعة إنسانية يصبح إنساناً له شخصيته وله ثقافته.

مكونات وتنظيم الثقافة

مكونات الثقافة

هناك إختلاف فى وجهات نظر العلماء بالنسبة لمكونات الثقافة فالبعض يعتقد أنها تتكون من عناصر معنوية فقط والبعض الآخر يعتقد أنها تتكون من عناصر معنوية وأخرى مادية وسواء كان الشئ معنوياً أو مادياً فإنه يجب أن ينظر إليه على أنه ناتج عن استخدام العقل البشرى فى حل المشاكل أو إشباع مختلف الرغبات والاحتياجات والأشياء معنوية كانت أو مادية لكل منها تاريخ سابق من التطور حتى وصلت إلى ما هى عليه فى الوقت الحاضر لننظر تفصيلاً إلى مكونات الثقافة لأن التعرف على هذه المكونات يعتبر أمراً هاماً للتعرف على خواص الثقافة ووظائفها بل والعمليات الثقافية التى تتم فى المجتمع.

الماديات الثقافية:

يقول ساذر لاند وزملائه أن هناك تأكيد واضح من جانب الكثيرين من علماء الأنثروبولوجى على أن الثقافة هى السلوك المتعلم وأنماط السلوك المتعلمة المشتركة التى تنتقل عن طريق الاتصال من أفراد لآخرين، لكن ماذا عن الأشياء الطبيعية المادية التى يصنعها الإنسان، أو التى تجاهها يسلك طرقاً معينة، أو التى يكسبها معنى معين؟ هل الأشياء المادية مثل الآلات وأيضاً المعدات والأدوات والملابس والمنتجات الزراعية والصناعية على إختلاف أنواعها والشوارع والمساكن والمباني تعتبر جزءاً من مكونات الثقافة؟ وهل الجبال والأنهار التى يقدسها الإنسان أو يسلك تجاهها سلوكاً معيناً تعتبر أيضاً جزءاً من مكونات الثقافة؟.

لا يزال هناك فى الحقيقة إنقسام فى رأى بالنسبة لهذه الأشياء فالبعض ينظر إليها على أنها جزء من مكونات الثقافة والبعض الآخر لا يرى أن هذه الماديات فى حد ذاتها جزءاً من الثقافة وإنما الذى يعتبر من الثقافة فيما يتعلق بهذه الأشياء المادية هو المعارف والأفكار وطرق الأداء (التكنولوجى) التى استخدمت فى صنعها أو التى تستخدم فى استعمالها والشعور تجاهها وبمعنى آخر مجموع الطرق من السلوك وأنماط السلوك المتعلقة بها وليست الديات فى حد ذاتها. واستناداً إلى رأى الأخير لاعتبر الأشياء المادية فى حد ذاتها جزءاً من الثقافة رغم أنها جزءاً من التراث الثقافى الذى ينتقل من جيل لآخر.

ومن هنا كما يعتقد ساذركلاند أن من الأهمية غيجاد مصطلح يعبر عن هذه الأشياء المادية التى تصاحب الثقافة وأن كانت ليست جزءاً منها. وقد تم التعارف على تسميتها بالأشياء الثقافية (Culture Objects, or Artifacts) هذه الأشياء الثقافية تظهر فى الثقافة إما مصاحبة لتكنولوجيا معين كفن بناء المساكن أو الكبارى .. الخ أو مصاحبة لمجموعة من العادت والتقاليد التى تتعلق باستخدامات الأشياء أو بأهميتها. على أن اعتبار أى شئ مادية على أنه شئ ثقافى أو عدم اعتباره كذلك مسألة تقريبية إلى الآن وبمعنى آخر ليست كل الأشياء المادية تعتبر أشياء ثقافية.

الأشياء المادية الثقافية إذن هى فقط تلك الأشياء ذات الصلة بسلوك أو نمط من أنماط السلوك لثقافى أى التى تدخل الإنسان بمعارفه وآرائه وأفكاره واتجاهاته وبعمله وفنه وغير ذلك فى صنعها وتحويرها أو تشكيلها أو فى استخدامها، أن قيمتها وأهميتها وفائدتها فى أذهان الناس الذين أوجدوها ويستخدموها على النحو التى من أجلها وجدت وقد لا تكون لها أى قيمة ولا معنى ولا فائدة فى نظر أفراد الآخرين. ننظر مثلاً إلى دبلة الخطوبة والتى يستخدمها بعض الناس فى مجتمعات معينة كرمز للارتباط والعهد بين فردين من جنسين مختلفين على الزواج، هذا الخاتم لو وجد فى ثقافة أخرى لاستخدمه ربما لا يكون له أى معنى ولا قيمة على الإطلاق بل

ربما ينظر الناس إليه على أنه مجرد قطعة من معدن على شكل حلقة لأن معناه الثقافي بعيداً عن أذهانهم وهذا المعنى الثقافي هو الذى يجعل من هذه الحلقة شئ ثقافى له قيمة وأهمية. من كل ما تقدم يبدو واضحاً أن ليس كل شئ مادى فى المجتمع يعتبر شئ ثقافى.

لقد أكد هارى جرنسون أيضاً أن الأشياء المادية فى حد ذاتها لا تعتبر بحال جزء من مكونات الثقافة، فالثقافة لاتشمل فى رأيه سوى المعنويات فى حد ذاتها ممثلة فى المعارف والأفكار وأيضاً الآراء والاتجاهات والفنون والأدب والتكنولوجى وغيرها، هذه المعنويات فى رأيه تظهر سواء فى السلوك أو نتائج السلوك، لكن لا السلوك نفسه ولا نتائج المادية الملموسة تعتبر جزءاً من الثقافة، فالسلوك فى حد ذاته ليس جزءاً من الثقافة لكنه ثقافى كما هو كيمائى وفسىولوجى ووراثى والنتائج المادية للسلوك أيضاً ليست جزء من الثقافة لكنها أشياء ثقافية. الذى أعطى لها صفة الثقافة هى المعارف والأفكار والتكنولوجى وغير ذلك من المعنويات التى دخلت فى صنعها أو إستعمالها.

ولو اعتبرت الأشياء المادية على أنها جزء من الثقافة لمجرد التدخل فى صنعها أو تشكيلها أو تحويلها لكان من الممكن إذن - اعتبار الإنسان أيضاً على أنه جزء من الثقافة لأنه كالأشياء المادية يتدخل فى تشكيله وهذا أمر غير جاز. على أن جونسون لا يرى ضرراً فى التحدث عن الثقافة على أنها تتكون من أشياء ثقافية artifacts ومن النباتات والحيوانات المستأنسة ولكن بشرط أن يكون معلوماً أنه لا يقصد بهذه الأشياء سوى ما تضمنته من معنويات أى معارف وأفكار وفنون وتكنولوجى .. الخ، وفى هذه الحالة يصبح الحديث عن المعنويات كما لو كانت أشياء مادية، ومن ثم لابد من الإحتراس من الوقوع فى خطأ من جراء هذا الغموض.

لقد أستطاع الإنسان أن يصنع الكثير من الأشياء المادية الثقافية والتي أصبح يتمتع بها ويتفاخر ويتباهى بمنتجاتها طالعمارات والقيلات الفاخرة والشوارع المرصوفة والمصانع والسيارات والأدوات، المنزلية المختلفة والأجهزة الكهربائية والألكترونية والملابس والمأكلات على إختلاف أنواعها وأصنافها كل هذه وغيرها من سلع مادية ثقافية لم ينتجها الإنسان بالشكل الذى هى عليه حالياً إلا بعد أن تجمع لديه الكثير من المعارف والخبرات والكفاءات والقدرات كلما أستطاع الإنسان أن ينتج المزيد من هذه الأشياء ويطورها ويدخل عليها تعديلات وتحسينات كثيرة وكلما أستطاع أن يستغل البيئة الطبيعية وما فيها من مواد خام أكثر وأكثر فى إنتاج مزيد من السلع الثقافية.

والماديات الثقافية تختلف من مجتمع لآخر، فالشخص العادى يستطيع بالملاحظة أن يرى أن الكثير من الماديات لتقافية فى مجتمعه تختلف عن نظيراتها فى المجتمعات الأخرى. فنظرة بسيطة إلى المنتجات الصناعية فى غحدى المحلات التجارية الكبيرة أو إلى المنتجات الصناعية فى إحدى المحلات التجارية الكبيرة أو إلى الشوارع وما فيها من أشكال مختلفة من السيارات والبضائع المستوردة المعروضة على الأرصفة لدى الباعة المتجولون أو إلى السياح بملابسهم الوطنية كل هذه وغيرها كفيلة بأن توضح الأشياء المادية الثقافية تختلف من مجتمع لآخر.

والثقافة الفنية هى تلك التى يتضمن تراثها الثقافى الكثير من المعنويات الثقافية والأشياء المادية والثقافية ومن ثم فإن المجتمعات تسعى إلى رفع مستوى حياة السان فيها عن طريق التقدم العلمى والتكنولوجى وعن طريق استخدام العلم والتكنولوجى فى خدمة المجتمع أى فى إنتاج السلع وتوفير الخدمات التى تشبع رغبات وتقابل إحتياجات الناس وتساعد فى حل ما يعترضهم من مشاكل وتوفر لهم السعادة والفاهية. وعلماء المجتمع وأن كانوا يهتمون بالأشياء الثقافية المادية والمعارف المتعلقة بها إلا أن إهتمامهم ينصب أساسياً على السلوك الاجتماعى

وأنماط هذا السلوك والتي يتكون منها البنيان الاجتماعي للمجتمع، ومن الواضح أن هذا السلوك يتأثر بما لدى الإنسان من معارف وأشياء مادية سواء تلك التي صنعها أو كيفها لاستعمالاته.

المعنويات الثقافية

تضم ثقافة الناس مجموعة كبيرة من المعارف عن العالم الطبيعي والاجتماعي الذي يعيش فيه فأى مجتمع مهما كان بسيطاً لابد وأن يعرف أفراداه مجموعة كبيرة من المعارف لكي يستطيعوا البقاء والاستمرار في الحياة. وليست كل المعارف في المجتمع مجرد معارف دون ما فائدة منها وإنما غالبيتها معارف لغرض استخدامها بطريقة عملية من أجل البقاء والحياة. من هذه المعارف على سبيل المثال ما يتعلق بكيفية الحصول على الغذاء كيفية الوقاية من الظروف القاسية كالعواصف والأمطار والرياح والحرارة لشديدة، كيفية بناء المساكن، كيفية تربية وتنشئة الأطفال، كيفية إتقاء شر الحيوانات المفترسة والأعداء من الناس، كيفية الوقاية من الأمراض، كيفية العمل وكسب العيش وقت الفراغ والترويح كيفية الحماية الملكية والعبادة وإقامة الأسرة إلى غير ذلك من المعارف العديدة التي تتصل بمختلف نواحي الحياة والتي تنقل من جيل لآخر.

وفي المجتمعات المتقدمة هناك بالطبع كمية أكبر من المعارف العلمية والتكنولوجية لمتقدمة والمعقدة وصلت إلى الكثرة بحيث لا يأمل أى فرد فى أن يعرف سوى جزء صغير منها وإلى جانب المعارف عن العالم الطبيعي والاجتماعي فإن الثقافة لكل مجتمع تتضمن الكثير من الآراء والأفكار والاتجاهات الثقافية عن العالم وهى بذلك تعتبر جزء مهم من أيولوجية كل مجتمع.

ونحن نتعلم الثقافة من الآخرين كما نتعلمها من الكتب وغيرها من وسائل الإتصال المختلفة. وثقافة الناس يعبر عنها سلوكهم وأنماط سلوكهم المتعلمة بيد أن

هذا السلوك وأنماطه في حد ذاتها ليست - كما سبق القول - جزءاً من ثقافة. أنها مجرد الوسيلة التي بها يعبر الناس عن ما في عقولهم من أفكار وآراء وأيضاً إتجاهات وما يشعرون به إزاء بعض ما يدور في عالمهم الاجتماعى من أوجه نشاط وما يوجد في عالمهم الطبيعى من بعض الأشياء المادية والمعنويات الثقافية ينقلها الناس بعضهم لبعض أما بطريقة مباشرة أى بالاتصال المباشر أى من خلال العلاقات الإنسانية التى تحدث بين فردين أو أكثر أو من خلال وسائل الاتصال المختلفة كالكتب ووسائل الإعلام المختلفة.

ولو أن المعنويات الثقافية غير ملموسة إلا أنها على جانب كبير جداً من الأهمية أحياناً ما ينظر بعض الناس بإعجاب شديد وفخر زائد إلى بعض الأشياء الثقافية المادية Culture Objects, or artifacts لأنها متجسدة أمامهم السيارات الفاخرة - الطائرات النفاثة - العمارات السكنية الشاهقة المنتجات الصناعية الفاخرة - الآلات والمعدات الأتوماتيكية الأتوماتيكية المعقدة الآلات الحاسبة الإلكترونية وغيرها من الأشياء الثقافية العصرية التى تدهش الناس. قليل منهم من يفكر أنه ما كان فى الإمكان إيجاد مثل هذه الأشياء بدون المعارف والأفكار العلمية الأساليب التكنولوجية المتقدمة أى بدون المعنويات الثقافية.

والواقع أنه على قدر ما تقدم التراث الثقافى المعنوى يتوقف مقدار ونوع ومستوى الأشياء المادية والثقافية أى التراث الثقافى المادى فلولاً تقدم المعارف الكيماوية والرياضية والهندسية والطبية لما أمكن على سبيل المثال تحويل رمال الصحارى إلى عدسات بصرية طبية ولولا تقدم المعارف الأرضية والجيولوجية والكيماوية والهندسة وغيرها لما أمكن إستخراج البترول والفحم والحديد من باطن الأرض وإنتاج آلاف من السلع الثقافية الأخرى.

والثقافة المعنوية رغم أنها غير ملموسة فإن آثارها بعيدة المدى على حياة الناس في المجتمع سواء أكانت تظهر مصاحبة لسلع مادية ثقافية أو لأى سلوك ثقافى آخر وعلى سبيل المثال لو أن الثقافة تحرم أكل لحم الخنزير وأن شخصاً متديناً تناول وجبة من الطعام تحتوى على هذا النوع من اللحوم دون أن يعرف ذلك، ولو فرض وعلم بعد أكله مباشرة حقيقة هذا الأمر ربما تضطرب معدته ويسوء هضمه ويسترجع طعامه. كل ذلك من جراء معرفته بتناول شيء محرم ثقافياً. ومن الأمثلة الأخرى أن الإنسان أحياناً ما ينتابه الخجل الشديد وهى ردود أفعال فسيولوجية غير إرادية عندما يوضع فى موقف يسلك فيه سلوكاً يتعارض مع ما عرفته الثقافة على أنه سلوك مقبول أو لائق وسوف نحاول فى هذا المجال شرح بعض أنواع السلوك الثقافى وأنماطه باعتبارها الطرق التى بها يعبر الناس عن ما تتضمنه ثقافتهم من معنويات أى من معارف وآراء وإتجاهات وآداب وفنون.. الخ.

الغالبية العظمى العظمى من السلوك الإنسانى سلوك متعلم (أى سلوك ثقافى) والقليل جداً سلوك غير متعلم. والسلوك المتعلم هو كل م اقتبسه الفرد من الآخرين سواء أكان هذا السلوك مقبولاً أم غير مقبول. فطريقة الأكل والشرب وإرتداء الملابس والمشى والكلام وتحية الآخرين وإلقاء النكت.. الخ كل هذه سلوكاً متعلماً، ليس هذا فقط بل طريقة الشعور فى المواقف المعينة مثل الشعور بالغضب أو بالفرح أو بالحزن أو الألم أو بالأسى كل هذه أيضاً يعبر عنها بطرق مختلفة وفقاً لما تعلمه من الآخرين، وطريقة التفكير أيضاً متعلمة، فكلمة يتعلم الإنسان كيف يفكر فى حل مسائل الرياضة فإنه يتعلم كيف يقلق ويخاف على صحته من الأمراض، ويتعلم كيف يفكر فى تجنب نفسه المشاكل التى قد تهدد مستقبله فى عمله أو مهنته ويفكر فى كيف يتجنب الخاطر أو كيف يكون آمناً من شئ يخاف منه إلى غير ذلك وكثيراً ما لا يعرف أنه يتعلم أشياء كثيرة كحب بعض الأشياء وكره البعض الآخر/ واستخدام الألفاظ المهذبة أو الألفاظ البذيئة، والقلق والرضى والطموح وغيرها أيضاً

أمثلة مما نتعلم من الآخرين. وباختصار نحن نتعلم طرق السلوك وطرق التفكير وطرق الشعور فى الموقف المختلفة.

على أن ما يتعلمه الفرد إما أن يتم بطريقة شعورية أو بطريقة لاشعورية من خلال ما يقوم به من نشاط على مدى فترة الحياة وكثيراً ما أشار علماء النفس وغيرهم من العلماء الاجتماعيون إلى أهمية المؤثرات التى تؤثر فى الإنسان بطريقة لاشعورية. هذه المؤثرات التى تؤثر فى الإنسان بطريقة لاشعورية. هذه المؤثرات التى تؤثر فى الإنسان بطريقة لاشعورية. هذه المؤثرات يصعب تتبع أصولها إلا بواسطة أحد علماء التحليل النفسى المتميزين جداً. وكثيراً ما تكون طريقة سلوك الفرد وعلاقته بغيره من الأفراد فى موقف معين ترجع إلى خبرة سابقة فى أعماق نفسه عن شئ أو أشياء حدثت منذ عشرين أو ثلاثين عاماً مضت. وتتم الكثير من التعاليم العادية للناس بطريقة لاشعورية كان يلاحظ أحد الأفراد بلا قصد شخصاً يودى عملاً بطريقة معينة، فيما بعد عندما يوجد فى موقف مشابه يتطلب أداء نفس العمل يجد نفسه لاشعورياً يقوم به بنفس الطريقة التى لاحظها من قبل وهكذا بالنسبة للتفكير أو الشعور فى المواقف المختلفة فالكثير منها يتعلم من الآخرين بطريقة لاشعورية.

ولعل من المعروف أن بعض أنواع السلوك واضح (overt) والبعض الآخر غير واضح (Covert) فيمكن رؤية الناس وهى تودى عملها فى المزارع والمصانع والمحلات التجارية، وأيضاً وهى تسير فى الشوارع أو تشتري السلع من الباعة من الأسواق العامة وغير ذلك لكن لبس كل سلوك يمكن أن يكون بهذه الدرجة من الوضوح، فمن الصعب مثلاً أن نرى طريقة تفكير الناس أو ما يفكرون فيه، من الصعب مثلاً أن نرى طريقة تفكير الناس أو ما يفكرون فيه، من الصعب أن نرى حقلهم أو حبههم أو مخاوفهم، وبمعنى آخر يمكن القول أن بعض أنواع السلوك يمكن

رؤيتها بالعين المجردة والبعض الآخر يصعب رؤيته وأن وجدت بعض الأدلة على حدوثه.

والآن نأتى إلى أنماط (Patteras) السلوك المتعلم أى الأنماط السلوكية الثقافية. ما هو المقصود بهذه الأنماط؟ يقول جون كوبر أن طريقة الحياة فى المجتمع تتضمن عدداً لا حصر له من أنواع السلوك المختلفة والتي تمثل ردود الأفعال العادية والمتوقعة لأفراد المجتمع فى المواقف المعينة. ورغماً عن وجود الكثير جداً من الاختلافات لبيسطة فى ردود أفعال مختلف الأفراد أو حتى فى ردود أفعال نفس الأفراد فى الأوقات المختلفة فإن معظم الناس فى المجتمع تستجيب فى مواقف معينة بطرق متشابهة تقريباً مثل هذا للتوافق أو التشابه فى السلوك والآراء يكون نمطاً ثقافياً Culture Pattern ويمكن النظر إلى الثقافة فى جملتها على أنها جمع منظم من هذه الأنماط.

فالأنماط الثقافية إذن هى تلك الأنماط من السلوك المتعلم التى تعارف لناس فى المجتمع على اتباعها، فالأفراد فى المجتمع يجدون أن عليهم إتباع الأنماط السائدة فى مجتمعهم وأن لم تكن جميعها فعلى الأقل ما يعتبر منها أساسياً على أن المجتمع عادة ما يتخذ أساليب وطرق مختلفة لحمل أفراد على إتباع أنماطه السلوكية خاصة الأساسى منها. هذا الإيجار يلاحظ بوضوح من خلال عملية التنشئة الاجتماعية للصغار ومن خلال عملية تربية وتوجيه الشباب وأن كان لا يبدو بنفس الدرجة من الوضوح بالنسبة للكبار لأن الكبار يحاولون من أنفسهم أن يتكيفوا مع الأنماط السلوكية المتعارف عليها خوفاً من الفقر أو العقاب فيما لو خرجوا عنها أو رغبة فى الاحتفاظ بالمكانة الاجتماعية فى نظر الآخرين أو غير ذلك من المميزات.

وقد كن من نتيجة ضغط المجتمع على أفراد وجماعته لاتباع أنماطه السلوكية أن بدأ بعض الناس يعتقدون أن ليس لديهم سوى فرص ضئيلة فى إختيار

السلوك الذى يرغبون إتباعه وأنهم مجبرون إلى حد ما لقبول ما يوجد فى مجتمعهم من تقاليد وعادات وقد يكون ذلك صحيحاً بالنسبة لبعض النواحي مثل اللغة والدين غير أنه بالنسبة لنواحي أخرى كثيرة ليس ما يحد من حرية الفرد فى اختيار ما يروق له أتباعه وإن كن الاختيار محدداً إلى حد كبير بما هو موجود فى ثقافته.

والخلاصة أن الفرد فى المجتمع سوف يكون لديه الحرية الكاملة فى إتباع السلوك الذى يروق له فى نواحي معينة، وحرية غير كاملة أى مقيدة فى نواحي أخرى، وحتمية (أى لا حرية) إتباع سلوك معين فى نواحي معينة، ونتيجة لذلك فإن الأفراد فى المجتمع لا يسلكون سلوكاً متجانساً تماماً فى المواقف المختلفة وإنما قد يكون متشابهاً إلى حد كبير فى بعض المواقف ومتشابهاً إلى حد ما فى مواقف أخرى، ومختلفاً فى كثير من المواقف، ويرجع ذلك للتفاوت فى طرق السلوك إلى اختلاف قيم الناس تجاه أنماط السلوك المختلفة فالبعض لا يرى أنه من المحتم إتباعها والبعض يرى أن إتباعها مهم إلى حد كبير والبعض يرى أن لاضرورة بالمره ولا مبرر على الإطلاق للتقيد بأتباعها.

وبين طرفى النقيض أن بين الحتمية والحرية المطلقة توجد درجات متفاوتة من الأهمية والتي بناء عليها أما أن يتشابه السلوك إلى حد كبير أو يختلف إلى حد كبير أو يقع بين هذا وذلك. ويمكن بسهولة سواء بالملاحظة العادية أو عن طريق البحث العلمى أن نقف على مدى تشابهه أو مدى اختلاف الناس فى المجتمع من حيث مدى إتباعهم لأنواع السلوك المختلفة. وفيما يلى وصفاً لبعض أنواع السلوك وأنماط السلوك الثقافى فى المجتمع ومنها الأفعال غير المحددة والتقاليد والعادات الشعبية والعرف والقوانين والمؤسسات.

السلوك الاختياري (الأفعال غير المحددة):

هناك أنواع عديدة جداً من الأفعال acts التى يستطيع الفرد أن يقوم بها دون أن يشعر بأى حرج من جراء إختلاف طريقة أدائه لها عن الطريقة التى يتبعها غيره من الأفراد. فعلى سبيل المثال أى فرد مخير تماماً في أن يتناول الشاي بلبن أو بدون لبن، أو يشرب القهوة بالسكر أو بدون سكر، أو يقرأ الصحف قبل الإفطار أو بعده أو لا يقرأها على الإطلاق أو يسير على الجانب الأيمن أو الأيسر من الطريق أو ينام قليلاً بعد الغذاء أو لا ينام أو يتناول وجبة عشاء خفيفة أو كبيرة إلى غير ذلك من الأفعال العديدة التى يقوم بها حسب رغبته وفقاً لمزاجه لشخصي لادخل للآخرين فيما يفعل فهي أنواع من السلوك لم يضع المجتمع لها تعريف محدد لما يجب أو ما لا يجب أن يكون عليه أداؤها، كما أنه لا يفرضها على الناس بل ترك للأفراد الحرية الكاملة ليفعلوا ما يشاءون. ورغم حرية التفضيل فهي أفعال عادة مقبولة اجتماعياً.

ومن المفروض أن أداء هذه الأفعال لا يتعارض بأى شكل من الأشكال مع حرية الأفراد الآخرين في المجتمع ولا يتعارض مع رفاهية المجتمع ولا مع ما تعارف عليه من تقاليد وعادات جمعية ولا قوانين وإلا لكان المجتمع تدخل سواء بوسائله الرسمية (القوانين) أو غير الرسمية (التقاليد والعادات الشعبية والعرف) فيما يسمى بالسلوك الحر الاختياري حتى لا يتعارض هذا السلوك ورفاهية المجتمع وأمنه واستقراره.

التقاليد والعادات الشعبية Folkways:

هي الأنماط السلوكية الثقافية التى تعارف الناس على إتباعها والتي توضح الطريقة المقبولة واللائقة في أداء الأشياء. والعادات الشعبية تتضمن مجموعة كبيرة من طرق السلوك والتفكير والشعور المتبعة في المأكل والملبس وفي نظام العمل

وفى تحية الآخرين وفى الترويح والترفيه وتربية الأطفال وفى التعاون فى حالة الأزمات والكوارث وفى الاحتفال بكافة المناسبات الاجتماعية وفى الأفراح والمآتم وفى البيع والشراء وفى صناعة مختلف السلع وأداء مختلف الخدمات وبعض التقاليد والعادات الشعبية تمتد جذورها إلى الماضى البعيد بحيث تكاد تكون أشياء أصيلة من مكونات ثقافة الناس وليست أشياء مصنوعة وأن كان البعض الآخر ليست ذات عمق بعيد فى التراث الاجتماعى كغيرها.

ولقد نشأت هذه الأنواع من السلوك تدريجياً وبمحض الصدفة ونتيجة للخبرة وتنتقل عادة دون تفكير أو قصد من جيل إلى آخر فالتقاليد والعادات الشعبية نادراً ما تكون نتيجة عمل مقصود مخطط له مقدماً بطريقة شعورية حتى ولو كانت تظهر كذلك للأجيال التى تتبعها وربما قدراً ضئيلاً منها يتم شعورياً وبعد تفكير وتخطيط لكن الغالبية العظمى يتعاملون مع بعضهم البعض وينشأ نتيجة لعلاقاتهم المتبادلة الكثيرة من أوجه النشاط والتى خلالها يتبعون لاشعورياً طرقاً من السلوك تبدو لهم وكأنها مناسبة فى المواقف المعينة أو تبدو وكأنها حلول سهلة لما قد يواجهونه من مشاكل ويتناقل الناس هذه الأنواع من السلوك وبعد فترة طويلة من الزمن تصبح ذلك التراث الاجتماعى الذى يعتزون به ويحرصون على أتباعه.

أول من استخدم المصطلح folkways هو عالم المجتمع William G. Sumner فى ١٩٠٦ وكان يقصد به مجموعة التقاليد واعادات لجماعية أى الأنماط السلوكية الجماعية التى تعارف الناس على إتباعها بغض النظر عن مدى وجوب أو حتمية إتباعها ولقد سيز Sumner بين الـ folkway التى تعتبر مهمة أساسية لرفاهية الجماعة ويتحتم إتباعها وبين تلك التى لايتحتم بالضرورة بل يستحسن إتباعها. وأطلق على الأولى اسم العرف mores وعلى الثانية Folkway وبمعنى آخر فإنه كان يرى أن mores هو ذلك الجزء الملزم أو الإجبارى من folkway على أن الاستخدامات لحدیثة للفظین تمیل إلى الفصل بینهما وعدم تداخلها

وقصر معنى المصطلح flokways على التقاليد والعادات الجماعية غير الملزمة أى التى لايتحتم إتباعها، وقصر معنى المصطلح mores على التقاليد والعادات الجماعية الملزمة والإجبارية أى التى يتحتم إتباعها.

ويود الكثيرون الوقوف على أصل التقاليد والعادات الشعبية وكيف نشأت، لما فى ذلك أحيانا من طرافة غير أن أصولها كما يقول Sumner تائهة فى الغموض الذى يكتنف نشأة وتطور الثقافة بأجمعها. فعلى سبيل المثال من الذى بدأ عادة السلام باليدين لتحية صديق أو تحية بالإشارة باليد من بعيد أو الربت على الكتف أو من الذى بدأ عادة لتصفيق باليدين، ومن الذى بدأ عادة لبس بدلة رسمية لحضور حفلة عشاء أو لبس ملابس سوداء للتعبير عن الحزن وبيضاء للتعبير عن الفرح؟ من الذى بدأ نظام الموازين والمكايل والمقاييس والنقود؟ كل هذه الأنواع من السلوك وغيرها تعتبر ملزمات مريحة ربما نشأت بطريق الصدفة.

يقول ساذر لاند وزميله أنه فى بعض القبائل يرتدى الأفراد فى حفلات الرقص ملابس (جونيلات) مصنوعة من القش بطريقة معينة ويتسائل من الذى بدأ هل رجل أو امرأة جلس يفكر كيف يزيد من سعادة عشيرته وانتهى إلى تصميم هذا الزى؟ فى الغالب لم يحدث ذلك وكل ما حدث هو أن أحدا بدت له هذه الفكرة بطريق الصدفة فصنع (جونىلا) على هذا النحو فأعجب بها الآخرون وقلدوه فى ذلك فأصبح بذلك تقليداً وعادة شعبية من الذى بدأ لبس الشورت عند المباراة فى كرة التنس؟ لا احد يعرف على وجه الدقة، ربما شدة الحرارة فى أحد الأيام وشجاعة مفاجئة غير عادية هى التى دفعت أحد الانجليز غير المعروفين ليظهر فى مباراة لتنس مرتدياً هذا الزى فقلده الآخرون فأصبح بذلك تقليداً أو عادة شعبية.

وفى المجتمع المصرى توجد الكثير من التقاليد والعادات الشعبية التى يصعب الوقوف بدقة على أصولها، من الذى بدأ الاحتفالات الشعبية فى المواسم

المختلفة وشراء الحلوى وتناول أنواع معينة من الطعمة فى هذه المناسبات؟ ومن الذى بدأ عادة إقامة المأتم ثلاث ليالى أو ليلة واحدة فى بعض الأماكن فى حالة الوفاة؟ من الذى بدأ عادة تقبيل الرجال بعضهم لبعض أو النساء بعضهم لبعض كطريقة للتحية والتعبير عن الحب والتقدير؟ كل هذه وغيرها من التقاليد الشعبية يتبعها الأفراد على الرغم من عدم معرفتهم أسباب ذلك، ولا يستطيع أحد أن يفسر أسباب شعور الفرد بالرغبة الملحة أحياناً لتناول اطعمة معينة فى المواسم والأعياد مع انها موجودة فى كل يوم ولم يفكر فى الأيام السابقة فى تناولها.

لا يستطيع أحد أن يفسر أسباب شعوره بالخجل عندما يذهب للعرء بملابس زاهية الألوان بدلاً من ملابس داكنة أو سوداء، ليس هناك فى الحقيقة تفسير منطقى لهذه الأنواع وغيرها من السلوك - سوى ان الانسان يعتقد أنها الطرق الملائمة والمناسبة والمتوقعة فى المواقف المعينة والذى تعارف الناس على اتباعها رغم ان هذا السلوك المنتشابه ليس اجبارياً، والأفراد لا يرغبون فى أن يئونوا شاذين فى سلوكهم عن بقية الأفراد الآخرين فى مجتمعهم بل على النقيض يشعرون براحة نفسية باتباعهم المتعارف عليه من طرق السلوك ولذا فغنه على الرغم من أن التقاليد والعادات الشعبية هى أنواع من السلوك غير الاجبارى أى الاختيارى إلا أن الأفراد فى المجتمع عادة ما يشعرون بالرضى والامتنان من اتباعهم لها وهذا هو السر فى تمسك الناس بها.

على ان التقاليد والعادات الشعبية كاتماط ثقافية ليست ثابتة وإنما يطرأ عليها تغيرات من آن لآخر، لقد كانت العادات والتقاليد الشعبية إلى عهد قريب تقضى أن يقف الرجال والشباب ويتركوا مقاعدهم للنساء الواقفات فى المركبات العامة غير انهم حالياً لا يفعلون ذلك فى معظم الأحيان بسبب تغير الاتجاهات نحو النساء إذ أصبح الرجال ينظرون إلى النساء على انهم أما عاملات فعليهن أن يتحملن متاعب

الحياة مثل ما يتحمل الرجال ما دمن قد قبلن الخروج للعمل وأما ربوات بيوت ومن لسن متعبات بحكم أنهن لا يعملن فلا ضير من وقوفهن.

حالياً قلة من الرجال هم الذين يقفون لمرأة حامل أو تصطحب أطفالها أو شيخ عجوز أو شخص مريض أو يبدو متعباً ومنهكاً، أما الشباب من الذكور والإناث فإنهم غالباً لا يشعرون عادة بأن من واجبهم الوقوف لأحد بل أنه حتى إذا تصادف وكان لدى أحدهم شعور بأن من واجبه الوقوف لترك مقعده لرجل كبير أو امرأة فإنه يخاف أن يفعل ذلك حتى لا يكون موضع سخرية وتعليق ونقد من زملائه من الشبان والشابات.

وكما أن بعضاً من التقاليد والعادات الشعبية تأخذ طريقها في الزوال فإن البعض يأخذ طريقه في الظهور، إلى عهد قريب كان ينظر إلى تدخين النساء على أنه عمل غير أخلاقي وغير مقبول بالمرّة. حالياً ينظر إليه البعض على أنه فعل اختياري مقبول ولا عيب فيه وإن كان يجب أن لا يحدث في الأماكن العامة والبعض الآخر يرى أنه فعل غير لائق وإن كان يمكن التسامح في حدوثه في أي مكان وإلى عهد ليس ببعيد كانت الأمهات لا تقرر استعمال أحمر الشفاه ولا طلاء الأظافر ولا موضات تسريحات الشعر وكلها كما هو معروف أمور مقبولة حالياً إلى حد كبير.

والثقاليـد والعادات الشعبية تختلف من مجتمع لآخر فكل مجتمع له طرق سلوكية وتفكيره وشعوره إلى تعارف أفرادهِ وجماعته عليها والتي تعتبر وفقاً للقيم السائدة بثقافته من أعز ما لديه من تراث اجتماعي، والعادات الشعبية في أي مجتمع ذات صلة بقيمة الثقافة فإن المجتمع يعمل على المحافظة عليها واتباعها مهما كانت تبدو غريبة أو شاذة أو غير منطقية في نظر الأفراد في المجتمعات الأخرى، فالإتجـلير مثلاً لا يجدون أي غرابة في قيادة السيارات ولا القيادة في الجانب الأيسر

مر الطريق بينما فى مجتمعات أخرى يبدو ذلك السلوك غريباً ولا يعتبر بحال سلوكاً مريحاً

فى بعض المجتمعات لا يجد الأفراد عيب أو ضرراً من شد اليمين وهوما بقوة عند التحية أو التحييل زيادة فى التعبير عن الترحيب بينما لا يشعر الأمريكيون مثلاً أن هناك حتى ضرورة للتحية باليمين عند اللقاء فى بعض الأحيان ويكتفون بالإشارة عن طريق هز الرأس أو بعض الكلمات للتعبير عن التحية، وباختصار يمكن القول أن التقاليد والعادات الشعبية بأى مجتمع أن هى إلا ذلك الجزء من مجموعة العادات الجماعية المتعارف عليها والتي تبدو فى نظر الناس وكأنها الطريقة المريحة والصحيحة والمقبولة والسليمة لفعل الأشياء ومن ثم فهى الشئ المتوقع من كل فرد فى المجتمع والواجب اتباعها.

ولا يفرض المجتمع تقاليده وعاداته الشعبية على أفرادة بحكم القانون بل عن طريق الضبط الاجتماعى مثلاً فى اتجاهات الناس وسلوكهم إزاء بعضهم البعض فالتقدير والثناء والقبول والاحترام هو المكافئة لمن يتبع التقاليد والعادات الشعبية السائدة والازدراء وايضاً الاستهتراء والاحتقار وعدم القبول هو عقاب من يخالفها. فالطفل الذى يتبع التقاليد والعادات الشعبية فىحى الضيوف ويسلم عليهم بكافى بابتسامة وكلمات تعليق ومدح أما إذا ابتعد وتجههم أو أقترف سلوكاً غير لائق فإنه يعاقب بكلمات تانيب من أبيه أو أمه وإذا سلك الشاب أو الرجل السلوك الذى يتفق مع التقاليد والعادات الشعبية فإنه يلقى احتراماً وتقديراً ويحتل مكانة عالية فى نظر الآخرين أما إذا تصرف تصرفاً لا يتفق مع التقاليد والعادات الشعبية ينظر عليه باستغراب أو بازدراء أو احتقار بل قد يتعرض لنقد جارح فى بعض المواقف، كل هذه الأنواع من القوى الاجتماعية غير الرسمية التى يضبط بواسطتها المجتمع على أفرادة وجماعاته لاتباع تقاليده وعاداته للشعبية.

لنأخذ مثلاً على ذلك التقاليد والعادات الشعبية المتعلقة بالزى الجامعى من السلوك المتعارف عليه أن طلبة وطالبات الجامعة يرتدون ملابس معينة تنسم عادة باللباقة والحشمة وتناسب فى نفس الوقت مع كونهم شباب فى مرحلة التعليم، كل فرد فى المحيط الجامعى فى تصوره توقعات ما يجب أن يكون عليه هذا النمط من السلوك الخاص بإتقاء الملابس وأنواعها وزياها لكن ماذا يحدث لو أن أحد الطلبة حضر إلى قاعة المحاضرات مرتدياً Overall أو شورت وماذا يحدث لو أن إحدى الطالبات حضرت المحاضرة مرتدية جونيلا قصيرة جداً أو طويلة أو ضيقة جداً أو حذاء ذو كعب عالى جداً - أو مستخدمة أنواعاً من مساحيق التجميل بطريقة صارخة، سوف لا يقوم أى فرد عادة بإخراج أى هؤلاء الطلبة أو الطالبات من قاعة المحاضرات نتيجة هذا السلوك.

ليس معنى هذا أنهم لم يعاقبوا على تصرفاتهم غير اللائقة بتفاوت العقاب عادة حسب درجة الانحراف عن السلوك المتوقع اتباعه، ربما يقتصر على نظرات الاستغراب التى ترتسم على وجوه الطلبة الآخرين وقد تتعداها إلى نظرات الاستهزاء أو الازدراء أو التحقير التى تعنى عدم الرضا، وقد تتعداها إلى ابعاد من ذلك إلىلقاء بعض كلمات النقد اللاذعة كل هذه تمثل أنواعاً من العقاب إلا أنه رغماً عن ذلك لايفكر عادة أحد فى أن سلوكهم وصل إلى حد أن يعتبر خرقاً للقيم الأخلاقية ولا يفكر أحد فى ضرورة أخذ اجراء رسمى لعقابهم وعموماً لا يرغب الأفراد فى ارتداء ملابس غير مناسبة ولو أنهم فى نفس الوقت لا يرون أن مخالفة ذلك فى إحدى المناسبات أمراً خطيراً.

على أن كل مخالفة للتقاليد والعادات الشعبية السائدة تعنى أن الفرد ليس مقتنعاً فى سلوكه مع السلوك الذى تعارفت عليه الجماعة التى ينتمى إليها وهذا بدوره قد يؤثر على سلوك الجماعة غزائه وقد يعانى الفرد من جراء ذلك الانحراف عن النمط من السلوك المتعارف عليه لجماعته وعموماً فإن رغبة الأفراد فى أن يكونوا

عاديين ومقبولين لدى الآخرين هي الدوافع التي يحفزهم إلى اتباع التقاليد والعادات الشعبية السائدة، على أن هناك قلة من الأفراد الذين يتعمدون مخالفة التقاليد والعادات الشعبية وهؤلاء لا يتأثرون كثيراً من جراء سلوك الآخرين تجاههم، أنهم يفعلون ذلك عادة بقصد الشهرة وحسب الظهور أمام الآخرين بمظهر الأفراد المستقلين في تفكيرهم أو غير المنقادين لغيرهم أو ذوى - الشجاعة الكافية لاتباع ما يرونه من صواب حتى ولو خالفوا غيرهم في ذلك، وعموماً تلك حالات شاذة قليلة الحدوث.

الموضات والتقاليع Fastions and Fads

هي أنماط سلوكية انتقالية تنتشر عادة في المجتمعات الحضرية المتقدمة حيث يوجد نظام طبقي مرن يسمح بانتقال الأفراد من طبقة اجتماعية لأخرى في مثل هذه المجتمعات كثيراً ما يحكم على الأفراد من مظهرهم الخارجى - والأغنياء من أفراد المجتمع هم الذين عادة ييؤن في اتباع الموضات الجديدة إلا أنه بعد فترة من الزمن تنتقل الموضات إلى أفراد الطبقة المتوسطة، والطبقات الفقيرة في المناطق الحضرية لا تهتم كثيراً بالموضات أما أفراد المجتمعات الريفية فقلما يعرفون شيئاً عن الموضات ويرجع ذلك إلى شدة تمسكهم بالعرف والتقاليد والعادات الشعبية وقلة إتصالاتهم بالمناطق الحضرية وهي المراكز التي تنشأ فيها وتنشؤ منها عادة الموضات الجديدة.

ولو أن الموضة لفظ يرتبط في أذهان الكثيرين بالتغيرات التي تطرأ على أزياء الملابس من حيث تصميمها وطريقة حياكتها إلا أنها تتعلق بالتغيرات التي تطرأ على أشياء أخرى مثل طريقة تصفيف الشعر، صناعة واستخدام الحلى، تنسيق وتنظيم المسكن، طريقة صناعة واستخدام بعض المنتجات، عمل ديكورات المساكن أو المحال العامة على أنه يجب دائماً أن نتذكر أن الموضات كأنماط مملوكية ثقافية

انتقالية أن هي إلا تعبيرات عن المعارف والآراء والأفكار وأيضاً اقتبسها الإنسان من غيره بحكم كونه عضواً في المجتمع.

وإذا كانت الموضوعات عادة ما ترتبط في أذهان الناس بالأشياء - العادية فإن حقيقة الأمر هي أنها معنويات تظهر في صورة أشياء مادية ثقافية والموضوعات من أنماط السلوك الثقافية الانتقالية التي لا تدوم طويلاً خاصة في المجتمعات الحضرية سريعة التغير.

أما التقاليع فهي ذلك النوع من الموضوعات التي تتغير بسرعة جداً، وهي عادة تلك الأنماط السلوكية الثقافية التي تبدو شاذة وغريبة وغير منطقية وملفتة للنظر، والتقاليع لها عادة جاذبية قوية خاصة لطائفة الشباب، ومن أمثلة التقاليع السائدة حالياً إطالة السوالف لدى الشباب، ارتداء البنات للبنطلونات ضيقة أو نظارات كبيرة فاقعة الألوان أو التزين بطريقة صارخة أو تصفيف الشعر بطريقة غريبة أو عجيبة إلى غير ذلك من أنواع السلوك الغريب الملفت للنظر مثل هذه التقاليع تظهر عادة في المجتمعات الحضرية غير أنها سرعان ما تختفى بعد فترة وجيزة لتظهر غيرها. وكثيراً ما يتعرض الأفراد الذين يتبعون بعض هذه التقاليع لنقد شديد من جانب بعض أفراد المجتمع خاصة كبار السن المحافظين والشديدي التمسك بالتقاليد والعادات الشعبية ولاعرف، إذ أن ذلك في رأيهم مظهراً من مظاهر الانحلال الخلقي والانحراف عن المثل العليا للرجولة والإنوثة الحقّة، على أن هناك بعضاً آخر من أفراد المجتمع لا يبالي ولا يكثرث لمثل هذه التقاليع بل أن ينظر إليها على أنها أنماط سلوكية تستهدف مجرد لفت النظر ولا تستند على عقائد راسخة ومن ثم فسوف تزول بعد فترة وجيزة وهذا ما يحدث فعلاً.

العرف Mores

العرف هو ذلك النوع من التقاليد والعادات الجماعية (Group Customs) التي يتحتم على الأفراد في المجتمع الالتزام بها. أنه يتضمن طرق السلوك والتفكير والشعور التي تعتبر أساسية وحيوية وهامة بالنسبة لأفراد المجتمع وليس مجرد الأشياء المقبولة أو المريحة أو المتوقعة، كما هو الحال بالنسبة للتقاليد والعادات الشعبية، والعرف يوضح الصواب والخطأ كما يوضح الأخلاقي وغير الأخلاقي وفقاً للقيم السائدة بالمجتمع ومن ثم فإن له جوانبه الإيجابية وجوانبه السلبية ومن أمثلة النواحي الإيجابية للعرف تلك الأشياء الواجب اتباعها كضرورة الوقوف أثناء تحية اعلم، ضرورة ارتداء ملابس، ضرورة الولاء للوطن وبالأخص في أوقات الحروب، ضرورة أن يعول الزوج زوجته ولولاده وكبار السن من أبويه إلى غير ذلك.

ومن أمثلة النواحي السلبية للعرف تلك المحرمات Tabbos مثل عدم الزواج بامرأة متزوجة من شخص آخر قبل أن يتم طلاقها منه، عدم الزواج من الأقارب المحرمين مثل الأمهات والأخوات والعمات والخالات أو غيرهم حسب مقتضيات العرف السائد، عدم القتل والزنى والسرقه أو محاولة قلب نظام الحكم بالقوة إلى غير ذلك من الأشياء الكثيرة التي ينهى عنها العرف.

والعرف وثيق الصلة بالقيم السائدة بالثقافة، وبما أن القيم الثقافية متعمقة في نفوس الأفراد فإن الحال كذلك بالنسبة للعرف فهو متأصل في أعماق نفوس الناس إلى حد أن كل ما يتعلق به أحياناً لا يناقش بل يقبل بلا تفكير وعادة بطريقة لا شعورية، فالعرف يحدد الخطأ والصواب أو الأخلاقي وغير الأخلاقي لكن أحياناً دون توضيح الأسباب أو المبررات، في حالة السؤال عن أسباب حتمية السلوك بطريقة معينة أو أداء أفعال بطريقة معينة تكون الإجابة عادة أن ذلك هو ما يجب أن يكون، لماذا؟ لأن ذلك ما يقتضيه العرف السائد.

والأفراد بالمجتمع يتبعون العرف السائد حتى ولو لم يعرفوا أسباب ذلك، إذا سئل مثلاً شخص لماذا يحى العلم عندما يمر أمامه فى استعراض لا يعرف عادة الإجابة على ذلك، لا يعرف أن العلم كرمز يمثل وحدة الجماعة ولا يعرف لماذا وحدة الجماعة أمر هام وحيوى بالنسبة للمجتمع، ربما يقول أنه يفعل ذلك لأنه شخص وطنى، أو لأن كل شخص عاقل لابد وأن يفعل ذلك، أو لأن باقى الأفراد يفعلون ذلك، وكلها إجابات قد تكون بعيدة عن الأسباب الحقيقية.

والعرف مثل التقاليد والعادات الشعبية - يختلف من مجتمع لآخر، فى بعض الثقافات يعتبر قتل الأطفال من الإثاث والكبار من الشيوخ والعجزة عملاً أخلاقياً لا غبار عليه بينما فى ثقافات أخرى يعتبر عملاً مشيناً محرماً غاية التحريم، ويعتبر أكل لحوم البشر فى بعض الثقافات عملاً أخلاقياً بل أنه فى بعض هذه الثقافات يندهش الأفراد من سلوك الرجل العصرى فى الحروب عندما يموت أعدائه وترمى جثثهم دون الاستفادة من لحومها، وحتى بالنسبة للزواج من الأقارب المحرمات والذي يعتبر اجراءً محرماً فى العالم اجمع تقريباً كان عملاً أخلاقياً فى بعض المجتمعات تحت ظروف معينة كما حدث فى وقت معين فى مصر أيام الفراعنة.

وعلى الرغم من أن العرف شأنه شأن التقاليد والعادات الشعبية يختلف من مجتمع آخر إلا أن الاختلافات فى التقاليد والعادات - الشعبية عادة ما تكون فى نظر افراد مجتمع آخر شئ عجيب أو مفرح أو مدهش كما يظهر ذلك بوضوح من طريقة سلوك وشعور السياح عند ملاحظتهم بعض التقاليد والعادات الشعبية فى المجتمعات التى يزورونها، أما الاختلافات فى العرف فأنها عادة تكون مفاجئة ومزعجة للأفراد الذين لا تتضمن ثقافتهم مثل هذا النمط من السلوك أو التكبر أو الشعور.

فالسائحة الأجنبية في مصر مثلاً قد يبهرها منظر موكب من مواكب الاحتفالات الدينية ولكن يزعجها أن تعرف أن الزوج المصري المسلم يستطيع أن يتزوج أربعة نساء في وقت واحد، والسائحة التي تزور أحد القبائل البدائية قد يبهرها منظر الحلقان التي تتدلى من أنوف النساء أو منظر النساء الحاملات لأطفالهن على ظهورهن وكلها من التقاليد والعادات الشعبية ولكن يزعجها معرفة أن المراسيم الجنائزية في هذه القبيلة تقضى بأن تحرق الزوجة نفسها عند تشييع جنازة زوجها كتعبير عن الحب والولاء له، أو أنه ممنوع عليها إلى الأبد أن تتزوج ثانية بعد وفاة زوجها.

وإذا كان العرف هو إنماط السلوك والتفكير والشعور التي يتحتم على الأفراد في المجتمع اتباعها فما هي القوة التي بواسطتها بضغط على الأفراد في المجتمع على أفراد لاتباع هذه الأنماط الثقافية؟ الحقيقة أن هذه القوة هي نفس القوة التي تضطر الناس إلى اتباع التقاليد والعادات الشعبية والتي تتمثل في التقدير والثناء والاحترام والقبول من جانب أفراد المجتمع لمن يتبع العرف السائد والاستهزاء والاحتقار وأيضاً الازدراء والانعزال والابتعاد والنقد الشديد كعقاب لم يخالفه.

ولعل أهم فارق بين القوى الضاغطة لتنفيذ العرف وتلك الضاغطة لتنفيذ التقاليد والعادات الشعبية هو أن الأول تستخدم بروح عاطفية قوية لأن العرف وأن كان يستند إلى القيم السائدة في المجتمع شأنه في ذلك شأن التقاليد والعادات الشعبية إلا أنه أكثر ارتباطاً بالقيم وبذا أكثر ترسيبها في أعماق نفوس الناس عن التقاليد والعادات الشعبية ومن ثم فإن العقاب الذي يتعرض له الأفراد الذين يخالفون العرف السائد لا شك أقصى وأشد من العقاب الذي يتعرض له من يخالفون التقاليد والعادات الشعبية. أن عقاب من يقتل أو يسرق أو يعتدى على ملكية الآخرين أو أى من حقوقهم لا شك أشد من عقاب من يرتدى مثلاً قميصاً وينطوئاً في مناسبة معينة تستدعى أن يكون مرتدياً بدلة كاملة.

على أنه يجب أن يكون دائماً واضحاً أن أجبار الناس في المجتمع على اتباع نمط معين من السلوك أمر وثيق الصلة بالقيم السائدة فالعرف هو الأنماط السلوكية التي يعتقد المجتمع في ظل قيمه السائدة في وقت معين أنها ضرورية الأتباع فلو ضعفت تلك القيم أو تغيرت لأصبح من المؤكد أن تطرأ تغيرات على مدى جبرية أو حتمية اتباع تلك الأنماط السلوكية، على أن جون كوبر يعتقد أن الأفراد والجماعات في المجتمع هي التي تجبر بعضها اتباع نمط أو أنماط من السلوك وأنه لا يجب أن يوضع الفرد والثقافة كل في جانب بحيث يبدو كما لو أن الثقافة تأمر الناس وتجبرهم على أداء ما لا يرغبون أدائه.

في الحقيقة من الصعب فصل الثقافة عن الناس في أي مجتمع فالناس أعضاء يشاركون في الثقافة ويقومون بأعمال وأفعال هي في جملتها مكونات الثقافة، ويميل كوبر إلى الاعتقاد بأن الأفراد وأيضاً الجماعات في المجتمع وليست الثقافة هم الذين يجبرون الناس على اتباع نمط سلوكي معين وعلى ذلك يرى أنه من ألوفق الكلام على الاجبار الاجتماعي وليس الاجبار الثقافي.

وبعض أنماط السلوك الثقافي التي يتضمنها العرف تصاغ في قوانين ويحكم رسمياً من يخالفها كما في حالة القتل والزنى والسرقه وخيانة الوطن وغير ذلك، غير أن البعض الآخر من الأنماط السلوكية التي يتضمنها العرف أيضاً والتي لم تصل إلى حد أن تصاغ في قوانين رسمية يعتبر أيضاً مراعاتها أمر ضروري وحتمى بل أنه في بعض الأحيان كثيراً ما يحرص الفرد على اتباع بعض أنماط السلوك التي يتضمنها العرف غير المصاغ في قوانين أكثر من حرصه على اتباع بعض أنماط السلوك التي يتضمنها العرف غير المصاغ في قوانين أكثر من حرصه على اتباع بعض أنماط السلوك التي يتضمنها العرف المصاغ في قوانين وعلى سبيل المثال يقضى العرف أن يكون الطبيب أميناً على مرضاه، فإذا خان الطبيب هذه الأمانة فإن العقاب غير الرسمي في هذه الحالة ممثلاً في سوء سمعته يكون

عادة أقسى وأشد من العقاب العادى الذى قد يفرضه تطبيق عرف معين مهما كان مقدار الغرامة المادية.

والفرد العاقل فى المجتمع عادة غير مستعد لأن يفقد سمعته على أنه مواطن ذو ولاء لمجتمعه أو عامل أمين فى عمله أو زوج مخلص أو ابن يار مطيع، والغالبية العظمى من يخالفون العرف السائد فى المجتمع يمرون بخبرة الشعور بالذنب وتائب الضمير، وينتابهم عادة الكسوف والخجل وتحط سمعتهم نتيجة كثرة كلام الآخرين عنهم ونقدم لهم وأحياناً ما يصل الحال إلى حد اقتضاح أمرهم عن طريق وسائل الاعلام المختلفة التى قد ترى فى خروجهم عن العرف السائد شئ بالغ الخطورة.

والعرف - مثل التقاليد والعادات الشعبية - يتغير من وقت لآخر وإن كانت التغيرات التى تطرأ على العرف عادة تحدث ببطئ شديد وعلى مر فترة طويلة من الزمن أكثر منه بالنسبة للتقاليد والعادات الشعبية، وصعوبة إدخال تغييرات على العرف السائد ترجع إلى شدة ارتباطه بالقيم السائدة بالثقافة وتلك الخبرة كما سبق القول راسخة متعمقة فى عقول الناس يصعب اقتلاعها وتغييرها بسهولة لكن رغم ذلك فالعرف يتغير، من الأمثلة على ذلك: كان تدخين المرأة فى وقت من الأوقات يعتبر فى نظر الكثيرين من الناس عملاً غير أخلاقى وسلوكاً غير مقبول بالمرءة، حالياً فى الكثير من المجتمعات الأخرى أصبح مجرد عمل اختياري حر.

عدم استعمال موانع الحمل كان عرفاً قوياً لدى الكاثوليك تساقده كل القيم الدينية ومع ذلك فإن الاحصاءات الرسمية فى بعض الدول تشير إلى أن الكاثوليك بدأوا استعمال موانع الحمل بمعنى انتقال السلوك من سلوك محرم إلى سلوك مسموح أى من عرف إلى تقاليد وعادات شعبية، فى كثير من المجتمعات الاحتفاظ بالبركة لحين الزواج لا يزال عرفاً وتمطاً مثالياً غير أن البحوث أثبتت أن النمط

الحقيقى يختلف كثيراً عن النمط المثالى، العبودية كانت فى وقت معين فيما مضى عرفاً فى بعض المجتمعات غير أنها حالياً لم تعد كذلك بل أصبحت عملاً غير أخلاقى، فى الماضى كان ينظر إلى ارتداء ملابس البحر على أنه فعل غير أخلاقى وخالياً يعتبر فعلاً من الأفعال الاختيارية.

هذه الأمثلة وغيرها توضح بجلاء كيف أن العرف السائد فى مجتمع معين قد تتغير بعض أنماطه السلوكية فتصبح مجرد تقاليد وعادات شعبية بل وقد تتحول إلى مجرد سلوك فردى اختياري، على أنه قد يحدث العكس تماماً فقد يتحول سلوك فردى اختياري إذا ما أتبعه أفراد المجتمع وأصبح سلوكاً متكرراً متعارف عليه إلى تقاليد وعادات شعبية أى يصبح الطريقة السليمة فى نظر الناس لفعل الأشياء وبذلك يصبح السلوك المتوقع الذى يجب على أفراد المجتمع مراعاة اتباعه (أى تقليداً) وبمرور الزمن إذا ما أظهر الناس فى المجتمع ما يؤكد أهمية هذا السلوك وحتمية اتباعه والمحافظة عليه وإذا ما دافعوا عنه بشدة وتمسكوا به فإنه يتحول والأمر كذلك من مجرد كونه تقليداً وعادة شعبية إلى كونه عرفاً ملزماً.

ولتوضيح التغيرات التى تطرأ على أنواع السلوك المتعلم وأنماطه حاول جون كوبر وضع أنواع السلوك المتعلم وأنماطه على ما يسمى بالـ Continuum فى أحد جوانبه يوجد ما يسمى بالأفعال غير المحددة أو ما استعملناه هنا بالسلوك الحر الاختياري ويوجد فى الجانب الآخر العرف أما فى الوسط فتوجد التقاليد والعادات الشعبية على النحو الموضح أدناه والذى منه يتبين أن السلوك الاختياري أى الفعل غير المحدد لا يتحول فجأة إلى عرف كما لا يتحول العرف فجأة إلى سلوك اختياري بل يحدث ذلك تدريجياً وعلى مر فترة زمنية يتوقف مداها على نوع السلوك وظروف كل مجتمع، وخلال هذا التحول يتغير موقع السلوك أو نمطه على الـ Continuum.

ولما كان العرف والتقاليد والعادات الشعبية والسلوك الاختياري (الأفعال غير المحددة) كلها مصطلحات معنوية حدودها متداخلة وليست في واقع حقيقة الأمر ذات حدود واضحة كما نتخيلها أو نصورها فإنه لا غرابة إذا ما كان من الصعب تحديد موقع أى سلوك أو نمط من أنماط السلوك بدقة على الـ Continuum خصوصاً وأنه كما سبق القول - فى المجتمع سريع التغير وقد يعتبره بعض الأفراد والجماعات على أنه عرف قد يعتبره أفراد وجماعات أخرى على أنه تقاليد وعادات شعبية، بل وقد يعتبره آخرون على أنه لا يوجد أى وضع نهائى أو ثابت لأنواع السلوك وأنماطها على هذا الـ Continuum كما سبق القول فقد يكون لحد الأفعال فى وقت معين حتمى أى عرف ثم يتحول إلى مجرد فعل جماعى مقبول أى تقليد ثم يتحول إلى فعل فردى حر اختياري. والتاريخ الاخلاقي ملئ بالكثير من الأمثلة التى توضح مثل هذه التغيرات.

← Undefined acts → ← Folkways → ← mores →
الأفعال غير المحددة التقاليد والعادات الشعبية العرف

على أن التغيرات فى العرف لا تتم عادة بالسهولة التى قد يتصورها البعض ذلك لأن العرف كما سبق القول مرتبط ارتباطاً وثيقاً بقيم الناس واتجاهاتهم، والتغيرات فى القيم والاتجاهات بين أفراد المجتمع وجماعاته كثيراً ما يصاحبها صراعات ومنازعات مريرة خاصة إذا كان بالمجتمع جماعات من ثقافات مختلفة أو عناصر (races) مختلفة، وعلى سبيل المثال فى الولايات المتحدة الأمريكية يعتبر بعض الناس أن اختلاط السكان البيض بالسكان السود عمل غير أخلاقي لكنهم فى نفس الوقت يعتبرون أن احترام القوانين الفدرالية عمل أخلاقي وحتمى وضرورى، وعندما تحتم القوانين الفدرالية اختلاط التلاميذ البيض بالتلاميذ السود فى المدارس هنا يواجه الفرد صراع نتيجة للتضارب فى القيم التى يستند إليها العرف ربما لا تحل هذه المشكلة إلا بتفسيرها فى ضوء عرف آخر يستند إلى قيم جديدة تبدو أخلاقية فى نظر الناس وليكن عرف دينى مثلاً.

هكذا يصبح كل تغيير فى ثقافة الناس فى المجتمع مشكلة أمام الأفراد والجماعات أما أن يتبعوا القديم أو الجديد من أنماط السلوك المتغيرة، ومما يزيد من المشكلة تعقيداً أنه فى المجتمع الحضرى التى تتغير فيه القيم بسرعة يتعذر أحياناً معرفة ما إذا كانت بعض أنماط السلوك لا تزال ملزمة (أى عرفاً) أم انها أصبحت مجرد أنماط مقبولة ومريحة أى أنواع من السلوك المتوقع أى تقاليد وعادات شعبية، وبالمثل قد لا يعرف الأفراد ما إذا كانت بعض التقاليد وأيضاً العادات الشعبية لا تزال كذلك أم انها أصبحت عرف أو أصبحت فى حكم السلوك الاختيارى الحر، ومن ثم لا يجد الأفراد أنفسهم فى حيرة من أمر بعض أنواع السلوك وأنماطه فالبعض يلتزم بها باعتبارها عرفاً ويحاول فرضها على الآخرين، والبعض الآخر يعتبرها مجرد تقليداً أو عادة ويتوقع اتباع الآخرين لها، والبعض الآخر قد يعتبرها سلوكاً اختيارياً غير ملزم ولا بالضرورة متوقع.

وأكثر أفراد المجتمع عادة حيرة من أمر الأنماط السلوكية المتغيرة هم الشباب خاصة فى بعض المجتمعات الحضرية التى لم يعد بها الكثير من العرف والتقاليد والعادات الشعبية المتفق عليها كما كان الحال فى الماضى، ومن ثم فإن الشباب حالياً يجد نفسه فى حيرة بين ما هو صواب وما هو خطأ وبين ما هو أخلاقى وما هو غير أخلاقى.

ومما يزيد من المشكلة تعقيداً أن العرف والتقاليد والعادات الشعبية تختلف من طبقة اجتماعية لأخرى، هذا بالإضافة إلى أن الانتقال الطبقي والاتصال بالجماعات الأخرى ووسائل الاعلام ونوع المنطقة التى يعيش فيها الفرد كلها عوامل قد تكون ذات آثار هامة فى هذا الشأن.

على أنه رغم ذلك كله فإنه لا يزال هناك حتى في هذه المجتمعات الحضرية سريعة التغير بعض أنماط السلوك الثقافي الملزمة أى العرف الذى يتحكم اتباعه مثل حتمية احترام الأنظمة السياسية والدينية والأسرية والاقتصادية وغيرها بالمجتمع.

على أن الحال يختلف بعض الشيء فى المجتمعات الريفية حيث التغيرات فى قيم الناس تحدث ببطئ شديد ومن ثم فإن سلوكهم وأنماط سلوكهم لا تتغير بسرعة وبمعنى آخر فإن العرف والتقاليد والعادات الشعبية تظل فترة طويلة من الزمن دون أن يطرا عليها تغيرات جوهرية وبالتالي لا تظهر فى مثل تلك المجتمعات تلك الاختلافات الكثيرة فى أنواع السلوك وأنماطه التى توجد فى المناطق الحضرية ومن ثم فإن سكان المجتمعات الريفية لا يجدون عادة صعوبة فى اختيار النمط المناسب من السلوك فى الوقت المعين.

القوانين:

عندما توضع المعايير الأخلاقية المنظمة لسلوك الناس فى المجتمع فى صورة مكتوبة محدد وتقام لها الهيئات التى تشرف على تنفيذ الناس لها ومعاقبهم على مخالفتها فإنها تسعى فى هذه الحالة بالقوانين، فى الكثير من المجتمعات الصغيرة البسيطة ذات الجماعات المتشابهة لا تزال التقاليد والعادات الشعبية والعرف هى القوى المنظمة لسلوك الناس والمحددة لما يجب وما لا يجب أن يكون بالنسبة لمختلف نواحي الحياة. فى مثل هذه المجتمعات لا يوجد حاجة إلى قوانين مكتوبة، غير أنه فى المجتمعات الكبيرة المعقدة التى تضم جماعات ذات عرف مختلف يصبح وجود القوانين التى تنسق بين سلوك هذه الجماعات أمراً حتمياً حتى يمكن للمجتمع أن يودى وظائفه دون نشوب صراعات ومنازعات بين الأفراد الأمر الذى يهدد سلامة المجتمع وأمنه واستقراره.

وتختلف القوانين عن العرف من عدة نواحي هي:

١- أن القوانين تسن عمداً أى عن قصد وبطريقة شعورية، أما العرف فإن جزءاً كبيراً منه أو غالبيته يتأتى لا شعورياً على مر فترة طويلة من الزمن ومن ثم يبدو وكأنه شئ نابع من الإنسان وليس من صنع الإنسان كما هو الحال بالنسبة للقوانين.

٢- القوانين لها الصفة المحددة القاطعة غير المرنة فهي تصاغ وتكتب بالفاظ معينة وفي مواد محددة تنص على عقوبات معينة إلى غير ذلك، أما العرف فليس له هذه الصفة القاطعة غير المرنة وليس مكتوباً ولا ينص على عقوبات محددة كما هو الحال في القوانين.

٣- القوانين تنفذ بطريقة رسمية عن طريق هيئات معينة مثل البوليس والمحاكم والسجون وتتفاوت عقوباتها من الغرامات البسيطة إلى الحكم بالاعدام لمن يخالفها، أما العرف فإنه لا توجد هيئة رسمية مسنولة عن تنفيذه أى لا ينفذ رسمياً وإنما ينفذ عن طريق القوى الاجتماعية الممثلة في الضبط الاجتماعي أى قوة الرأي العام للناس في المجتمع.

على أنه رغماً عن الاختلافات فإن هناك علاقة وثيقة بين القوانين والعرف فالكثير من القوانين خاصة في الماضي كانت علافاً مقنن والكثير من القوانين لا تزال كذلك أى قوانين تنفذ العف ومن أمثلة ذلك القوانين الخاصة بعدم زواج المسلم بأكثر من أربعة نساء في وقت واحد بعدم زواج المسلم بأكثر من أربعة نساء في وقت واحد ولا بالزواج من المحرمات من النساء ولا بزواج - المسلمة من غير المسلم والقوانين الخاصة بالقتل والزنا بالإكراه والسرقة والاعتداء على أموال الآخرين وغيرها، كلها في نفس الوقت عرف هام صيغ في صورة قوانين، وليس معنى هذا أن كل قانون يستند إلى عرف سائد.

هناك قوانين كثيرة غير متفقة مع العرف من حيث النشأة ولا وجهة النظر. أنها شرعت لمقابلة احتياجات معينة بالمجتمع هذا يبدو بصورة واضحة خاصة في المجتمعات التي تتطور بسرعة. فالكثير من الاختراعات المادية والمعنوية تطلبت تنظيم سلوك الأفراد والجماعات ازاء ما ترتب عليها من تغييرات في المجتمع، لقد خلقت أوضاعاً جديدة لم تكن موجودة قبلاً وبالتالي لم يكن لها عرف ولا تقاليد وعادات شعبية من قبل تنظيمها ومن أمثلة ذلك اختراع السكك الحديدية والطرق المرصوفة والطائرات والراديو والتليفون والتليفزيون هذه وغيرها تطلبت سن قوانين لتنظيم استخدام هذه المخرعات.

ومن الملاحظ أن القوانين التي تستند في تشريعها على العرف السائد أو على الأقل لا تتعارض معه تكون أكثر اتباعاً واحتراماً من جانب الناس من تلك التي لا تقوم على أو تتعارض مع عرف سائد، ومن أمثلة ذلك قوانين الزواج والطلاق والسرقة والقتل يلاحظ أنها أكثر اتباعاً من جانب الناس لأنها تقول على أساس العرف الدينى، بينما قوانين المرور مثلاً يخالفها الكثيرون من الناس لأنها لا تقوم على عرف سائد بينهم، ومن الأمثلة الأخرى على ذلك أيضاً فقه في بعض المجتمعات الغربية قد ضغط بعض السماعاء على الحكومة المحلية لسن بعض التشريعات التي تتعارض مع العرف السائد فمثلاً قوانين منع بيع وتعلقى الخمور والتي في بعض المناطق بالولايات المتحدة الأمريكية جاءت نتيجة ضغط بعض الجماعات الدينية، هذه القوانين كثيراً ما يخالفها الناس لأنها تتعارض مع العرف السائد الذي يبيح تعاطيها.

على أنه يجب أن يلاحظ أن هناك بعض الاستثناءات لتلك القاعدة العامة فمثلاً قانون الجنايات قد ينص على أن القاتل يقتل وهذا يتفق تماماً مع العرف الدينى إلا أنه ربما لا يحكم على القاتل ويكتفى بالسجن لعدة سنوات إذا علم أن القاتل كان في موقف الدفاع عن النفس، أو أن القاتل ضبط القاتل متلبساً بجريمة الزنا مع

روجته الأمر الذى أثار شعوره وأدى به إلى ارتكاب الجريمة عندما يراعى القاضى كل هذه الجوانب الإنسانية فى الموقف فقد يخفف من حكم الاعدام على الجانى رغم ان العرف يساند مبدأ من قتل عمداً يقتل، وعموماً فالمشتغلون بالتشريعات القانونية وبالقضاء يعلمون جيداً أن أكثر القوانين فعالية هى تلك التى تمتد جذورها فى التقاليد والعادات الشعبية والعرف السائد بالمجتمع أى النابعة عنها وعلى ذلك فأنهم يتحاشون ما أمكن سن القوانين التى تتعارض معها ويفضلون الانتظار حتى يأتى الوقت المناسب الذى يصبح فيه العرف هو القوى الضاغطة والمطالبة بسن القانون.

وبعض القوانين تسن عندما يصبح العرف السائد عاجزاً عن أن يعالج مشاكل معينة بالمجتمع فمثلاً يقضى العرف الدينى أن على كل مسلم أن يخرج الزكاة ويتصدق على الفقراء والمساكين ذلك لأن الأغنياء يتقاعسون عن اخراج الزكاة وعت التصديق على الفقراء ومن ثم يجد المجتمع نفسه مضطراً إلى سن قوانين الضرائب للحصول على الأموال اللازمة من ذوى الدخول العالية وسن قوانين الضمان الاجتماعى لتنظيم عملية مساعدة الفقراء والمحتاجين. والقوانين كثيراً ما تكون وسيلة للإصلاح الاجتماعى، فمثلاً تركيز ملكية الأراضى الزراعية فى مصر فى أيدى عدد قليل من الملاك الزراعيين فى وجود ملايين من المزارعين المعدمين خلق مشكلة اجتماعية واقتصادية تطلبت وضع سياسة اصلاحية كان مؤداها سن قوانين الاصلاح الزراعى الخاصة بإعادة توزيع الملكية وتحديد قيمة إيجار الفدان من الأراضى الزراعية وتحديد حد أدنى لأجر العامل الزراعى.

ومن الأمثلة الأخرى للوظيفة الاصلاحية للقوانين أنه فى بعض المجتمعات قد يختلف النمط الحقيقى من السلوك كثيراً عن النمط المثالى. الأمريكيون كثيراً ما يتحدثون عن تمسكهم بالعدالة وأيضاً المساواة فى الفرص وعن الديموقراطية إلى غير ذلك مما يمكن أن يطلق عليه بالأنماط المثالية من طرق التفكير، لكن السلوك الحقيقى السائد لا يتفق مع السلوك المثالى أى مع يجب أن يكون.

سن القوانين فى هذه الحالة يساعد على التقريب بين النمط الحقيقى والنمط المثالى من السلوك فالقوانين الفدرالية التى تنمو على المساواة فى فرص التعليم والعمل لكل مواطن بغض النظر عن العنصر والدين أو غير ذلك حتى لو لم تطبق كما يجب فهى تساعد على الأقل فى إثارة الشعور بمد مخالفة الناس لما يجب أن يكون الأمر الذى قد يودى إلى تأنيب الضمير - لدى على الأقل بعض الناس - ويساعد فى الأمد الطويل على التقريب بين ما هو كائن وما يجب أن يكون وهكذا تصبح القوانين وسيلة هامة لأحداث تغير اجتماعى مرغوب فيه فى المجتمع.

ومن الجدير بالإشارة أن عملية سن أى قانون جديد أو تعديل قانون قائم يتطلب اجراءات عديدة وطويلة قبل أن يوضع القانون موضع التنفيذ، ومن ثم فإن القوانين لا تتغير بسرعة بل يسرى مفعولها لعشرات السنين، وربما خلال هذه الفترة تحدث تغيرات فى لاعرف والتقاليد والعادات الشعبية التى كانت فى وقت معين تتفق مع أحد القوانين ومع ذلك يظل القانون قائماً إلى أن يأتى الوقت الذى يتحتم فيه تعديله أو الغائه تحت ضغط العرف والتقاليد والعادات الشعبية الجديدة، ومن هنا يمكن تفسير ظاهرة وجود بعض القوانين رغم عدم سريان مفعولها أى رغم عدم تطبيقها. أنها تكون فى أغلب الأحيان أصبحت بحكم العرف والتقاليد والعادات الشعبية الجديدة أو بحكم تغير الظروف التى أوجدتها لم تعد ذات موضوع أى لم يعد المجتمع فى حاجة إليها إلا أنه لم يتم بعد بالغائها أو تعديلها.

المؤسسات:

يعرف بعض الاجتماعيون المؤسسة على أنها 'مجموعة متداخلة ومتراصة من العادات والتقاليد الشعبية والعرف والقوانين التى تتركز حول أداء وظيفة أو مجموعة من الوظائف (كالتعليم و الصناعة وتوزيع السلع...الخ) ويرى الكثيرون من علماء المجتمع أن المؤسسات الاجتماعية الرئيسية هى الزواج والأسرة والتعليم

والنظام الاقتصادي، والحكومة، والدين والنظام الأخلاقي، وإلى جانب هذه المؤسسات الخمسة الرئيسية يضيف البعض أحياناً مؤسسات أخرى ثانوية مثل النظام التربوي والنظام الجمالي والفني والتعبيري والمؤسسات الخمسة الرئيسية وثيقة الصلة بمقابلة الاحتياجات الأساسية للإنسان ككائن بيولوجي يعيش في جماعة إنسانية، وعلى ذلك فإن كل منها يمثل مجموعة من التقاليد والعادات الشعبية والعرف وأيضاً القوانين التي نظمت ونسقت بشكل يحقق مقابلة احتياج أو أكثر من الاحتياجات الأساسية للإنسان، لناخذ الزواج والأسرة والتعليم كأمثلة لتوضيح ذلك.

هناك دوافع جنسية لدى الإنسان ككائن بيولوجي - هذه الدوافع تقابل عن طريق التوالف الذي يؤدي إلى انجاب الأطفال وإن كان للأطفال أهمية لبقاء المجتمع الإنسان واستمراره، إلا أن الإنسان يرعاهم وينشئهم بدافع مقابلة احتياجاته للمحبة وإلا من الاقتصادي والاجتماعي، بسبب كل ذلك نشأ نظام الزواج لمقابلة هذه الاحتياجات البيولوجية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية ولكي يكون الزواج والأسرة وسيلة فعالة لتحقيق هذه الأغراض فقد نظمت في ضوء مجموعة من التقاليد والعادات والعرف والقوانين والتي بدونها ما كان من الممكن تحقيق الأهداف المرجوة.

من أمثلة التقاليد والعادات الشعبية التي يتضمنها عادة الزواج في بعض المجتمعات الموافقة من جانب الأفراد الراغبين في الزواج (أو أسرهم) على اتمامه وتقديم دبلّة الخطوبة واشهار الخطوبة والزيارات المتكررة وتقديم الهدايا في المناسبات المختلفة إلى غير ذلك ومن أمثلة العرف المحافظة على البكارة والولاء والاخلاص بعد الزواج واحترام الزوج والزوجة كل لحقوق الآخر ومراعاة الوفاء لمسئولياتهما إزاء الأطفال، ومن أمثلة القوانين التي قامت على أسس مساندة العرف اشهار الزواج عن طريق الاحتفال الرسمي المعروف بعقد القران، وعدم الزواج بامرأة مقروجة حتى تطلق ويحريم الزواج من الأقارب المحرمات وقوانين الطلاق

والنفقة والقوانين الخاصة بعدم الزواج قبل سن معينة إلى غير ذلك من مجموعة القوانين التى تسمى عادة بقوانين الأحوال الشخصية.

كل هذه التقاليد والعادات الشعبية والعرف والقوانين تكون نسيجاً متافساً هدفه إقامة البنيان الأسرى الذى يخدم ويقابل احتياجات الإنسان البيولوجية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وبدون هذا التنسيق الهادف يصعب أن يتم الزواج وأن تقوم الأسرة بوظائفها، لأو أن الاختلاط الجنى مباح دون أية شروط أو قيود لربما تنافس وتنازع وتصارع أفراد المجتمع خلال محاولاتهم اشباع رغباتهم الجنسية ولما لقي المواليد من الأطفال من يربيههم وينشئهم ولا النساء من يحميهن ويرعاهن ولما لقي الكبار من يعولهم عند العجز والشيخوخة والمرض ولما استطاع المجتمع الإنسانى أن يحرز تقدماً فى ظل هذه الأوضاع غير المستقرة، ولكن عن طريق تنظيم سلوك الأفراد وفقاً لمجموعة من التقاليد والعادات الشعبية والعرف والقوانين المتعارف عليها والتى تحدد عقاب من يخالفها ومكافئة من يتبعها أمكن تنظيم الزواج وإقامة الأسرة كمؤسسة اجتماعية رئيسية وهامة فى المجتمع.

والتعليم كمثل آخر من أمثلة المؤسسات الاجتماعية له أيضاً أهدافه المحددة أى وظائفه التى يسعى لتحقيقها سواء أكان تعليمياً رسمياً أو غير رسمى، ولها أفراد الذين يتمثلون فى المدرسين والأساتذة والطلبة وسائر العاملين الآخرين، وله امكانياته من معدات وأجهزة ومعامل وفصول ومكتبات وخلافه، والنشاط التعليمى ينظمه ويحكمه التقاليد والعادات الشعبية والعرف فى بعض المجتمعات بالإضافة إلى القوانين فى مجتمعات أخرى، هذه القوى الرسمية وغير الرسمية تحدد الأنماط السلوكية الواجب اتباعها، ودور أو أدوار ومسئوليات وواجبات وحقوق كل فرد من أفراد المؤسسة وعرفته بالآخرين، فهى توضح علاقة الأستاذ بالطالب، والطالب بزميله وعلاقى الجميع بالفراد المسئولين عن النواحي الإدارية وغيرها كما توضح

المكافئات لمن يحفظ على الأنماط السلوكية الواجب اتباعها والجزاءات لمن يخالفها كل ذلك لتحقيق العملية التعليمية.

على أن بعض الاجتماعيين يميلوا - كما سبق أن أوضحنا - إلى اعتبار بعض الأنماط السلوكية المنظمة في إطار مؤسسي (أي ذات الدرجة العالية من التنظيم والتحديد وعدم المرونة) لمقابلة احتياجات ورغبات ثانوية على أنها أيضاً مؤسسة، ومن أمثلة ذلك المؤسسات الصحية، والترويجية والصحية وغيرها حيث يتصف كل منها ببعض ما للمؤسسات الاجتماعية الرئيسية من صفات. وجدير بالذكر أن المؤسسة الاجتماعية قد تنشأ وتنمو وتطور تدريجياً على مر فترة زمنية طويلة كاستجابة لاحتياجات الإنسان دون تخطيط مقصود، أو قد تنشأ عن قصد أي بتخطيط مسبق لتحقيق احتياجات أو إشباع رغبات معينة.

ومن أمثلة النوع الأول المؤسسات الاجتماعية الخمسة الرئيسية السابق الإشارة إليها. ومن أمثلة النوع الثاني الكثير من المؤسسات الثانوية التي توجد في المجتمعات المتقدمة ذات الثقافات المركبة مثل لمؤسسات الصحية والانتقالية والائتمانية وغيرها. والمجتمعات المتطورة تنشئ من آن لآخر العديد من مثل هذه المؤسسات لمقابلة احتياجات ومستلزمات الحياة العصرية.

وينظر Biesenz إلى المؤسسة على أنها لم تتضمن مفهوم concept وبناء (structure) فأما المفهوم فيدور حول احتياج أو احتياجات معينة تسعى لمؤسسة لتحقيقها، أما البناء فيشمل ثلاثة أشياء هي:

- ١- الأفراد العاملين بالمؤسسة.
- ٢- الأجهزة وكافة الإمكانيات التي تستعملها.
- ٣- الأساليب والقواعد التي تتبعها فمثلاً المؤسسة الطبية هدفها يدور حول علاج المرضى أفرادها هم الأطباء والممرضين و الممرضات وعمال المعامل وسائر

العاملين الآخرين وأدواتها وأجهزتها وإمكاناتها هي المستشفى بكل ما فيها من أسرة وحجرات عمليات وأجهزة ومعامل... الخ، وأساليبها وقواعدها تتمثل في العرف والقوانين التي تحدد أدوار ومسئوليات وواجبات وحقوق كل فرد في المؤسسة كما وتحدد أخلاقيات المهنة أيضاً.

فالتبيب لا يكفي أن يتعلم المهارات فقط وإنما أيضاً الآليات المهنية، والمرضات يتعلمن أيضاً التقاليد والعادات الشعبية والعرف والقوانين التي تنظم سلوكهن تجاه الأطباء وتجاه المرضى وسائر العاملين وأحياناً ما يطلق على أفراد المؤسسة بل وأيضاً أفراد أى جماعة منظمة تسعى لتحقيق هدف مشترك.. اسم هيئة Association ومن ثم يجب عدم الخلط بين لفظ مؤسسة ولفظ هيئة.

وتختلف المؤسسات بعضها عن بعض حسب الوظيفة والنمط فوظائف المؤسسات الخمسة الرئيسية هي وظائف اقتصادية وتعليمية ودينية وأسرية وحكومية وهذه كما يقول ساندرلاند تمثل النواحي الهامة للبناء الاجتماعي، على أنه عند النظر إلى حقيقة كل وظيفة من هذه الوظائف العامة نجد أنها تتضمن أنواعاً من الوظائف المعينة المحددة فهناك على سبيل المثال وظائف تعليمية وأنماط تعليمية مختلفة، هناك مدارس حضانة ومدارس ابتدائية واعدادية وثانوية وتجارية وزراعية ومدارس خاصة ومعاهد عليا وجامعات كما أن هناك بعض المؤسسات التعليمية التي لا يطلق عليها لفظ مدرسة مثل تلك الأجهزة التي تمنع برامج التدريب أثناء الخدمة.

وعلى ذلك فمن المستحيل عند الكلام على المؤسسات أن نشير إليها بالجمع وليس بالمفرد فنقول مثلاً المؤسسات الاقتصادية أو التعليمية أو الدينية أو الحكومية. وتختلف المؤسسات في درجة تعقيدها فمنها ما هو شديد التعقيد ومنها ما هو بسيط ذلك لأن أنماط السلوك الإنساني يمكن أن تكون معقدة جداً كما هو الحال في الحكومة المركزية أو بسيطاً كما هو الحال في مؤسسة تعليمية أو دينية كما

وتتفاوت المؤسسات فى مدى رسميتها فبعضها على درجة عالية من الرسمية والبعض على درجة بسيطة من الرسمية والمهم أن نفهم بأن كل مؤسسة هى نسيج متداخل مترابط من أنماط السلوك المحددة والمستقرة بدرجة كافية تجعلها أكثر دواماً وبقاء من مؤسسيها.

العقائد:

لعل من أهم ما تتضمنه الثقافة تلك المعنويات الثقافية التى يطلق عليها بالعقائد (Beliefs) وهى ذلك الشطر من المعارف المشتركة التى يتفق الناس عليها ويؤمنوا بها ففى كل ثقافة يعتقد الناس عليها ويؤمنوا بها ففى كل ثقافة يعتقد الناس فى صحة وحقيقة أشياء معينة وعلى سبيل المثال فى بعض المجتمعات - خاصة البدائية - يعتقد الناس أن من أسباب بعض الأمراض التى تتأبهم وجود روح شريرة فى جسم المريض ولذا فإنه لأجل شفائه لابد من طرد هذه الروح الشريرة بمختلف التعاويذ والتراويل والأدعية لأنهم يؤمنون بجدوى وفائدة هذه الأفعال.

والمعارف التى تتضمنها العقائد على الرغم من عدم امكان اثبات مدى صحتها بالبحث العلمى إلا انها شأنها شأن المعارف العلمية تدخل ضمن مكونات الثقافة بل أنه أحياناً ما يختلط بعض عناصر تلك المعارف العقائدية بالمعارف العلمية إلى الحد الذى يصعب فصلها عن بعضها أو إلى الحد الذى يرى على الأقل أن من الأهمية تلازمهما. ففى المجتمعات الغربية على الرغم من الإيمان بالعلم والطرق العلمية فى علاج الأمراض كاستخدام مختلف العقاقير الطبية التى يصفها الأطباء لمرضاهم إلا أنه كثيراً ما يصاحب العلاج الطبى بعض الصلوات والأدعية التى يقوم بها القساوسة لمن يتردد عليهم من المرضى.

ولكل مجتمع عقائده فى مجموعة ما يتفق عليه أفراد المجتمع من أنه صدق وحق فى نظرهم، ولو حدث وترعزت بعض عقائد الناس لكان فى ذلك خطر على ترابط وتكامل ثقافتهم إذ يعنى هذا تضارب وتناقض أفعالهم وأفكارهم وذلك بدوره يهدد أمنهم واستقرارهم فالنظام العقائدى مهم فى كل مجتمع أياً كان نوع العقائد السائدة وبصرف النظر عن مدى إمكان إثبات صحتها أو عدم صحتها فأى نظام عقائدى يعتبر مهماً لمن يؤمنون به حتى وإن بدى غير ذلك للإفراد فى المجتمعات الأخرى ذات الثقافات المختلفة.

القيم:

من العناصر الثقافية المعنوية الهامة التى تتكون منها أيضاً الثقافة تلك المعنويات التى يطلق عليها بالقيم (Values) والقيم من المعنويات التى يصعب تحديدها بالضبط كما يصعب فصلها عن الاتجاهات إلا من الناحية التحليلية البحتة، وكثيراً ما يخلط البعض بين القيم والأنماط السلوكية الجماعية المثالية المشتركة وهى ما يطلق عليها بـ Norms مع أن كل منهما مختلف عن الآخر فالقيم هى القواعد أو الأسس التى فى ظلها يجرى تبرير وتفسير الـ Norms لناخذ مثلاً لتوضيح ذلك: من الأنماط السلوكية المثالية الجماعية المشتركة فى المجتمع (أى الـ Norms) أن الناس لا تسرق، لماذا؟ لأن الأمانة وهى أحد القيم الاجتماعية الدينية تتعارض مع السرقة ولا تحض على اقترافها، ولماذا يكون الإنسان أميناً؟ لأن الله وعد الذين يلتزمون بالأمانة خيراً فى الدنيا والآخرة ووعد الذين لا يلتزمون بها جزاءً وعقاباً.

ومن الأمثلة الأخرى التى توضح العلاقة بين النمط السلوكية المثالية الجماعة المشتركة أى Norms أن الناس لا تختلط جنسياً إلا فى إطار نظام الزواج المتعارف عليه فى المجتمع، القيمة الاجتماعية التى تساند ذلك النمط وتبرره وتفسره هى العفة، و جدير بالذكر أن الناس لا تستطيع عادة التهجيم على القيم السائدة وترى

أن لابد من مساندتها ولو شفويا على الأقل حتى وأن لم يتبعوا النمط من السلوك الذى يتمشى معها، ذلك لأن الهجوم على القيم السائدة يعتبر تهديداً أكبر وأعظم للكيان المجتمع من الانحراف عن النمط السلوكى المثالى، وعلى سبيل المثال الدعوة إلى عدم العفة أصعب بكثير من ارتكاب الزنا.

والقيم الاجتماعية السائدة بأى مجتمع بعضها أساسى والآخر ثانوى فاما القيم الأساسية فهى تلك القيم التى يتقبلها أفراد المجتمع دون أدنى شك أو تردد أو تفكير إذ عادة تبدو وكأنها أشياء طبيعية ومن ثم يتقبلونها كما يتقبلون الغذاء أنها تلك القيم التى تحتل مكاناً عاطفياً قوياً فى نفوسهم والتى يضعونها فى مستوى عالى من الأهمية فى ضونها يحددون اهدافهم الأساسية ويبررون ويفسرون أفعالهم ووسائلهم لتحقيق تلك الأهداف وعلى سبيل المثال تعتبر العدالة الاجتماعية قيمة من القيم الاجتماعية الأساسية التى تبرر وتفسر أسباب تشريع وتنفيذ قانون الإصلاح الزراعى. على أنه يوجد فى المجتمع العديد جداً من القيم الثانوية مثل حق الناس فى الاحتفاظ بأراضيهم أو حقهم فى العمل والمساواة فى الأجر فى حالة أداء نفس العمل، أو حرية الانتقال من مكان لآخر... الخ وجدير بالإشارة أنه أحياناً ما يضحى بقيمة ثانوية فى سبيل قيمة أساسية.

وعلى سبيل المثال فى حالة تطبيق قانون الإصلاح الزراعى والاستيلاء على أراضى بعض كبار الملاك فى مثل هذه الحالة يضحى بالقيمة الثانوي وهى حق الناس فى الاحتفاظ بأراضيهم فى سبيل قيمة أساسية أهم منها بالنسبة للمجتمع ككل وهى العدالة الاجتماعية وغنى عن الذكر أن القيمة الثانوية يحكم عليها دائماً فى ضوء القيم الثانوية مع القيم الرئيسية وإذا ما تعارضت فإنه عادة ما يضحى بالأولى فى سبيل المحافظة على الأخيرة.

والأفراد فى كل المجتمعات وإن كانوا يتفكرون مع بعضهم على قيم أساسية إلا أنهم كثيراً ما يختلفون فى قيمهم الثانوية وهى تلك القيم التى تحكم قراراتهم الفردية المتعلقة بأهدافهم الشخصية وغاياتهم التى يسعون إلى تحقيقها فى حياتهم اليومية، بعض الأفراد يعطون قيمة عالية للمكاسب المادية، آخرون للنواحي الروحية المتعلقة بالعبادة، آخرون للنواحي الترويحية والترفيهية، كل من هؤلاء يكيف ويعدل من سلوكه أى أفعاله ووسائله لتنتمى وفقاً للقيم التى يتبناها.

وكما أن المجتمع يضحى فى بعض الأحيان بقيم فى سبيل قيم أخرى فإن الفرد قد يجد نفسه أيضاً فى بعض المواقف التى يتحتم عليه فيها اختيار واحد من نوعين من القيم - فمثلاً لو الإنسان مدعواً فى حفل عشاء ولم يستحسن ما دار فى هذا الحفل وقضى فيه وقتاً غير طيب، تقتضى الأمانة أن يقول لمضيفيه أنه يأس لأنه لم يستمتع بالحفل، غير أن اللطف والذوق يتطلب أن يشكر مضيفيه على الوقت الطيب الذى قضاه فى الحفل، كلا من الأمانة واللطف والذوق نوعين من القيم التى يجب على الفرد أن يختار احدهما وفى لإعادة سوف يضحى بواحدة فى سبيل الأخرى.

ولو أنه من الصعوبة كما أوضحنا تحديد القيم بصفة قاطع إلا أنه من الممكن على القل الاستدلال عليها أى التعرف عليها من سياق سلوك الناس وأفكارهم أى أفعالهم وأقوالهم، فعلى سبيل المثال فى مجتمع يستخدم النقود قد يكون من الممكن اتخاذ سلوك الناس الاستهلاكى أى مقدار ما ينفقوه على مختلف السلع والخدمات كأحد المؤشرات للحكم على القيم المختلفة التى يعطيها الناس لهذه الأشياء، فلو أنهم أنفقوا نسبة عالية من نقودهم على المسكن أو المأكل أو الملابس أو لتعليم أو الترويح أو المكيفات أو النواحي الجمالية أو غيرها فإن ذلك يدل على أنهم يعطون هذه الناحية المعينة قيمة عالية بمقارنتها بالنواحي الأخرى التى ينفق عليها سبباً أقل

على أنه يمكن أيضاً الاستدلال على قيم الناس من أقوالهم أى من أحاديثهم التى يدلون بها تعبيراً عن أفكارهم واراتهم ووجهات نظرهم ومن السباب التى يدلون بها لتبرير تصرفاتهم أو أفعالهم. هذه الطريقة من طرق التعرف على القيم ليست فى الواقع سهلة ولا دقيقة كالطريقة السابقة ذلك لأن الناس عادة لا يمارسون ما يعظونه أى لا يقولون ما يعبر عن شعورهم الحقيقى. وعموماً حتى ولو لم يصرح الناس بعبارات واضحة ع ما يجول فى أفكارهم من آراء فإن قيمهم قد يمكن استنتاج بعضها من سياق الموضوعات التى يتحمسون لها أو يثيرون نحوها جدلاً ونقاشاً حامياً أو تلك التى يدافعون عنا بحرارة أو يعارضونها بشدة.

على انه يمكن أيضاً الاستدلال على بعض قيم الناس فى المجتمع من واقع ما يكتبون فى صحافتهم أو يعرضونه من فنون سواء من أدبهم وشعرهم ورسومهم وتصويرهم ونحتهم أو من فنونهم المسرحية أو السينمائية أو غيرها أو ما يتمسكون به من تقاليد وعادات شعبية كذلك فإنه من استعراض تاريخهم يمكن الاحساس بالنواحي التى يؤكدون أهميتها ويحافظون عليها ويعتزون ويفخرون بها من وصفهم للحوادث أو الأشياء أو الأشخاص أن يكون نظام التقدير والعقاب المتبع فى المجتمع أحد المؤشرات الهامة للتعرف على القيم الاجتماعية السائدة به، لو أن المجتمع مثلاً يمنح الجوائز للمتفوقين فى العلوم والفنون لكان هذا معناه أنه يعطى قيمة عالية للعلم والفن، ولو أن المجتمع يعاقب بشدة من يرتكب جريمة السرقة والزنا فإن هذا يعنى أنه يعطى قيمة عالية للأمانة والعفة ولو أنه يعاقب بشدة من يخالف تعاليم المرور فإن هذا يعنى أنه يعطى قيمة للنظام واحترام القانون، وهكذا يتبين أنه من الممكن استشفاف قيم الناس من مختلف أفعالهم وأقوالهم.

وأخيراً لعله يبدو من الأهمية أن نشير إلى وظيفة النظام القيمى بالمجتمع، يقول بيزانز أن النظام القيمى يودى وظيفتين هامتين أحدهما أنه يربط أجزاء الثقافة بعضها ببعض ويوحد بينها ويجعلها تبدو غير متناقضة ويبررها أى يجعلها منطقية

مقبولة في عقول أفرادها ويشير إلى أن أهمية هذه الوظيفة وصلت إلى درجة أن أحد الاجتماعيين عرف المجتمع أو المجتمع المحلي على أنه جماعة من الأفراد يعتقدون نفس القيم وتسعى نحو تحقيق نفس الأهداف، أما الوظيفة الثانية فهي أن القيم تمد الأفراد بغرض أي معنى للحياة فبدلاً من أن ينظر الناس إلى أفعالهم على أنها محاولات لإشباع دوافعهم ثم اختبار مدى أهمية الدوافع فأنهم يفكرون في أفعالهم على أنها محاولات لتحقيق أهداف أي غايات في حد ذاتها، وتلك الأشياء التي تعتبر ذات قيمة اجتماعية عالية في نظر الناس تصبح أهداف لأفرادها وتقدمهم بسبب ومعنى وغرض للبقاء.

ويسود في كل مجتمع مجموعة من القيم الاجتماعية التي قد تتشابه أو تختلف عن القيم السائدة في مجتمع آخر، ونظراً لأن القيم الاجتماعية ذات صلة وثيقة بأعماق مشاعر الناس فأنها تميل نحو البقاء والاستمرار، إلا أنها رغم ذلك تتغير بمرور الزمن وأن كانت تلك التغيرات لا تحدث عادة بسرعة وقد يؤدي اختلاف الجماعات ذات الثقافات المختلفة داخل المجتمع الواحد إلى نشوب الصراعات والمنازعات بينهما فبعض الدول التي تتصارع وتتنازع وتقوم بينها الحروب الباردة والساخنة إنما يمكن أن يعزى بعض أسباب ذلك إلى اختلاف قيمها وبالمثل فإن الصراعات والمنازعات التي تنشأ بين الجماعات من السكان البيض والسود في بعض المجتمعات إنما تعزى أيضاً إلى وجود فروق في قيم هذه الجماعات.

ليس هذا فحسب بل أنه أحياناً ما تؤدي التغيرات التي تطرأ على القيم في المجتمع إلى أحداث صراعات في داخل شخصية الفرد عندما يواجه بقيم جديدة لا تتفق والقيم التي يتبناها منذ امد طويل عملية التكيف في هذه الحالة عادة صعبة وشاقة بالنسبة لكبار السن من الأفراد، تلك الظاهرة تبدو واضحة خاصة بالنسبة للآباء وأيضاً الأمهات الذين تتنازعهم صراعات بين القديم والجديد من القيم وأنماط

السلوك عندما يروا أن بناتهم وأبنائهم يصرون على اتباع أنماط جديدة من السلوك بحجة أنها تتماشى مع الموضة أو الحياة العصرية.

الأساطير: (Myth)

عندما تتداخل وتتربط مجموعة من العقائد والقيم فى نسيج يحمل فى طياته مجموعة الأفكار التى يؤمن بها الناس ويعيشون فى ظلها فإن هذا النسيج يسمى بالأسطورة. وفى كل مجتمع يوجد عادة مجموعة من الأساطير ويقول هارى جونسون أن الساطير الدينية هى عقائد تتعلق بالحوادث فوق الطبيعية والتى يفترض حدوثها فى وقت معين، هذه العقائد من وظائفها العامة أنها تكمل النسق من الأفكار المتعلقة بالنظام فوق الطبيعى وفرض العقيدة فيه، معظم الأساطير من شأنها أن تتناول أصول الأشياء كأصل الآلهة أو العالم أو الثقافة أو أى ناحية من النواحي الطبيعية، بعض الأساطير أن هى إلا قصص تتعلق بالمعجزات الإلهية التى أختص بها الأنبياء والرسل والأسطورة كمصطلح تكنيكي لا تتضمن شيئاً يتعلق بالصدق أو القيم الاخلاقية للعقيدة وأنه من الصعب اثبات مدى صحتها علمياً.

والنظام الأسطورى فى رأى بيزانز ليس من شأنه أن يفسر كيف وجدت الأشياء وكيف أصبحت كما هى عليه فحسب بل ويبرر وجودها كما أنه لا يحمل آمالاً لحياة أفضل فى المستقبل سواء فى الدنيا أو الآخرة، أنه يبرر ضبط النفس والتضحية والصبر ويعطى الثقة والأمل ويشجع على مواصلة العمل لتحقيق الأهداف، ومن أمثلة الساطير فى رأيه الشيوعية والديموقراطية والحرية.. الخ وكلما كان المجتمع مترابطاً متماسكاً ومتحداً، وهناك بعض الأساطير المهمة وهى تلك الأساطير التى تقوم على لاعقائد والقيم الهامة والأساسية فى المجتمع كما أن هناك بعض الأساطير الأقل أهمية وهى تلك التى تتسج من العقائد والقيم الثانوية.

الرموز والاحتفالات والطقوس:

كثيراً ما يعبر عن بعض العقائد والقيم التي تتضمنها ثقافة المجتمع برموز (Symbols) معينة لها معانى عميقة فى نفوس الناس وعلى سبيل المثال فى الثقافة الروسية تعتبر جثة لينين رمزاً للثورة الشيوعية، وفى الثقافة الانجليزية تعتبر الملكة رمزاً للقيم والتقاليد البريطانية وفى الثقافة اليابانية يعتبر الامبراطور رمزاً لقيم الشرف التي يعتز بها اليابانيون وعلم كل دولة أن هو إلا رمزاً للولاء لها يحمل فى نفوس أفرادها الكثير من المشاعر العاطفية، والاحتفالات (Ceremonies) هي أحد الوسائل التي بها يتم التعبير عن مثل هذه الرموز، والاحتفال هو إجراء رسمي وقور يتأثر المشترك فيه تأثيراً كبيراً بأهمية المناسبة.

ويتضمن الاحتفال عادة ضمن ما يتضمن مجموعة من الأفعال الرمزية (Symbolic) المتناسقة التي تتكرر كلما احتفل بنفس المناسبة، تلك الأفعال الرمزية تسمى بالطقوس (Ceremonies) هذه الأفعال تضاف جواً من الوقاء والهيبة وتثير العواطف وتجعل الفرد يشارك الجمع - بلا مجهود وبدون قصد - بأفعاله وأفكاره وعواطفه التي تبدو مناسبة وصحيحة وضرورية فى المناسبة المعينة والاحتفال بكل إجراءاته يؤثر على مشاعر الأفراد وعواطفهم حتى ولو لم يكونوا مدركين للأسباب، والمنطق وراء كل فعل أو حدث، انهم يتأثرون بالجو العام للمناسبة الكبيرة.

وجدير بالإشارة أن هناك كثير من المعنويات (abstracts) التي يتيسر أدراك معناها عن طريق مختلف الاحتفالات والإجراءات والطقوس المصاحبة لها. فالدولة يسهل تقريب مفهومها إلى أذهان الناس من خلال الاحتفال بتنصيب رئيسها، والقانون من خلال بروتوكول المحكمة، والله من خلال الاحتفالات بالمناسبات الدينية المختلفة.

خواص ووظائف الثقافة

بعد أن تناولنا وصف مكونات الثقافة يجدر توضيح بعض خواصها ووظائفها الأساسية كما يجدر الوقوف على أوجه الشبه والاختلاف بين الثقافات. ونحن في هذا المجال لانعنى ثقافة أو مجموعة من الثقافات بعينها وإنما نعنى الثقافة أو الثقافات بصفة عامة.

خواص الثقافة:

١- من الخواص الهامة للثقافة أنها تتعلم وتقتبس من الآخرين بمعنى أنها ليست أشياء موروثة ولا غريزية كما قد يعتقد البعض خطأ أي أنها تنتقل اجتماعياً من جيل إلى آخر، فالفرد يتعلم من غيره من الأفراد في المجتمع الكثير من الأفعال والأفكار وطرق الشعور كيف يفكر وكيف يسلك وكيف يشعر في حالات الفرح والحزن والخجل والغضب وغيرها من المواقف، كما ويتعلم الكثير من التعاليم الدينية وأنواع السلوك الديني الواجب إتباعها في المساجد أو الكنائس أنه يتعلم المعايير الأخلاقية إزاء ما يعتبر حسناً أو غير حسن جميل أو قبيح، خطأ أو صواباً إلى غير ذلك. والكثير من السلوك الثقافي يتعلم في السنين الأولى من الحياة.

٢- تعتبر اللغة من أهم خصائص الثقافة وهي في نفس الوقت من مكوناتها المعنوية. واللغة وسيلة هامة من وسائل الاتصال الثقافي والتي بدونها يصعب نقل الثقافة من أفراد إلى آخرين هناك منات من اللغات واللهجات لناس في المجتمعات المختلفة حول العالم واللغة هي النظام لتعبيرى لمجموعة من الرموز Symbols التي أنتجها أو توصل إليها الإنسان والتي لها معانى محددة في كل

مجتمع، وهى سلوك اجتماعى مشترك بين متكلم أو كاتب ومستمع أو قارئ أى تتضمن اتصال اثنين أو أكثر من الناس. وحتى لو كان الإنسان يقرأ كتاباً لمؤلف فإن هذه القراءة تعنى اتصال أو انتقال الأفكار من شخص لآخر. وللغة استخدامات شتى منها الكلام أى الحديث مع الآخرين، ومنها الكتابة وبواستطها يعبر الإنسان عن ما يجول فى عقله من أفكار ومعارف أو يشير إلى مختلف الأشياء أو يعبر عن شعوره فى المواقف المختلفة. بالطبع ليست كل عملية نقل للأراء والأفكار تتطلب كلمات إذ قد يمكن بدون كلمة يقال أن يفهم الإنسان ما يقصده إنسان آخر وقد يستطيع الإنسان أن يخرج شخص أو يجعله يشعر بالخلج لشديد دون كلمة وحدة غير أنه من الجائز أن يحدث سوء فهم ولبس كبيرين أو خطأ أو عدم دقة أثناء عمليات نقل الأفكار بدون كلمات، فالإنسان لا يرى ولا يسمع ولا يشم الأفكار بطريقة مباشرة وإنما يتعرف عليها عن طريق التعبير عنها باللغة أو ما يتفق عليه من علامات أو إشارات معينة.

واللغة وسيلة هامة لفهم الثقافة والمجتمع والشخصية وعن طريقها يستطيع الإنسان أن يوضح علاقته بالآخرين. فكلمات مثل الأب أو الزوج أو الزوجة أو الإبن أو العدو أو الواعظ كلها ألفاظ لها معنى محدد بالنسبة للأفراد التى تقوم بينهم علاقة اجتماعية كما أن العلاقات الاجتماعية المركبة والمعقدة تبنى على أساس هذه التعاريف الكلامية. ويفضل اللغة المكتوبة إستطاع الإنسان والمجتمع أن يجمع ويخزن ويحتفظ بثقافته ويخلق مدنيات عريقة. وكل لغة تضم آلاف الألفاظ التى تعكس الخبرات المشتركة للناس واهتماماتهم وتاريخهم ولما كانت خبرات الناس واهتماماتهم تتفاوت من ثقافة لأخرى فإنه لا غرابة إذا كانت الألفاظ التى تتضمنها كل لغة مختلفة من حيث العدد والمعنى.

فثقافة الأعراب فى الصحارى مليئة بالألفاظ المتعلقة بالجمال والخيام والرحيل والكرم والطقس والرمال وغيرها، وثقافة المجتمع الإنجليزي مثلاً مليئة

بالألفاظ ذات الصلة بالبحار والسفن والطقس والصيد وغيرها. ونظراً لأن اللغة فى أى ثقافة هى انعكاس لخبرات الناس واهتماماتهم ونظراً لأن خبرات الناس واهتماماتهم حتى داخل المجتمع تتفاوت من منطقة لأخرى ومن طبقة اجتماعية لأخرى فإنه لا غرابة إذا ما تفاوتت الناس فيما يلمون به من الألفاظ التى تضمها لغتهم. فكل جماعة من الناس لهم خبرات واهتمامات مشتركة أو متشابهة يتكلمون نفس اللغة تقريباً. وليس هناك عادة من الأفراد من يستطيعون الإلمام بكل ما تتضمنه لغتهم من الألفاظ ذات معانى مختلفة.

وكل لغة تقدم للطفل الذى يتعلم ثقافة مجتمعه طريقة جاهزة ومميزة للنظر للنظر إلى الأشياء الموجودة فى الكون الطبيعى والاجتماعى الذى يعيش فيه وذلك من خلال الكثير من المصطلحات والمسميات لمختلف الأشياء المادية والمعنوية. فمثلاً الطالب كمصطلح كلمة تعزل وتوضح صفة من الصفات الشخصية التى يشترك فيها الشخص مع أشخاص آخرين رغم أن مجموعة الطلبة يختلفون عن بعضهم البعض فسيولوجياً وذكائياً وشكلياً بل وحسب صفات أخرى عديدة. وبعض المصطلحات اللغوية كثيراً ما تعنى أكثر من مجرد الدلالة على معنى لشيء معين، كثيراً ما يكون لها إلى جانب ذلك معنى عاطفى أو تاريخى.

وعلى سبيل المثال لفظ الأم أو البيت أو الديمقراطية كل هذه المصطلحات لها مفهوم ومعنى أكثر من المعنى الحرفى للكلمة. وجدير بالذكر أن بعض الناس كثيراً ما يلتبس عليهم معنى بعض المصطلحات وعلى سبيل المثال يميل البعض إلى التفكير فى بعض المعنويات وكأنها أشياء مادية. ولقد سبق أن أشرنا إلى ذلك عند الحديث على الثقافة كمصطلح من المصطلحات التى يحدث إزاتها مثل هذا اللبس الأمر الذى يجعل علماء المجتمع يحرصون عند الكلام على الثقافة إلى تأكيد معنوية مضمون هذا المصطلح الذى يعتبر استخدامه مفيداً للغاية فى فهم السلوك الإنسانى والأنماط السلوكية الثقافية.

على أن هناك أشياء وأفعال وأحداث وصفات كثيرة تعمل كعلامات أو إشارات Signs لشيء آخر، هذه العلامات عندما يكون هناك اتفاق بين الناس على معناها فأنها تكون لغة للتفاهم. فاللون الأحمر لإشارة المرور معناه أن على السائق أن يقف منعاً للخطر والمؤشر الدال على قرب نفاذ البنزين من السيارة معناه أن على السائق أن يسرع في تزويد السيارة بالبنزين. ولعلنا جميعاً نعرف أن هناك إشارات كثيرة لها معاني معروفة لدى الناس فتجهم الوجه معناه الغضب، والابتسامة معناها الرضا أو السرور. وهناك إشارات كثيرة تعني الألم وأخرى تعني الحزن كما في حالة لبس كرافته أو رداء أسود وأخرى تعني الفرح كما في حالة إرتداء الملابس البيضاء المزينة.

والعلامات أو الإشارات (Signs) نوعين نوع يشتق معناه من موقف طبيعي معين وتسمى Natural Signs كما هو في حالة تجهم الوجه في موقف مثير للغضب أو انفراج السريرة في موقف يبعث على السرور أما النوع الآخر فهي تلك العلاقات التي يتفق الناس على معنى موحد مشترك إزائها بمحض اختيارهم وتسمى Conventional من أمثلة هذه العلامات التلويع للأخريين باليد لعلامة الاتصراف والإشارة بأصبع اليد في إتجاه معين تعني أنظر هنا، وهناك حركات كثيرة يمكن تاديتها باليدين تمثل علامات مفهومة (أي لغة مفهومة) كما هو الحال بين الصم والبكم. أفراد بعض القبائل البدائية يستخدمون الكثير من هذه الإشارات المعروف معناها لهم.

وليس بالضرورة أن تكون العلامات المستخدمة في ثقافة معينة لها نفس المعنى - أن وجدت - في ثقافة أخرى. وعلى سبيل المثال هز الرأس إلى أسفل قد يكون في ثقافة ما علامة الموافقة وفي ثقافة أخرى علامة الرفض أي عدم الموافقة، والثعبان قد يكون في ثقافة ما علامة الشر وفي ثقافة أخرى علامة الخصوبة. وهكذا

ختلف معانى العلامات من ثقافة لأخرى لأنها كما سبق أن أوضحنا اتفاق اختياري مشترك بين جماعة من الناس مفهومها واضح محدد بالنسبة لهم.

ولئن كانت العلامات كما تبين من كل ما تقدم وسيلة من وسائل التفاهم والاتصال إلا أن اللغة المنطوقة أفضل من لغة العلامات لأن اللغة المنطوقة يمكن عمل رموز كثيرة جداً ومختلفة منها للتعبير عن مختلف الأشياء بطرق أدق سواء عند وصف طبيعتها أو نوعها أو غير ذلك، كما أن اللغة المنطوقة يمكن استخدامها في الظلام مع تحرير الأيدي والعينين لأعمال أخرى. واللغة المنطوقة لم تأتى فجأة بل حدثت تدريجياً وربما على مر آلاف من السنين من التور التي خلالها تمت عمليات كثيرة تحولت فيها الأصوات التي تعنى وترمز إلى أشياء معينة إلى كلمات ثم ربط الكلمات في جمل لها معنى معين. وكلما توصل الإنسان إلى كلمات جديدة أحلها محل الإشارات المستخدمة في التفاهم حيث تؤدي المعنى بطريقة أدق وأوضح على أن العلامات Signs لا تزال مستخدمة إلى جانب اللغة المنطوقة كلمة التفاهم.

٣- الصفة الثالثة والهامة من صفات الثقافة أنها تتكون من المعنويات الممثلة في مجموعة الأفكار والآراء التي توجد في عقول الناس وليست السلوك الفعلي بكل تعبيراته ف المجتمع. أنها مجموعة المفاهيم المشتركة عن ما يعتقد أنه أصبح أو أنسب طرق التفكير والشعور والقول والفعل في المواقف المعينة. هذه المفاهيم المشتركة هي ما عبر عنها قبالاً بالتقاليد والعادات الجماعية المثالية Social Norms أو الأنماط المثالية Ideal Patterns ولو أن هذه الأنماط المثالية قد تختلف أحياناً عن الأنماط الحقيقية Real Patterns أي المتبعة فعلاً.

الثقافة تعطي معنى وتلصق قيماً للأشياء والأفعال وتوضح أهميتها بالنسبة للسلوك الإنساني ولو أن كثيراً من السلوك المرني قد لا تعبر تعبيراً واضحاً عن الثقافة، فالسائح قد يرى الشخص الذي يصلي يركع ويسجد ويقف لكة لا يستطيع أن

يرى القيم الدينية التي خلف هذا السلوك الثقافي وبالتالي قد لا يستطيع أن يفسر ما يراه التفسير الواضح الصحيح، ربما يعتقد أن ما يقوم به الشخص هو نوع من النشاط الرياضي وليس نوع من السلوك الديني.

ولقد سبق أن أكدنا أن الماديات الثقافية هي ناتج من نواتج الثقافة وليست أجزاء منها فالثقافة هي التي تعطيها معنى وقيم ولقد دلت جون بيزانز على ذلك بقوله أنه لو فرض وأن حرباً بالجرائيم أبادت كل فرد في مجتمع ما تراه فقط الأشياء المادية الثقافية كالمسكن والمصانع والملابس ولماكولات والأدوات والمعدات وكافة الأجهزة وكافة المنتجات لا يستطيع القول - حتى ولو أن أشخاصاً آخرين أخذوا هذه الأشياء - أن الثقافة التي كانت موجودة لاتزال باقية. ذلك لأن معنى الأشياء والقيم لمرتبطة وأنماط السلوكية المصاحبة لها كالمهارات السلوكية المصاحبة لها كالمهارات والاتجاهات والقدرات والأفكار والمعارف والتقاليد والعادات والعرف الخاص بالناس الذين يحملون هذه الثقافة ذهبت معهم ربما فقط نستطيع أن نتعرف على بعض نواحي ثقافتهم من الأشياء المادية التي تركوها أو من كتاباتهم المسجلة وهذا ما فعله علماء الأركيولوجي في محاولاتهم للتعرف على الثقافات القديمة عن طريق دراسة ما تركه الناس من أشياء مادية إلا أنه من المحتمل أن يحدث خطأ في تفسير أسباب وجود هذه الماديات الثقافية لأن القيم المرتبطة بها والنمط من السلوك الذي كان مصاحباً لها غير معروف على وجه الدقة.

٤- تتصف الثقافة بأنها تلك العادات المشتركة لجماعة اجتماعية. وأفراد الجماعة سواء أكانوا المجتمع بأكمله أو جماعة صغيرة منه كطبقة اجتماعية أو جماعة عنصرية أو سكان منطقة جغرافية يشتركون اجتماعياً في ثقافتهم. وكما أن للمجتمع لعام ثقافة مشتركة فقد يكون لبعض الجماعات لصغيرة داخلية ثقافات مميزة يطلق عليها Sub-Cultures والثقافة كما سبق أن أوضحنا تتكون من

عناصر كثيرة جداً وليس فى قدرة أى فرد فى المجتمع أن يلم بكل ما يوجد بثقافته من مكونات وإنما يشترك فيها بقدر كبير أو قليل على أنه مهما كان الشخص ملماً بكثير من المعرفة ولديه العديد من المهارات والقدرات فإن كل ذلك لا يعد وان يكون شطراً ضئيلاً جداً مما تتضمنه ثقافته من عناصر مختلفة.

لا يوجد أى فرد فى المجتمع فى استطاعته مثلاً أن يلم بكل لمعارف التى لدى الأدباء والموسيقين والعلماء والأطباء وربات البيوت والسباكين والحدادين والنجارين والمزارعين والصناع والتجار وجامعى القمامة وغيرهم من الجماعات فى المجتمع. حقيقة أنه فى المجتمعات البدائية قد يكون الشخص قادراً على أن يلم بشرط كبير نسبياً من مكونات ثقافته البسيطة إلا أن ذلك غير ممكن بالمرّة فى المجتمعات المتقدمة ذات الثقافات المعقدة والتى تتضمن عناصر كثيرة جداً يتعذر على الفرد أن يعرف إلا شطراً ضئيلاً جداً منها.

ويمكن تقسيم العناصر الثقافية التى يشترك فيها أفراد المجتمع إلى نوعين أحدهما عام والآخر خاص. فأما العناصر الثقافية العامة فتتمثل فى تلك العادات والتقاليد الاجتماعية المشتركة كالمفاهيم وردود الأفعال العاطفية والقيم الاجتماعية الأساسية والأنماط النموذجية للعلاقات الاجتماعية (Social Norms) ومن أمثلتها اللغة والعقائد الدينية ونظام الزواج وحقوق الملكية والحرية وأيضاً الديمقراطية وغيرها من العناصر الثقافية الكثيرة التى يشترك فيها كافة أفراد المجتمع، أما العناصر الثقافية الخاصة فهى تلك العناصر التى تشترك فيها جماعات معينة فالأطباء لهم ثقافتهم الخاصة وكذلك المحامين والفنانين والعلماء والعمال.

وبالمثل فإن الجماعات فى الطبقات الاجتماعية المختلفة والجماعات فى بعض المناطق الجغرافية المحلية لهم أيضاً ثقافتهم الخاصة. والعناصر الثقافية الخاصة تتضمن مجموعة المعارف والمهارات والقدرات التى يتمتع بها فقط الأفراد

الذين ينتمون إلى جماعة معينة. وكما يشترك أفراد المجتمع عناصر ثقافتهم العامة فإن أفراد جماعة معينة يشتركون ويتقاسمون عناصر ثقافتهم الخاصة وكلا النوعين من العناصر الثقافية العامة والخاصة مقبولة في المجتمع طالما أنها تتماشى مع العرف والتقاليد والعادات لشعبية وأيضاً القوانين لساندة به.

وجدير بالذكر أن المجتمعات المتقدمة ذات الثقافة المعقدة لديها الكثير من العناصر الثقافية التي يطلق عليها عادة بالعناصر البديلة أو الاختيارية. ومن أمثلة العناصر الثقافية البديلة الأشياء المتعلقة بطرق الانتقال فالشخص في المجتمع العصري الذي يرغب في الانتقال من مكان لآخر يجد أمامه أشياء ثقافية كثيرة يختار من بينها ما يريد فاما يستخدم القطار أو السيارة أو الطائرة أو الدواب أو غير ذلك. وبالمثل يمكن أن يقال أنه لشغل وقت فراغه قد يختار واحداً أو أكثر من الطرق العديدة التي تمنحها ثقافته فقد يفضل قراءة كتاب أو الذهاب إلى السينما أو المسرح أو سماعه موسيقى أو ممارسة رياضة معينة إلى غير ذلك من أوجه النشاط الثقافي الاختياري.

المجتمعات البسيطة لديها قلة من هذه العناصر البديلة أو الاختيارية. وربما يكون ذلك ولو جزئياً أحد الأسباب التي تجعل الأفراد في المجتمعات ذات الثقافة البسيطة يشتركون بدرجات أكبر في ثقافتهم أي يشبعون بدرجة أكبر بما في ثقافتهم من عناصر ثقافية على عكس الحال في المجتمعات ذات الثقافات المعقدة حيث لايلم حتى أكثر الأفراد تعليماً إلا بشطر ضئيل جداً مما في ثقافتهم من عناصر ثقافية.

٥- من خواص الثقافة أنه يمكن الاحتفاظ بأى من عناصرها وتجميعها وأنه رغم أنها مستمرة ومستقرة فهي في نفس الوقت متغيرة فالثقافة ليست من صنع فرد ولا مجموعة من الأفراد ولا جيل من الأجيال فالثقافة المعاصرة في أى مجتمع هي ذلك التراث الذي تناقله الناس والذي ربما يرجع بعض عناصره إلى ما قبل

التاريخ فعلى سبيل المثال يقال أن استخدام النار واستخدام الحجارة كآلات لقطع الأشياء ترجع إلى حوالى مليون عام قبل مولد المسيح، وبعض العناصر الأخرى مثل الإقامة فى الكهوف ودفن الموتى واستخدام خشب الأشجار فى صنع مختلف الأشياء والرسم والزخرفة واختراع العملية الدائرة والروافع واستخدام المسارب المائية وتطوير وسائل الصيد والقنص كلها وغيرها حدثت قبل بداية التاريخ الميلادى بأكثر من عشرة آلاف عام. ويقال أن الإنسان بدأ ممارسة الزراعة واستئناس الحيوانات منذ حوالى عشرة آلاف سنة قبل الميلاد.

والانتقال من مرحلة الصيد والقنص وجمع الثمار البدائية من الغابات إلى مرحلة الزراعة يعتبر من أهم التطورات الاقتصادية والاجتماعية فى تاريخ الحياة البشرية ذلك أن الإنسان بدأ يقيم بصفة دائمة فى مجتمعات محلية ويكون علاقات اجتماعية دائمة ومنتظمة بغيره من الناس وبدأ يشعر بالأمن والاستقرار الاقتصادى والاجتماعى وأصبح فى قدرته إنتاج وفرة من الغذاء وتخزين الزائد من حاجته إلى وقت الشدة. وبعد أن أستقر الإنسان فى أماكن معينة بعد فترة طويلة من التنقل والترحال، وبعد أن شعر بالأمن الاقتصادى والاطمئنان الاجتماعى حول جزءاً من مجهوداته إلى خلق عناصر ثقافية مختلفة فبعض العناصر الثقافية كصهر المعادن والحروف الهجائية والقراءة والحساب والفلك والكثير من العقائد الدينية والنظم الاجتماعية والخلقية والفنون التقليدية بل والخرافات ترجع إلى أبعد مما يفكر الإنسان.

ويرجع السبب فى استمرار بعض العناصر الثقافية منذ آلاف السنين إلى الوقت الحاضر هو أنها تنتقل من جيل لآخر فالآباء ينقلون إلى أبنائهم ما توصلوا إليه من عناصر ثقافية مع لتأكيد بأهمية بعضها. ومن ثم فإن العناصر الثقافية خاصة التى لا بد لها تستمر فى البقاء حيث يجد الإنسان عادة راحة وطمأنينة فى إتباع الأساليب التقليدية فى أداء الأشياء ويميل إلى مقاومة الجديد منها ويعزف عن التغيير

خاصة كلما كبر فى السن ورغم استمرار الثقافة فإن مكوناتها يطرأ عليها تغيرات باستمرار، تلك التغيرات قد تكون قليلة وبسيطة كما هو الحال فى المجتمعات البدائية المنعزلة أو قد تكون كبيرة كما هو الحال فى المجتمعات العصرية المعقدة والمتطورة ففى هذا النوع الأخير من المجتمعات تكاد تختلف ثقافة كل جديد عن سابقه اختلافات كبيرة.

٦- وأخيراً لعل من الأهمية أن نشير إلى ما سبق أن أوضحناه من أن الثقافة ليست مجرد مجموعة من العناصر الثقافية المعنوية والمادية المرتبطة بها. قد يكون من السهل لغرض الدراسة تصوير الثقافة على هذا النحو غير أن حقيقة الأمر غير ذلك أن هذه العناصر منظمة فى صورة مركبات وأنماط ثقافية لتحقيق أغراض أى وظائف معينة على أن الشئ الذى يجب أن نضيفه فى هذا المجال هو أن الثقافة تميل إلى التكامل (Integration) أى بمعنى أن العناصر الثقافية سواء فى صورة مركبات أو أنماط تميل إلى أن تتكيف مع بعضها على أن هذا التكيف قليلاً ما يكون تاماً ومن ثم فإنه كثيراً ما تحدث الخلافات والمنازعات والمصادمات بين مكونات الثقافة خاصة وأن بعضها سريع التغير عن البعض الآخر الأمر الذى يخل بالتوازن الذى قد يتوصل إليه فى وقت معين.

والتكامل والاستقرار الثقافى مسألة نسبية ذلك لأن وجود الخلافات والصراعات والمنازعات شئ لا بد منه فى كل ثقافة وأن كان أمراً غير مرغوب فيه. أن كل ما يهم أن لا يجب أن تصل درجة هضم الخلافات والصراعات والمنازعات إلى الحد الذى يحدث حالة كبيرة من عدم التكامل أى حالة شديدة من التفكك وعدم التنظيم. ولحسن الحظ أن بكل ثقافة من القيم والعقائد والأيدولوجيات والتقاليد والعبادات ما يساعد على تماسك الثقافة وتكاملها ومن ثم يمكن القول أن من خواص الثقافة أنها منظمة ومتكاملة.

وظائف الثقافة:

تخدم الثقافة لإنسان والمجتمع عن طريق أدائها لعدد من الوظائف الهامة والتي من بينها ما يلي:

١- تقدم الثقافة للإنسان تعريفاً لما يوجد في بينته الاجتماعية والطبيعية من أشياء معنوية ومادية ووصفاً محدداً لطرق السلوك والتفكير والشعور التي يجب إتباعها في المواقف المختلفة، فالإنسان عند الولادة يكون مجرد كائن بيولوجي لا يدري شيئاً عن ما يحيط به من أشياء غير أنه عن طريق الجماعات الإنسانية المحيطة به يبدأ في التعرف على الأشياء كما عرفته وحددتها ثقافة وإذا ما سأل أي فرد عن أسباب سلوكه أو فعل معين أو طريقة تفكير أو شعور معينة تكون الإجابة عادة أن ذلك ما يجب أن يكون أو أن ذلك هو السلوك أو الفعل أو الطريقة المقبولة والمتوقعة. فالثقافة تقدم للمشاركين فيها تعاريف جاهزة لمعنى الأشياء والأفعال فهي تحدد ما يعتبر طبيعياً أو غير طبيعي، منطقي أو غير منطقي، أخلاقياً أو غير أخلاقياً، مهم أو غير مهم، جميل أو قبيح، حسن أو غير حسن، كل هذه وغيرها من التعاريف يشتق من الثقافة السائدة.

وكل ثقافة لها تعاريفها الخاصة بالأشياء والأفعال، وليس بالضرورة أن ك ما يعتبر طبيعياً أو مهم أو جميل أو حسن أو أخلاقياً في ثقافة معينة يعتبر كذلك في ثقافة أخرى على أن الثقافة تقدم للإنسان في نفس الوقت تفسيرات عن أصل الأشياء مثل أصل الإنسان أو أصل الكون ودور الإنسان فيه. هذه التفسيرات قد تكون خرافية أو نصف علمية أو علمية. على أنه أياً كان نوع هذه التفسيرات فهي تجيب على تساؤلات الأفراد إزاء ما يحيط بهم من أشياء أو يدور حولهم من أفعال.

ولما كان الإنسان عادة يتقبل معظم تعاريف ثقافته وتعاليمها فإنه كثيراً ما يشعر بما يسمى براحة الصمير في حالة إتباعه لها وتأنيب الصمير في حالة مخالفته

أيها. والضمير ليس شئ فطرى وإنما هو شعور وإحساس ثقافى إزاء ما تعارفت عليه الجماعة الإنسانية على أنه صواب أو خطأ فالقيم والمعايير الجماعية عندما تصبح جزءاً من التفكير العلقى للإنسان ومن شخصيته فأن مخالفتها تكون مصحوبة بشئ من الخجل أو الشعور بالذنب أو الألم النفسى حتى لو حاول الإنسان أن يتلمس بعض المبررات لاتحرافه عنها. والضمير من القوى المعنوية الكبيرة التى تسيطر على سلوك الإنسان التى تجعله يقوم أو لايقوم بسلوك أو أفعال معينة.

وعلى سبيل المثال فى بعض الثقافات العلاقات الجنسية قيل الزواج لايصاحبها تأنيب للضمير على عكس الحال فى ثقافات أخرى والأفراد فى بعض الثقافات تؤنبهم ضمائرهم إذا تناولوا أطعمة معينة أو تناولوها فى أيلم هى فيها محرمة، وفى الكثير من الثقافات يجد الأفراد أن ضمائرهم عادة ما تؤنبهم إذا قتلوا و سرقوا أو كذبوا أو اعتدوا على أعراض الآخرين، ومن لم يفعل منهم ما يتعارض مع تعاليم ثقافته يشعر عادة برضى نفسى وراحة ضمير. ومن كل ما تقدم يتضح أن الثقافة تقوم بوظيفة تعريف الإنسان بما يوجد فى مجتمعه من معنويات وماديات وتوضيح ما يجب وما لايجب من طرق سلوك وتكثير وشعور فى المواقف المختلفة وبذا فهى تساعد الإنسان على أن يتكيف مع ظروف بينته لاجتماعية والطبيعية.

٢- تساعد الثقافة لإنسان على أن يقابل احتياجاته ورغباته من السلع والخدمات وتعمل على زيادة استماعه منها. فالإنسان ككائن بيولوجى يحتاج إلى أشياء كثيرة كالطعام والشراب والملبس وإلى إشباع ورغباته الجنسية وغير ذلك. ولايعرف الطفل كيف ومتى وأين يستطيع أن يشبع احتياجاته ورغباته كما أنه ليس فى استطاعته أن يشق طريقه فى إكتشاف الطرق الكفيلة بمقابلة هذه الاحتياجات والرغبات. تقوم الثقافة بهذه المهمة فهى تقدم للطفل الأنماط الثقافية أى الطرق المقبولة والمتعارف عليها من السلوك والتكثير والشعور التى فى ظلها يستطيع أن يقابل احتياجاته ويشبع رغباته، فالثقافة توضح له أنواع الأغذية التى

يتناولها والتي لا يتناولها، أنواع المشروبات التي يتعاطاها والتي لا يتعاطاها أنواع الملابس التي يرتديها والطريقة المقبولة لمقابلة وإشباع رغباته الجنسية وغيرها من الرغبات الأخرى العديدة. كل ذلك يتم عن طريق التعليم والتلقين.

الإنسان يتعلم ويقتبس من الآباء والأمهات وغيرهم من الجماعات الإنسانية التي يشترك في عضويتها ما في ثقافته من أساليب وطرق لمقابلة احتياجاته ورغباته. واللغة هي أحد الوسائل التي عن طريقها يعلم الآباء والأمهات أبنائهم كيفية مقابلة احتياجاتهم ورغباتهم وكما أنها الوسيلة التي بها يعبر الأطفال عن شعورهم بالنسبة لما يحتاجون إليه من أشياء. عملية التعليم والتعلم هذه بالنسبة للاحتياجات والرغبات عملية معقدة جداً ولكنها تتم تدريجياً من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية.

على أن الثقافة لا تساعد فقط على إشباع احتياجاته ورغباته ولكنها تعمل على زيادة سعادته واستمتاعه عن طريق بناء وخلق مجموعة من التقاليد والعادات والقيم والعقائد والظروف والمناسبات التي تساعد على ذلك. لم يعد ذلك الإنسان مثلاً ليكتفى بأن يقابل احتياجاته البيولوجية للغذاء بأن يقتلع النباتات من الأرض ويتناولها كما هي وإنما يجري عليها عادة الكثير من عمليات الإعداد التي يصل بعضها أحياناً إلى درجة عالية من التعقيد بحيث تتغير شكل السلعة الغذائية كثيراً عن شكلها الأصلي، كما لا يكتفى بمجرد تناوله للغذاء بعد إتمام إعداده وإنما يهتم بطريقة تقديمه وبكيفية تناوله بل وبطريقة الجلوس أثناء تناوله. اخترع في بعض الثقافات لكل ذلك أدوات الإعداد من أفران وثلاجات وأدوات منزلية عديدة كما اخترع الموائد وأدواتها وتفنن في إعداد وترزين حجرات الطعام كل هذه الأشياء الثقافية تستهدف زيادة الاستمتاع بالغذاء على أنه في بعض الثقافات الأخرى تتم زيادة الاستمتاع بالغذاء من خلال الاحتفالات بالمناسبات المختلفة أو الصيام ثم الإقطار أو غير ذلك من التقاليد والعادات الشعبية.

وما يقال عن الغذاء يمكن أن يقال منه عن الكساء، لم يعد الإنسان يرتدى الملابس لمجرد العفة أو إبقاء شر البرد وإلا كانت أشياء كثيرة وبسيطة تصلح لتحقيق ذلك رغبة الإنسان في الاستمتاع بالملبس جعلته يتفنن في صناعة المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية والمنسوجات الصناعية بيل وحبا منه في استمرار الاستمتاع وزيادته اخترع الموضات التي تتغير من أن لآخر والتي حولت عملية الكساء إلى عملية ذات قيمة اجتماعية وسعادة للإنسان.

لقد ابتعدت الملابس في بعض الثقافات كثيراً عن أن تكون مجرد أكسبه مقابلة احتياج بيولوجي إلى كونها أشياء ثقافية يفخر بها الإنسان ويشعر بالسعادة لارتدائها. بعض الأكسية لا تكاد تقي برداً ولا حرّاً ولا تنمشی موضتها مع ما يرجى من العفة ومع ذلك فهي تشبع رغبة وسعادة لمن يرتديها. بالمثل يمكن أن يقال أن لثقافة ربما تفرض قيوداً على العلاقات الجنسية بين الأفراد بما خلقت من الأنماط الثقافية (تقاليد وعادات شعبية وعرف وقوانين) المصاحبة لكيفية وطريقة إشباع هذه الرغبة البيولوجية لتزيد من شعور لأفراد بالحاجة إلى إشباع هذه الرغبة ومن استمتعهم عند مقابلتها.

على أن الثقافة كثيراً ما يتعدى دورها خلق الأنماط لثقافية التي تساعد على إشباع احتياجاته ورغباته وزيادة استمتاعه إلى استمرار خلق الشعور لديه بالحاجة إلى الكثير من السلع والخدمات الجديدة. هذه الاحتياجات والرغبات قد لا تكون ضرورية من الناحية البيولوجية كالاحتياجات إلى الغذاء والكساء والمأوى وما شابهها ومع ذلك فإن الإنسان خاصة في الثقافات المتقدمة والمتطورة وبالأخص في المجتمعات الحضرية - كثيراً ما يشعر بأهميتها وضرورة مقابلتها. انظر مثلاً إلى احتياج بعض الرجال إلى تدخين السجائر أو تناول بعض المشروبات وانظر إلى احتياج النساء إلى أدوات الزينة وإلى إشباع النواحي الجمالية سوف يقيين أن هذه الاحتياجات والكثير مما يشابهها تعتبر مهمة في ظل الثقافة السائدة.

وجدير بالذكر أن الكثير من الأفراد في المجتمع أحياناً ما يشعرون بحاجة قوية لإشباع رغبة مثل إمتلاك سيارة أو منزل عصري أو جهاز تليفزيون و تقلد منصب إداري أو تحقيق نجاح في العمل أو جمع ثروة أو غير ذلك من الاحتياجات ربما الكثير منهم يشعر باحتياج بيولوجي مثل إشباع الرغبة الجنسية. والثقافة هي التي تعمل على خلق هذا الشعور القوي أحياناً والخاص بهذه الاحتياجات والرغبات غير البيولوجية. لم يشعر الكثير من الأجداد بالحاجة الملحة لإمتلاك الكثير من السلع والرغبة في الحصول على الكثير من الخدمات التي تحس بها الأجيال الحاضرة ذلك لأن ثقافتهم لم تكن فيها مثل هذه السلع والخدمات أو لم تكن لتعطيها قيمة عالية كما هو الحال في الثقافة المعاصرة حيث قد يشعر الفرد أنه بائس وفقير لعدم قدرته على امتلاك بعض الأشياء الثقافية التي كانت تعتبر فيما مضى من الكماليات إلا أنها أصبحت حالياً في ظل الثقافة السائدة من الضروريات.

٣- تعطى الثقافة للحياة معنى وللوجود وغرض معين فالإنسان عن طريق ما يقتبس من القيم وما يتبنى من الأهداف يصبح لديه آمال وتطلعات يسعى إلى تحقيقها ومن أجلها يعيش ويستمتع بالحياة حقيقة أن الناس في كل ثقافة يختلفون في قيمهم وفي اهتماماتهم وفي آمالهم وتطلعاتهم إلا أن وجود هذه المعنويات الثقافية رغم اختلافها هي التي تعطى للحياة الإنسانية والوجود معنى ذات قيمة وأهمية. ففي بعض الثقافات قد يتركز نشاط واهتمامات الناس حول ملكية السلع المادية أو تجميع الثروات، وفي ثقافات أخرى حول النواحي الروحية والدينية لغرض الخلاص والغفران، وفي ثقافات أخرى حول اللهو والمرح والاستمتاع بكل لحظة في الحياة ومع ذلك فالكل يشعر أن ليست للحياة معنى بدون ما يقومون به من أوجه نشاط.

٤- تقوم الثقافة بدور هام في إكساب الأفراد الكثير من الصفات الشخصية التي تمكنهم من أن يتكيفوا لظروف المجتمع الذي يعيشون فيه. وكل ثقافة لديها

وسائلها الخاصة فى تدريب الأفراد على القيام بمختلف الأدوار واحتلال المكنات الاجتماعية إذ تضع توصيفاً لما يجب أن يتوافر من صفات شخصية لدى الأفراد على اختلاف منهم وأعمارهم وأجناسهم فتعرف مثلاً من هو المزارع الناجح؟ من هى ربة البيت الناجحة؟ من هو الزوج المثالى؟ من هو المواطن الصالح؟ الصفات الشخصية لكل هؤلاء وغيرهم تتوقف على المفاهيم والقيم السائدة المعينة. والثقافة إلى جانب ذلك تؤثر على اهتمامات الفرد وتحدد ذوقه وكيفية إدراكه للأشياء بصفة عامة كما وأنها توجه وتقود عواطفه نحو المتعارف عليه من الشعور فى المواقف المعينة بل أنها تحدد الطريقة التى يسلكها الإنسان فى التعبير عن عواطفه وكما تحدد إلى درجة كبيرة آمال الإنسان وتطلعاته فأنها تحدد أيضاً مخاوفه ومن ثم فأنها تلعب دوراً هاماً فى تشكيل شخصيته.

ولقد شبه بعض العلماء العلاقة بين الثقافة والشخصية بالعلاقة بين الغذاء وجسم الإنسان فلو أن الغذاء غير صحى أو فقير فى عناصره فإن ذلك يسفر لا محالة عن جسم هزيل تهدده أبسط الأمراض أما إذا كان غذاءاً صحياً متكامل العناصر فسوف يودى إلى تكوين جسم قوى ذو قدرة على مقاومة الأمراض. فالثقافة كالمحلول الغذائى بالنسبة للشخصية إذا كانت عناصرها فقيرة فأنها تودى إلى خلق شخصيات هزيلة ضعيفة الإرادة وإذا كانت عناصرها غنية فأنها تودى إلى خلق شخصيات قوية ذلك لأن الثقافات الغنية بعناصرها تمنح فرصاً وتحديات وخبرات أكثر من الثقافات الفقيرة على أن هذا لتشبيه لا يجب أن يعنى سوى أن الثقافة تعتبر عاملاً هاماً من حيث مدى تأثيرها على شخصية الأفراد فى المجتمع لكن الأفراد ليسوا مسلوبى الإرادة أى فى الموقف السلبي الذى تملئ فيه الثقافة كل خواص شخصياتهم دون أن يكون لهم أى دخل فى ذلك.

الحقيقة أن الأفراد يقع عليهم عبء ودور هام فى تشكيل شخصياتهم أى فى إكسابها خواص وصفات معينة فالثقافة مهما كانت غنية فى عناصرها إذا لم يستغل

الإنسان فرصة وجود هذه العناصر ويستفيد منها فإن غناها بالعناصر الثقافية يصبح قليل الفائدة بالنسبة للشخصية بالضبط مثل الشخص الذي يوجد في حوزته الكثير من العناصر الغذائية المفيدة غير أنه لا يعرف كيف يستفيد منها ويركن إلى إتباع نمط غذائي من عناصر محدودة فقيرة في قيمتها الغذائية، مثل هذا الشخص يكون قد أضاع على نفسه فرصة كان من الممكن أن يستغلها لصالحه. فالإنسان ذو العقل الراجح المترن هو الذي يلجأ إلى الاستفادة بكل ما تمنحه ثقافته من فرص وتحديات وخبرات ومعارف ولا يهمل شيئاً قد يكون فيه ما يمنحه بعض المميزات الشخصية.

على أن هناك عوامل أخرى عدا الثقافة لها أيضاً آثارها على شخصية الأفراد وليس أدل على ذلك من أن الأفراد في المجتمع يختلفون في صفاتهم رغم اشتراكهم في ثقافة واحدة. ولقد حاول بعض العلماء الوقوف على مدى تأثير الثقافة المشتركة على خلق أنواع مختلفة من الشخصيات وتبين لهم أن الثقافة رغم تأثيرها القوي على شخصية الأفراد لمشاركين فيها إلا أن هذا التأثير لا يعنى خلق شخصيات متشابهة تماماً في خواصها فالثقافية ليست كالختم الذي يدع الأفراد بصفات واحدة متماثلة فليس كل الأفراد في المجتمع ينفلون من عناصر ثقافتهم المشتركة بنفس المقدار بل أنهم رغم اشتراكهم في ثقافة واحدة يختلفون فيما يتعرضون له من جوانب الثقافة أى فيما يلمون به من عناصر فالبعض يقتبس عناصر فقيرة والبعض يقتبس عناصر غنية ذات قيمة عالية ومن ثم لابد من وجود الفروق في شخصيات الأفراد.

ليس هذا فحسب بل أن خبرات لحياة تتفاوت من فرد لآخر هذا بالإضافة إلى عدم إمكان إغفال أثر العوامل البيولوجية على شخصية الأفراد فالأخوة والأخوات في الأسرة الواحدة قد يختلفون كثيراً عن بعضهم رغم اشتراكهم في ثقافة واحدة وفي خبرات متشابهة وخلاصة القول أن الثقافة من وظائفها الهامة أنها تعمل على إكساب الأفراد الصفات الشخصية التي تجعلهم مواطنين قادرين على أن يقوموا

بأدوار معينة ويحتلوا مكانات اجتماعية معينة ويتكيفوا للظروف الاجتماعية المحيطة بهم وأنه بقدر ما تستطيع الثقافة أن تمنحه من فرص وتحديات بقدر ما يتمتع أفراد المجتمع من صفات شخصية.

٥- تقوم الثقافة بوظيفة هامة للإنسان والمجتمع عن طريق كونها عاملاً من عوامل الضبط الاجتماعي إذ تعطي للناس شعور بالانتماء وتربطهم مع بعض كجماعة مميزة عن غيرها من الجماعات وتزيد من احساسهم وشعورهم بالأمن وبمعنى آخر تعمل على كفالة الأمن والطمأنينة للأفراد ووحدة بقاء المجتمع والثقافة تحقق كل ذلك عن طريق تقديم الأنماط المقبولة لسلوك الأفراد والجماعات في المجتمع، وتقديم الوسائل التي بواسطتها يتعلم الأفراد والجماعات في المجتمع، وتقديم الوسائل التي بواسطتها يتعلم الأفراد كيف يسلكون وفقاً لهذه الأنماط، ومنح الوسائل التي بها تفرض وتنفذ الأنماط المعارف عليها. فاما الأنماط التي تقدمها الثقافة فتتمثل في مجموعة التقاليد والعادات الشعبية والعرف، وأما الوسائل التي يتعلم بواسطتها الأفراد كيف يسلكوا وفقاً لهذه الأنماط فتتمثل في عملية التنشئة الاجتماعية وأما الوسائل التي بها تفرض وتنفذ الأنماط فتتمثل في الضبط الاجتماعي والقوانين والتي يعبر أحياناً عن مدى إتباعها بالجوائز أى الحوافز التشجيعية أو العقوبات.

والضبط الاجتماعي ما هو إلا القوة المعنوية غير الرسمية المستندة إلى قوة الرأي العام للناس والتي تقوم على أساس التوقعات المتبادلة لسلوك الأفراد في المجتمع. فعندما يسلك الأفراد سلوكاً غير متوقع فإن الرأي العام للناس ممثلاً في الاستياء من هذا السلوك غير المتوقع يكون في حد ذاته قوة رادعة لحمل الأفراد على عدم الانحراف عن السلوك المتوقع. والضبط الاجتماعي مثل القوانين يختلف من مجتمع لآخر فكل مجتمع له وسائله الخاصة التي بواسطتها يفرض على أفرادها إتباعه أنماطه السلوكية الجماعية المشتركة. ومن الجدير بالذكر أنه في المجتمعات

البداية ذات الثقافات البسيطة يكاد يكون معظم السلوك الإنسانى نمطاً أو شبه نمط بمعنى أن معظم مواقف الحياة معرفة وما على الأفراد إلا أن يتبعوا السلوك المتعارف عليه فى المواقف الهامة فقط هى النمطة بينما معظم السلوك حر واختيارى إلى حد كبير.

على أن وجود ضبط اجتماعى فى كل مجتمع يجب ألا يعنى أن الأفراد ليسوا أحراراً ذلك لأن الضبط الاجتماعى لايتعارض مع الحرية بل على العكس يساندها ويعمل على تحقيقها فطالما أن الإنسان لابد وأن يعيش فى مجتمع وأن هذا المجتمع لا يمكن أن ينتسب ويستقيم الأمر فيه بدون نظام فإن الضبط الاجتماعى يصبح والأمر كذلك عاملاً هاماً لحماية الفرد واستقراره وليس للحد من حريته. أن الثقافة بتميطها لأنواع من الحياة إنما تخدم الإنسان والمجتمع فقد حررت الإنسان من جهد التفكير فى كيف يسلك فى المواقف المختلفة وبذا أطلقت طاقاته لتحقيق الكثير من الأشياء الأخرى التى زادت من استمتاعه من الحياة.

هذا فضلاً عن أن الثقافة بتميطها لسلوك الأفراد والجماعات فى المجتمع فى المواقف المختلفة خاصة فى المواقف الهامة إنما ساعدت بذلك على القدرة على التنبؤ بسلوك الآخرين مما جعل فى إمكان الأفراد والجماعات القيام بوظائفهم فى يسر وسهولة دون احتكاكات كثيرة أو تعارض، وبمعنى آخر أن الضبط لذى تمارسه الثقافة على سلوك الأفراد فى المجتمع كان من شأنه أن ساعد على ادخار الكثير من المجهودات التى كان يمكن أن تضيع فى المنازعات والتى أصبحت توجه لأعمال بناءة مفيدة تلك هى باختصار بعض الوظائف الهامة التى تقوم بها الثقافة للإنسان وللمجتمع وما من شك أنه بدون هذه الوظائف ما كان يستطيع الفرد أن يعيش إلا كما تعيش الحيوانات غير الإنسانية لتستطيع أن تبقى متماسكة تؤدي وظائفها للإنسان وللبنشيرة عامة.

أوجه التشابه والاختلاف بين الثقافات

أن من يستعرض مكونات المئات من الثقافات الموجودة حول العالم ويحاول مقارنتها ببعضها ببعض سوف يتبين له أن الثقافات تتشابه في بعض النواحي وتختلف في نواحي أخرى وفيما يلي سوف نحاول أن نوضح أوجه الشبه والخلاف بين الثقافات وأسبابها.

أوجه التشابه بين الثقافات:

على الرغم من أن السلوك الإنساني وأنماطه الثقافية من تقاليد وعادات شعبية وعرف وقوانين ومؤسسات تختلف من ثقافة لأخرى إلا أن كافة الثقافات حول العالم أظهرت بعض المتشابهات في نواحي كثيرة منها:

١- وجود نظام اقتصادي يتمثل في مجموعة من المعارف والعقائد والأساليب التي تتعلق بعمليات الإنتاج والتوزيع والاستهلاك للسلع والخدمات والتي تتصل بكيفية كسب لعيش ونظام توزيع حقوق الملكية وغيرها من الشؤون الاقتصادية بصفة عامة.

٢- وجود نظام اجتماعي يتمثل في مجموعة الحقوق والواجبات والمسئوليات التي تنظم العلاقات الجنسية والحياة الزوجية والأسرية وتربية ورعاية الأطفال. كما وتتمثل في مجموعة السلوك المتوقع من الأفراد والتي عادة ما تتفاوت حسب أعمارهم وجنسهم. لا يوجد مجتمع فيه الأفراد أحراراً حرية مطلقة في كافة سلوكهم ولكن هناك دائماً قيود ممثلة على الأقل في مجموعة من المحرمات ومجموعة من السلوك المتوقع إتباعه أو عدم إتباعه وفقاً للتقاليد والعادات الشعبية والعرف والقوانين السائدة.

٣- تتضمن كل الثقافات نظام عقائدي يتمثل في مجموعة من الآراء والأفكار وطرق السلوك ذات الصلة بما هو مقدس أو ديني. في ضوء هذا النظام العقائدي

- أياً كان نوعه - تفسر طبيعة الكون ومكان الإنسان فيه ويعرف الصواب والخطأ والأخلاقى وغير الأخلاقى والدين وهو أحد عناصر هذا لنظام يتكون من مجموعة العقائد والأساليب التى تتصل بعلاقة الإنسان بقوى فوق العادة Supernatural power والتى وأن كانت غير معروفة على وجه التحديد إلا أن الناس فى كافة الثقافات تسلك وتفكر وتشعر تجاهها بطرق معينة.

٤- يوجد فى كل ثقافة نظام حكم يتمثل فى مجموعة القواعد التى تنظم العلاقة بين الأفراد والجماعات فى المجتمع وبين المجتمع وغيره من المجتمعات الأخرى. هذه القواعد تتضمن عادة التقاليد وأيضاً العادات الشعبية والعرف فى بعض المجتمعات بالإضافة إلى القوانين فى مجتمعات أخرى والتى فى ظلها يفصل فى المشاكل بين الناس أو تنظيم حياتهم بما يساعد على رفاهيتهم وحمايتهم من اعتداءات الآخرين.

٥- يوجد فى كل ثقافة لغة وأن لم تكن بالضرورة لغة مكتوبة واللغة أحد العناصر الثقافية الهامة. وجود الرموز الأصلية أمر ضرورى لوجود الثقافة صلاً، فاللغة - كما سبق القول - هى الوسيلة الاتصالية الأساسية والتى عن طريقها تنقل الأفكار والآراء والمعارف ولعقائد من فرد لآخر، كما يوجد فى كل ثقافة نظام تعليمى سواء أكان هذا النظام رسمياً أو عرفياً، عن طريق هذا النظام تنقل المعارف والآراء والأفكار والمعتقدات من جيل إلى جيل وتكتسب المهارات والخبرات الثقافية. كما وأنه فى كل ثقافة يوجد مجموعة من المعارف التى تعتبر فى نظر الناس صحيحة وحقيقية ومجموعة من الأساليب المعينة فى أداء الأشياء (تكنولوجى) من أمثلة ذلك أساليب استغلال الموارد الطبيعية سواء فى الحصول على الغذاء أو الكساء أو غيره من الاحتياجات والأساليب المتبعة فى صنع مختلف الأشياء المادية الثقافية.

٦- يوجد فى كل الثقافات مجموعة من الفنون فالإنسان فى مختلف الثقافات يحاول تصوير المواقف والتعبير عن النواحي الجمالية عن طريق مختلف الأفعال كالرسم والنحت والموسيقى والدراما والأدب وغيرها من الفنون التى تتضمن

الكثير من أوجه النشاط التي يشبع أداؤها أو إنتاجها رغبة عند الشخص التي أنتجها أو الأفراد الذين يشاهدونها، كما ويوجد في كل ثقافة نظام ترويحى - هذا النظام يتضمن أوجه لنشاط التي من شأنها إدخال السرور على الناس وزيادة استمتاعهم بوقت فراغهم.

لقد أوضح ساندرلاند أن George, Murdak عدد الكثير من أنواع السلوك الإنسانى الثقافى المشابهة فى مختلف المجتمعات والتي منها: التصنيف حسب الأعمار والنشاط الرياضى والتوقيت الزمنى وتنظيم المجتمع وتقسيم لعمل والعمل التعاونى والتعليم والأخلاق والتقاليد والطقوس الدينية والشعائر الجنائزية والعادات الشعبية وأعياد الأسرة وإشعال النار والألعاب لمختلفة والإشارات واللغة والأنيكيت والرقص والموسيقى والحب والتحية والتزاور والكرم وإعطاء الهدايا والحظ والخرافات والسحر والإقامة فى مساكن ومواعيد تناول الطعام والمأكولات المحرمة والصحة العامة والتدريب على النظافة والاستحمام والتزين وموضات الشعر والأدوية وعادات الحمل والولادة، والعناية بالمولودة والأسماء الشخصية والزواج وتخريم الزواج من الأقارب والعفة عند الزواج وعادات البلوغ والتحديدات الخاصة بالعلاقات الجنسية والحكومة والقانون وحقوق الملكية وقوانين الميراث والتفرقة الطبقة والتجارة وصنع الآلات.

تلك هى بعض نواحي الشبه بين الثقافات. على أن أوجه الشبه هذه لاتعنى أن الثقافات متشابهة تماماً فى كافة ما أشرنا إليه أو غيره وإنما تعنى فقط أنه يو فى كل الثقافات أشياء متقاربة أو على جانب كبير من الشبه بصفة عامة وليس تفصيلاً. وتعزى أسباب التشابهات خاصة الرئيسية منها إلى التشابه فى الاحتياجات البيولوجية والاجتماعية والنفسية الضرورية للإنسان، فأى إنسان فى أى مجتمع يتشابه مع سائر الكائنات البشرية الأخرى فى خواص البيولوجية وطبقته الاجتماعية

ومقوماته النفسية وفي خبرات الحياة الأساسية ومن هنا نشأت نواحي التشابه في الثقافات كانعكاس للاحتياجات الإنسانية المتشابهة.

أوجه الاختلاف بين الثقافات:

عندما يتعرض الأفراد لثقافات أجنبية لا يسعهم لأول وهلة إلا أن يدركوا بعضاً من الاختلافات التي تبدو واضحة بين ثقافتهم والثقافات التي يتعرضون لها، غير أنه في حقيقة الأمر هناك العديد جداً من أوجه الاختلاف بين الثقافات الكثيرة الموجودة على سطح الأرض وفيما يلي أمثلة منها:

١- على الرغم من أن الجنس البشري في كل مجتمع يتكون من ذكور وإناث وأنه يتم بين هؤلاء عملية تناسل وهي عملية بيولوجية إلا أن الزواج والأسرة تنظمها تقاليد وعادات وعرف وأحياناً قوانين تختلف من ثقافة لثقافة وعلى سبيل المثال في بعض الثقافات العلاقات الجنسية مسموح بها قبل لزواج بينما في ثقافات أخرى محرمة على غير المتزوجين، وبينما اختيار الشريك في بعض الثقافات يتم عن طريق الأباء بون رؤية الرجل للمرأة حيث تختفي الإناث عن أعين الرجال بمجرد بلوغهن سن المراهقة نجد في ثقافات أخرى يتم الاختيار بعد فترة حب عن طريق الرجل للمرأة والمرأة مباشرة، وبينما في بعض ثقافات أخرى لا يراعى مثل ذلك التقليد.

في بعض الثقافات تشتري النساء بالمال أو بالملكات أو بالعمل لدى أهلهن ولا يحدث ذلك في بعض الثقافات الأخرى، في بعض الثقافات يتزوج الرجل من امرأة واحدة فقط في وقت واحد ولا يحق له تطبيقها وفي بعض الثقافات يتزوج الرجل من امرأة واحدة ويحق لها الطلاق وفي ثقافات أخرى يحق للرجل الزواج بأكثر من امرأة وفي ثقافات أخرى يحق للمرأة الزواج بأكثر من رجل وفي بعض الثقافات تتركز السلطة في يد الزوج بينما في ثقافات أخرى تتركز في يد الزوجة

وفى ثقافات أخرى تكون السلطة مشتركة بين الزوج والزوجة إلى غير ذلك من نواحي الاختلافات سواء فى العلاقات الجنسية أو الزواج أو البناء الأسرى.

٢- يتفاوت السلوك الإنسانى المتعلق بمقابلته الاحتياجات الاقتصادية من ثقافة لأخرى. فى بعض الثقافات يشتق الإنسان احتياجاته من الغذاء والكساء والمأوى من البيئة التى يعيش فيها مباشرة أى دون تدخل كبير من جانب الأفراد الآخرين فى إحداث تغييرات كبيرة فى شكل السلع المتحصل عليها فعلى سبيل المثال ينتزع من الأرض بعض النباتات ويجمع من الأشجار بعض الفواكه أو يصطاد بعض الأسماك والحيوانات ويستخدمها فى غذائه ويجمع بعض الأعشاب أو الياقوت النباتات ويصنع منها ملبسه ويقطع بعض الأشجار ويصنع من أخشابها كوخاً أو عشة، وبمعنى آخر فإن صلته بالطبيعة واعتماده عليها كبيرة ومباشرة.

وعلى النقيض من ذلك فى ثقافات أخرى أصبح الإنسان بعيداً جداً عن البيئة الطبيعية التى منها يحصل على غذائه وكسائه وكثيراً ما تتعرض تلك الأغذية والأكسية لعمليات تصنيع عديدة تغير كثيراً من شكلها إلى حد أن الفرد لم يعد يعرف شكل النباتات التى تقدم له ثمارها فى صورة أغذية معلبة ولا شكل النباتات أو الحيوانات أو المواد التى تصنع منها أنسجة الملابس الذى يرتديها فما العادات الغذائية فهى أيضاً كثيرة ومتنوعة وفى بعض الثقافات يكره الناس تناوله أنواع معينة من الأغذية مثل القواقع والضفادع وفى ثقافات أخرى يحرم على الناس تناول بعض الأغذية مثل لحوم البقر والخنازير، وهكذا يختلف الناس فيما يأكلون وفى طريقة طهي وتقديم الأغذية.

يسود فى بعض الثقافات النظام الاقتصادى الرأسمالى وفى الأخرى النظام الشيوعى وفى أخرى النظام الاشتراكى وفى بعض الثقافات يتنافس الناس على العمل والإدخار وتكوين الثروات وفى ثقافات أخرى يميل الناس إلى التعاون

والتضام والعمل الجماعي المشترك، وفي ثقافات أخرى يبغض الناس العمل إلا ما هو ضروري منه ويميلون إلى راحة البال وبذل أقل مجهود إنساني جسماني أو عقلي في أي ناحية من نواحي النشاط الاقتصادي قانعين بأقل الدخول راضين بمستوى معيشتهم المنخفض أخذين في اعتبارهم قيمة عالية لنواحي أخرى من النشاط كالنشاط الديني أو التروحي. على أن كل الأنظمة الاقتصادية تبدو طبيعية لمن يتبعوها وتحقق وظائفها بطريقة مرضية إلى حد ما من وجهة نظرهم وإن كن ذلك ليس بنفس الدرجة من الكفاءة لإشباع احتياجات الأفراد الأساسية كما يجب.

٣- تختلف الثقافات في نظام الحكم السائد بكل منها ففي بعض الثقافات البسيطة يعتبر الضبط الاجتماعي (أي قوة الرأي العام للناس) ممثلاً في العرف والتقاليد والعادات الشعبية هو القوى المنظمة لسلوك الأفراد في المجتمع والتي تجبرهم على إتباع ما هو صواب وسليم وتجنب ما هو خطأ أو محرم وفي ثقافات أخرى لا يعتبر العرف والتقاليد والعادات الشعبية كافية للسيطرة على الأفراد والجماعات ومن ثم يوجد أيضاً القوانين التي تحدد الجزاء والعقاب لمن ينحرف عن الأنماط السلوكية الواجب إتباعها والتي تحدد المكافآت لمن يتبعها ولتنفيذ هذه القوانين وجد البوليس وأقيمت المحاكم والسجون.

على أن الثقافات لا تختلف فقط في الطريقة التي تتبعها في ممارسة الضغط على أفرادها لإتباع الأنماط السلوكية المتعارف على صحتها أو قبولها وإنما تختلف أيضاً من حيث هيكل نظام الحكم فيها فقد يكون الحاكم في بعض المجتمعات رئيس القبيلة كما هو الحال في المجتمعات البدائية، في مجتمعات أخرى شخص يلقب بالملك أو بالرئيس المنتخب، وفي بعض المجتمعات مجموعة من الأفراد المنتخبين الذين يتعاونون في الحكم. في بعض المجتمعات لا توجد أجهزة تشريعية رسمية، بينما توجد العديد من الأجهزة المختلفة في بعض المجتمعات كالبرلمان أو الكونجرس و مجلس الشعب وما يشابهها في بعض المجتمعات لا توجد أجهزة

تنفيذية رسمية بينما فى البعض الآخر توجد الوزارات المختلفة والمؤسسات والمصالح العديدة، فى بعض المجتمعات يتبع النظام الديمقراطي فى إدارة شئون المجتمع بينما فى مجتمعات أخرى يسود النظام الديكتاتورى وبين هذين النظامين توجد أنظمة أخرى.

٤- تختلف العقائد الدينية من ثقافة لأخرى فالناس فى بعض الثقافات يقدسون مختلف الأشياء فمنهم من يقدس النباتات أو الحيوانات أو الأنهار أو الجبال أو الرياح أو الكواكب ومنهم من يقدس أفراد آخرين من الكبار أو المجازيب ومنهم من يقدس الأجداد أو الموتى من الأفراد. الحقيقة أنه على مر الزمن فى مختلف الثقافات قدس الإنسان أشياء كثيرة جداً، فى ثقافات أخرى يدور نشاط الناس الدينى حول عبادة قوة يعتقدون أنها كبيرة جداً (فوق العادية) وأنها المسيطرة على الكون والمسيرة له. عقائد الناس وقيمهم الدينية والأخلاقية وما يعتبرونه صواب أو خطأ، أخلاقى أو غير أخلاقى يختلف أيضاً من ثقافة لأخرى.

فى بعض الثقافات يعتبر الرقص وإشعال النيران ودق الطبول من الطقوس الدينية بينما فى ثقافات توجد الموسيقى الكنيسة والتراتيل والصلاة وهكذا يقوم الناس فى مختلف الثقافات بمختلف أنواع السلوك الدينى. البعض يصوم والبعض يقيم الولائم والبعض يكف عن الكلام والبعض يمتنع عن ممارسة العلاقات الجنسية والبعض يقتل الأطفال والبعض يهتم برعايتهم والبعض يتسوا والبعض يشفق ويرحم إلى غير ذلك. ليس هناك حدود ولا نهاية ولا تفسير لما يقوم به الناس من سلوك دينى، لا يعرف أحداً لماذا يسلكون ويتصرفون ويفكرون بهذه الطرق المختلفة التى يتبعونها.

٥- تختلف الفنون والأدب من ثقافة لأخرى. ففى المجتمعات البدائية يكون للناس فنونهم الشعبية وموسيقاهم وطرقهم فى النحت وفى صنع الأشياء للزينة. وتختلف النواحي الجمالية أيضاً من ثقافة لأخرى ويتبع الرجال والنساء فى كل ثقافة طرقاً

مختلفة للترين، كما أن لهم مقاييسهم الجمالية متفاوتة. ويختلف الناس أيضاً من حيث الطريقة التي يروحون بها عن أنفسهم ويمضون بها وقت فراغهم ففي بعض الثقافات يشغل الناس أوقات فراغهم عن طريق قراءة الروايات البوليسية أو مشاهدة التمثيليات المسلسلة أو سماع الراديو أو الموسيقى الكلاسيكية وفي بعض الثقافات يقضون أوقات فراغهم في دق الطبول والرقص والصباح أو في العبادة كما في بعض المجتمعات البدائية.

تلك فقط بعض أمثلة لتوضيح مدى الاختلافات التي توجد بين الثقافات العديدة حول العالم. وبسبب هذه لاختلافات ينظر الناس في كل ثقافة إلى غيرهم من الناس في الثقافات الأخرى نظرات متفاوتة. فالناس في بعض الثقافات ينظرون إلى غيرهم على أنهم متوحشين أو متخلفين أو متقدمين أو غير ذلك حسب ما يبدون في نظرهم. هذه الاتجاهات المختلفة كانت ولا تزال حتى الآن تؤثر على سلوك الناس في المجتمعات المختلفة تجاه بعضهم البعض. كثيراً ما يعزى العلماء أسباب الاختلافات بين الثقافات إلى أحد عاملين أحدهما الاختلافات في العنصر أي في النواحي والعوامل البيولوجية الوراثية ولثاني إلى الاختلافات في البيئة الجغرافية. ولعل من الأهمية في هذا المجال أن نناقش كل من هذه العوامل وأثرها على خلق ثقافات مختلفة.

الاختلافات العنصرية Race differences:

يعتقد البعض أن الاختلافات بين الثقافات سببها الاختلافات العنصرية حيث يعتقد أن الناس المختلفين من حيث العنصر يختلفون أيضاً في درجة نشاطهم وذكائهم وكفاءتهم ويتفاوتون في أمزجتهم واحتياجاتهم وأيضاً رغباتهم ومن ثم فإن ثقافتهم تكون متباينة ومختلفة بسبب هذه الاختلافات العنصرية. غير أن بعض

العلماء لا يرون أن الاختلافات العنصرية سبب مقبول لتبرير الاختلافات فى الثقافات لعدة أسباب منها:

١- أن العنصر مسألة تتعلق بانتقال صفات وراثية بيولوجية من جيل لآخر أما الثقافة فهي انتقال صفات اجتماعية وأنه يوجد بالعالم ثلاثة عناصر ونسبة هم البيض والسود والصفير فى الوقت الذى يوجد فى العالم - كما أوضح الأنثروبولوجين حوالى ألف ثقافة فلو أن الاختلافات العنصرية هي السبب لكان من المفروض أن يوجد ثلاثة ثقافات فقط بدلاً من حوالى ١٠٠٠ ثقافة.

٢- أن العناصر الثلاثة موجودة فى جهات مختلفة حول العالم جنباً إلى جنب وأحياناً فى داخل الدولة الواحدة بل وفى نفس المنطقة الجغرافية. وأن العنصر الواحد منها تتفاوت ثقافات الجماعات فيه من بسيطة إلى معقدة. ولو كان صحيحاً أن العنصر له ثقافة واحدة لما كانت الجماعات التى تنتمى إليه تختلف فى ثقافتها من منطقة لأخرى سواء فى داخل الدولة أو فى عدة دول. وعلى سبيل المثال العنصر الأبيض موجود فى جهات عديدة فى العالم ولكن البيض فى كل مجتمع لهم ثقافتهم المختلفة عنه فى مجتمع آخر. كذلك الحال بالنسبة للعنصر الأصفر والعنصر الأسود تختلف ثقافات الجماعات فى كل منهما من منطقة لأخرى ومن مجتمع لآخر.

٣- لو أن الاختلافات العنصرية هي سبب الاختلافات فى الثقافات استناداً إلى الفروق البيولوجية الوراثية وتلك نادراً ما تتغير أى ثابتة تقريباً (باستثناء بعض التغيرات الفردية البسيطة) لكان العنصر المتقدم يظل متقدماً فى ثقافته طوال الوقت والعنصر المتخلف يظل متخلفاً فى ثقافته طوال الوقت أيضاً غير أن دراسة التاريخ تشير إلى أنه فى الوقت الذى كان فيه الأوروبيون البيض لا يزالون يلبسون جلود الدببة كان الصينيون الصفير يبنون القصور ولديهم فنون وآداب متقدمة وكان المصريون من أوائل من أوجدوا سبابة البرنز. وعلى مر القرون

لا يوجد أى عنصر أظهر قدره على خلق ثقافة متقدمة عن غيره من العناصر، بل أن ثقافات نفس العنصر تبدو متقدمة فى مكان ومتخلفة فى مكان آخر. كل ذلك يدل على أن هناك عوامل أخرى غير العنصر تسبب اختلاف الثقافات.

٤- حقيقة أن هناك فروق بيولوجية وراثية بين العناصر المختلفة مثل لون الجلد وطبيعة ولون الشعر وشكل ولون العينين وشكل الأنف والشفيتين وغير ذلك إلا أن الأفراد فى العناصر الثلاثة لا يختلفون عن بعضهم اختلافات تذكر فى القدرة العقلية ولا البدنية ولا فى الدوافع العضوية وذلك عند تساوى لظروف البيئة الاجتماعية والنفسية والاقتصادية. هكذا أوضح علماء النفس بعد إجراء اختبارات عديدة على أفراد من مختلف العناصر بل أن هناك أحياناً اختلافات بين الأفراد فى نفس العنصر الواحد أكثر من الاختلافات بين العناصر ككل. لكل هذه الأسباب لا يبدو أن الاختلافات العنصرية أى الاختلافات البيولوجية الوراثية بين الناس هى السبب فى الاختلافات فى ثقافتهم. يبقى أن نختبر العامل الثانى وهو البيئة الجغرافية وأثرها على اختلاف الثقافات.

البيئة الجغرافية:

يقصد بالبيئة الجغرافية فى هذا المجال كافة الظروف الطبيعية مثل الأرض والنباتات والحيوانات والمعادن وأيضاً الطبوغرافية كالأنهار والبحيرات والمحيطات والجبال والشواطئ وكافة الظروف الجغرافية حول العالم جعلت بعض الناس يعتقدون أن البيئة الجغرافية هى سبب الاختلافات فى الثقافات. هذه النظرة تبدو لأول وهلة مقبولة وتفسير معقول للاختلافات بين الثقافات - الموجودة فى بيئات جغرافية مختلفة.

يقول البعض أن ثقافة الإسكيمو لا يمكن أن توجد إلا في المناطق المتجمدة الشمالية وثقافة الأعراب لا يمكن أن توجد إلا في الصحارى أى أن البيئة الجغرافية تحدد الثقافة. هذه الأقوال ثبت عدم دقتها تماماً عن طريق ملاحظتين أولهما: وجود ثقافات مختلفة في بيئات جغرافية متشابهة فالأسكيمو يصطادون الحيوانات وبيوتهم بيوتهم من الثلج على شكل قباب بينما سكان شمال سيبيريا في بيئة جغرافية متشابهة يرعون الغزلان وقيمون في أكواخ مبنية من الخشب والجلود، وثانيهما: وجود ثقافات متشابهة في بيئات مختلفة فالثقافات البولونيزية Polynesian Culture وجدت منتشرة في بيئات مختلفة كما في جزر هاواي ونيوزلاند.

ما هي إذن علاقة البيئة الجغرافية بالثقافة؟ ما من شك في أن البيئة الجغرافية في أى مكان تؤثر على الثقافة فأحياناً تحول دون قيام الإنسان بنواحي معينة من أوجه النشاط الثقافى وأحياناً تضطره إلى القيام بنواحي أخرى. فمثلاً يصعب على الأعراب في الصحراء والأسكيمو في المناطق المتجمدة الشمالية أن يزرعوا القطن أو الموز لأنها محاصيل تتطلب تربة خصبة ووفرة المياه بدرجة حرارة عالية نسبياً في نفس الوقت تضطر ظروف البيئة الجغرافية الأعراب الإقامة في خيام متنقلة كما تضطر الإسكيمو في المناطق المتجمدة الشمالية أن يقيموا في بيوت من الثلج. وواضح أن البيئة الجغرافية في كل ذلك تؤثر على بعض نواحي سلوك الإنسان وربما كان ذلك هو السبب الذي حمل بعض المتخصصين في الجغرافيا على الاعتقاد بأن البيئة الطبيعية وظروفها هي العامل المحدد لثقافة الناس، غير أنه حديثاً أوضح علماء الجغرافيا البشرية وعلماء الأنثروبولوجى أن أى مجموعتين من الناس يمكن أن يعيشوا مع بعض في منطقة جغرافية واحدة ومع ذلك لكل منها ثقافة مختلفة إلى حد كبير.

على أنه إذا كان للبيئة الجغرافية بعض الآثار على حياة الناس في المناطق المختلفة فإن هذا لايعنى أن الإنسان يقف مكتوف اليدين أمام البيئة الجغرافية التى

نحيط به انه يحاول باسمرار التغلب عليها وإحصاعها لصالحه ومحاولاته في هذا الشأن عديدة ومستمرة وتتزايد بتقديم العلم والتكنولوجيا لقد استطاع الإنسان أن يحول أجزاء من الصحارى ومن البحيرات إلى أراضى زراعية خصبة، ويحول بعض الغابات إلى أراضى محصولية والمستنقعات إلى حدائق غناء ومد السكك الحديدية والطرق المرصوفة عبر أنفاق شقها في الجبال وأقام الخزانات لحفظ المياه لضمان استخدامها في الزراعة على مدار السنة وللوقاية من الفيضانات وتجنب مخاطرها.

وكما تقدم التكنولوجيا كلم رادت كفاءة الإنسان وقدرته على السيطرة على البيئة الجغرافية والتحكم فيها ونسحيرها لصالحه وعلى سبيل المثال استطاع الأطباء في منطقة قناة بنما أن يغلّبوا على مخاطر الأمراض الأستائية عن طريق اكتشاف أسباب الملاريا والحمى الصفراء ومعرفة كيفية الوقاية منها، بهذا استطاعوا أن يفتحوا الطريق أمام تغيرات هائلة في البيئة الجغرافية كان من نتيجتها شق قناة بنما التى يتوصل المحيط الأطلنطى بالمحيط الهادى.

كل ذلك يوضح أن الإنسان استطاع عن طريق ثقافته أن يؤثر في البيئة الجغرافية المحيطة به ويستغلها لصالحه ولو أن هذا الاستغلال ربما ليس كاملاً أو كبيراً في بعض المناطق كما هو في مناطق أخرى. هناك ولاشك بعض الموارد الاقتصادية غير المستغلة في بعض البيئات الجغرافية غير أن سكان هذه لبيئات ربما لا ينظرون إليها على أنها موارد لقد ظلت موارد اقتصادية لمئات السنين أمام أعين الناس دون ما استغلال بسبب عدم ادراكهم لمدى أهميتها أو بسبب تخلف ثقافتهم وما ترتب على ذلك من عجزهم عن إدراك ما يوجد في بيئاتهم من فرص اقتصادية أو القدرة على استغلالها ومن الأمثلة على ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التى طلب مناب من السبير بكل ما فيها من ثروات تحت أعين وأقدام الهنود الحمر الذين

لم يستطيعوا بثقافتهم المتخلفة عن أن يدركوا فى بيئاتهم من إمكانيات وفيرة أو أن يستغلونها الاستغلال الاقتصادى الأمثل.

وعموماً يمكن القول أن البيئة الجغرافية ما هى إلا واحد فقط من العوامل أى القوى التى تؤثر على الثقافة. وتأثيرها لاشك أقوى وأوضح حيث السكان البدائيين يعيشون فى المناطق المتجمدة الشمالية أو فى الصحارى أو ما شبيهها من البيئات القاسية كما وأن تأثيرها أكثر على بعض نواحي أخرى فالتكنولوجيا والنواحي الاقتصادية متصلة أكثر بالموارد بالبيئة الجغرافية ومن ثم يبدو أثر البيئة الجغرافية على هذه النواحي أكثر منها على نواحي أخرى كالفن والدين.

على أن جونسون يرى أن علماء المجتمع والجغرافيا والأنثروبولوجى يختلفون كثيراً فيما بينهم بالنسبة لمدى تأثير البيئة الجغرافية على الثقافة فبينما يعتقد بعض العلماء أن الإنسان يحاول من جانبه أن يغير من ظروف البيئة الجغرافية المحيطة به ولكن لا يستطيع أن يحدث إلا بعض التعديلات لجعلها أكثر ملائمة لحياته وذلك فى حدود ما تفرضه تلك البيئة الجغرافية من تحديدات. فأن بعضاً آخر من العلماء يعتقدون أن أثر لبيئة الجغرافية على الثقافة لم يعد له من يناصره باستثناء افتراض واحد لا يزال قائماً من حيث الدراسة والبحث إلا وهو أثر الطقس (الحرارة - الرطوبة - الرياح - الأمطار) على الثقافة فالبعض يعتقد أن للطقس أثر كبير على تقدم الثقافة أو تخلفها ففى رأيهم أن الطقس المعتدل يبعث على النشاط وبذا ينصرف مجاهد الناس إلى بناء ثقافة متقدمة بينما الطقس غير المناسب كما فى المناطق الباردة جداً أو الحارة جداً يدفع الناس إلى بذل مجهودات كبيرة للمحافظة على حياتهم بما يعرقل من نشاطهم نحو بناء ثقافة متقدمة.

على أن بعض الأنثروبولوجيون والاجتماعيون والجغرافيون يعارضون أو يعدلون كثيراً من أثر العصر على الثقافة أى لا يميلون الى اعطاء أهمية كبيرة

لطقس كعامل من العوامل المحددة للثقافة إذ ليس بالضرورة في رأيهم أن الثقافات المتقدمة نشأت في مناطق ذات طقس معتدل وليس أدل على ذلك من أن الثقافات كثيراً ما تغيرت دون تغيرات تذكر في الطقس.

وخلاصة القول أن البيئة الجغرافية والثقافية يؤثر كل منهما ويتأثر بالآخر. والثقافة ليست كما يعتقد البعض في الموقف السلبي الذي يتحدد بالبيئة الجغرافية أنها تؤثر وتتأثر بالمرحح الطبيعي التي تقوم عليه وهذا التأثير يريد كلما تقدم العلم والتكنولوجيا وراحت كفاءة الإنسان.

مما تقدم يتضح أنه لا العنصر ولا البيئة الجغرافية يعتبران من التفسيرات المرسية أو الكافية للاختلافات الكثيرة جدا في السلوك الإنساني في مختلف المجتمعات أي للاختلافات بين الثقافات والسؤال الذي يفرص نفسه ما هي أدل الأسباب الحقيقة للاختلافات بين الثقافات؟ هناك آراء متباينة في هذا الشأن فمثلا يرجع جون كوبر الاختلافات بين الثقافات إلى عوامل ثلاثة:

١- أن الاحتياجات الإنسانية البيولوجية من مأكلا ونشاط جنسي وحماية وغيرها يمكن مقابلتها بطرق عديدة مختلفة.

٢- الاختلافات في البيئة الجغرافية.

٣- قدرة الإنسان على ابتكار واختراع طرق جديدة للتفكير ولعمل الأشياء من أجل لآخر وبمعنى آخر أنه حيوان ذو قدرة على حل المشاكل

هذه الأشياء الثلاثة (الاحتياجات البيولوجية - البيئة الجغرافية - قدرة الإنسان على الابتكار) هي ما تستند إليه الثقافة أساسيا في تكوينها. ولما كن الإنسان يحاول دائما إشباع احتياجاته من البيئة التي يعيش فيها ولما كان ذو قدرة على التفكير والابتكار فإنه كثيرا ما يتوصل إلى طرق جديدة ومختلفة لتحقيق ذلك يختار منها ما يشاء. تلك الطرق سوف لا تختلف فقط حسب قدرته على الابتكار بل وأيضا حسب ما تسمح به البيئة الجغرافية التي يعيش فيها من فرص وإمكانيات

على أن كوبر واضح أنه أحياناً لتفسر الاختلافات في بعض نواحي الثقافات في ضوء ما أصبح يسمى بنظرته الصدفة التاريخية (Historical, Accident) وهي نظرية تدور حول احتمال إتياع جماعة من الناس لنمط معين من السلوك لمجرد الصدفة بينما تتبع جماعة أخرى نمطاً مغايراً لمجرد الصدفة أيضاً. هذا التفسير قد لا يكون مقبولاً إلا حالياً إلا أنه قابل للدراسة والنقد وتاريخ العلم ملئ بالكثير من الأشياء التي كانت تعتبر في وقت معين مجرد نتيجة الصدفة غير أنه بعد ذلك أمكن بالدراسة والبحث التوصل إلى مسبباتها والتنبؤ بحدوثها وعموماً فإن من رآه أنه في نطاق لتحديدات التي تملئها البيئة الجغرافية يؤدي نشاط الإنسان ومحاولاته في حل المشاكل إلى اختيار بعض أنواع السلوك التي يقابل بها احتياجاته البيولوجية ولنفسية.

هذا السلوك قد يسود بين الجماعة وبذلك يصبح ثقافياً قائماً ويتوقف اختراع لسلوك وقبوله على التفاعل بين مجموعة العوامل التي معظمها في حد ذاتها عوامل ثقافية وتناجها صعب التنبؤ بها وعموماً يرى أنه من الصعب تفسير الاختلافات بين الثقافات تفسيراً يستند إلى حقائق علمية ويعتقد أن الاختلافات في البيئة الجغرافية والاختلافات العنصرية والصدفة التاريخية لأنها تعني أن الإنسان ملبى أى ليس له قدرة على إحداث تأثير مقصود في ثقافته.

على أن جون بيزانز يعطى تفسيراً آخر للاختلافات بين الثقافات حيث يرى أن أسبابها ترجع إلى كون الإنسان كان حي من لديه القدرة على التطبع والتأقلم للظروف المختلفة ففي استطاعته أن يشبع احتياجاته البيولوجية والاجتماعية بطرق عديدة. جهازه الهضمي يمكنه أن يتقبل أنواع مختلفة جداً من الطعام، واحتياجاته من الكساء يمكنه مقابلتها من الأعشاب أو من الخيوط النباتية أو الحيوانية أو الصناعية أو من الجلود أو بطرق عديدة أخرى ومساكنه لا تتفق مع ما يفكر فيه أو يتصوره البعض من أنها تتكون من حجرات من أربعة جدران وسقف بل تتفاوت من كهوف

وقباب إلى فيلات وعمارات سكنية وناطحات سحاب، ويقم أنظمة اجتماعية مختلفة لغرض الحماية والأمن وإنجاب الأطفال. وما يتوصل إليه من حلول لأى مشكلة قد يكون نوع من الجمع بين الصدفة والإمكانات التى تمنحها البيئة الطبيعية التى يعيش فيها وبمرور الزمن يبدو الإجراء وكأنه شئ طبيعى.

وفى رأيه أن الإنسان عندما يفرغ من حل مشاكله الأساسية أى من مقابلة احتياجاته الضرورية يجد أن لديه وفرة من الوقت والطاقة الخلاقة فيختار من الإمكانات المتاحة بعض نواحي الثقافة التى تستهويه ويعمل على تنشيطها ودفعها والنهوض بها على حساب النواحي الأخرى. فقد يهتم مثلاً بالعلم والتكنولوجيا كما فى بعض الثقافات أو بالاحتفالات الدينية أو بالفنون كما يحدث فى ثقافات أخرى. وبمجرد اختياره لناحية معينة واهتمامه بها فإن هذه الناحية تنمو وتتطور وبذلك تظهر الاختلافات بين الثقافات وتتراكم الواحد بعد الأخرى.

على أنه يرى أن الاختلافات بين الثقافات وإن كانت مادة ممتعة وجذابة بالنسبة للأنثروبولوجيين ولكن فى الأمد الطويل ما يهم أن يتعرف عليه أكثر هو التشابهات الأساسية للسلوك الإنسانى حول العالم فكما يقول Ralph Linton كون المجتمعات كلها يوجد بها نوع من التنظيم السرى حقيقة تعتبر أكثر أهمية من كون المرأة من الطبقات الدنيا فى قبائل التبت تتزوج بأكثر من رجل.

وأخيراً يجدر الإشارة إلى أنه سواء تشابهت الثقافات أو اختلفت فى نواحي قليلة أو كثيرة فإن الثقافات فى أى مجتمع تبدو فى نظر أفرادها صحيحة ومقبولة ومنطقية مهما بدت غير ذلك فى نظر الناس فى مجتمعات أخرى. أنها ترتبط بقيمهم وعقائدهم وتؤدى وظائف هامة فى نظرهم. فى بعض المجتمعات قد يقاومون الأمراض بالسحر والتعاويذ والرقصات والطبول وفى البعض بالوصفات البلدية وفى البعض بالأدوية والعقاقير الطبية ومع ذلك فى كل ثقافة - وفقاً للقيم والعقائد السائدة - يبدو ذلك إجراءً صحيحاً ومنطقياً فى نظر أفرادها.

وقد يتساءل البعض هل كل ما يحدث في أى ثقافة يعتبر حقاً صحيحاً ومنطقياً؟ الحقيقة ليست كذلك ففي بعض النواحي لا يكون السلوك صحيحاً ولا منطقياً ومع ذلك يتبع لأن لقيم المرتبطة بالسلوك قد تكون مبرراً قوياً للحفز على أدائه حتى ولو كان في ذلك بعض المخاطرة أو الأضرار. وعموماً فإن كل ثقافة كما أوضحنا تبدو في جملتها صحيحة ومنطقية في نظر أفرادها. وليس هذا معناه استحالة أحداث تغيرات في بعض نواحي الثقافة التي تبدو غير منطقية أو غير صحيحة وإنما يعنى أن أحداث مثل هذا التغير يتطلب أولاً إحداث تغييرات في القيم والعقائد التي تساند هذه النواحي.

التغير الثقافى

لم يقف اهتمام العلماء الاجتماعيين بدراسة الثقافات عند حد محاولات التعرف على نشأتها ومكوناتها وخواصها ووظائفها بل تعداها إلى محاولات الوقوف على تطورها ونموها والتغيرات التى طرأت عليها فى الأزمنة المختلفة. ولم يكن العلماء فقط هم المهتمون بدراسة الثقافات وما طرأ عليها من تغيرات بل أهتم بذلك أيضا فى فترات معينة بعض الفلاسفة ورجال الدين خاصة المبشرين منهم. لقد أمكن بفضل هؤلاء جميعاً التوصل إلى قدر كبير من المعارف عن الإنسان والثقافة فى فترة ما قبل التاريخ. بعض هذه المعارف خاصة المتعلقة بالأزمنة القريبة يعتد بصحتها أما المعارف عن الفترات البعيدة خاصة الشطر المتعلق منها بالمعنويات الثقافية - بعضها على الأقل ليس مؤكداً.

على أنه لا تزال هناك رغم كل ذلك فترات من تاريخ حياة الإنسان وثقافته يكتنفها الغموض ولا يتوافر عنها أى بيانات يعتد بها. وليس الهدف فى هذا المجال تقييم المعارف المتجمعة ولا بيان مدى الاعتداد بصحتها وإنما الهدف بيان بعض عمليات التغير الثقافى أسبابها ومصادرها والعوامل التى تؤثر فيها. والثقافة كما سبق أن أوضحنا تتكون من عناصر، هذه العناصر ليست ثابتة وإنما متغيرة والتغير الثقافى لا يخضع لعملية التطور البيولوجى التى تحدث تباعاً لمجموعة من الأسس الخاصة بالتحسين والاختيار وإنما يتم وفقاً لرغبات واحتياجات وشعور الناس وتبعاً لمجموعة كبيرة من لعوامل والظروف التى قد تطرأ على حياتهم ومن ثم فمن الصعب أن ينظر إلى التغير الثقافى على أنه انتقال من مرحلة من مراحل التطور إلى مرحلة أخرى وأنه بالضرورة نحو الأحسن أو الأفضل

وقياس التغيرات لتقافية ليس أمرا سهلا ولو أنه إلى حد ما يمكن التعرف على مدى التغيرات التي تطرأ على الأشياء المادية الثقافية إلا أنه يصعب تحقيق ذلك بالنسبة للنواحي المعنوية التغيرات في الدين والأخلاق والفس والتتظيم الاجتماعي وما شابهها. بعض المعنويات الثقافية أندثرت وضاعت مع الناس الذين وجدوا في فترة معينة من الزمن ولم يعد من الممكن الوقوف عليها إلا عن طريق الاستنتاج من بعض المخلفات الثقافية المادية. مثل هذه الاستنتاجات قد تتعدى حدود الصواب وتؤدي إلى الانزلاق في سلسلة من الأخطاء.

ولو أن العلماء الاجتماعيين يتحرون الوقوف على التغيرات الثقافية وأسبابها ومصادرها والعوامل المؤثرة عليها إلا أنهم لا يميلون إلى الحكم على قيمة أى نوع من التغيرات الثقافية، أنهم يتجنبون عادة بيان ما إذا كان تغير ما يعتبر تقدماً أو ارتداد يستثنى من ذلك عادة لتغيرات الثقافية المقصودة أى المخطط لها مسبقاً والتي تستلزم في النهاية الحكم عليها في ضوء الخطط المرسومة وأهداف الخطط المرسومة والتي يراد تحقيقها تعكس قيم المجتمع وأفكاره واتجاهاته وتلك قد تختلف من مجتمع لآخر.

ولن نتعرض في هذا المجال للتغير الثقافي في مجتمع معين بالذات إذ يتركز أساسياً في التعرف على طبيعة التغير الثقافي بصفة عامة وكيف يحدث ومصادره وأسبابه والعوامل المؤثرة على اقتباس أو رفض العاصر الثقافية الأجنبية واندماج العناصر الثقافية الجديدة في الثقافة القائمة والتخلف الثقافي، وأخيراً التكامل الثقافي. وسوف نتعرض عند تناول هذه الموضوعات إلى أيضاً بعض العمليات الثقافية التي تتم من خلالها عملية التغير الثقافي.

مصادر التغير الثقافي:

التغير الثقافي قد ينشأ من داخل المجتمع نتيجة اختراعات أو اكتشافات جديدة أو يتأتى من خارج المجتمع بسبب انتشار عناصر ثقافية أجنبية إلى ثقافة المجتمع. وكلا النوعين من مصادر التغير الثقافي مهمين خصوصاً في العصر الحديث وفيما يلي نبذة مختصرة عن كل مصدر من هذه المصادر:

١ - الاختراعات والاكتشافات:

كثيراً ما يتوصل بعض أفراد المجتمع إلى بعض المعنويات أو الماديات الثقافية الجديدة عن طريق الاختراعات والاكتشافات. والاختراع هو التوصل إلى شئ معنوى أو مادي جديد عن طريق مزج وخلط عناصر ثقافية كانت موجودة قبلاً بما يؤدي إلى ظهورها في شكل جديد يخدم غرضاً معيناً. مثل اختراع الآلات البخارية أو آلات الاحتراق الداخلي أو الراديو أو التليفون أو التليفزيون أو استخلاص القوة الذرية أو غير ذلك. أما الاكتشافات فهي التعرف على أشياء معنوية أو مادية لم تكن معروفة من قبل كإكتشاف القارة الأمريكية أو أستراليا أو الطريق البحري حول رأس الرجاء الصالح أو إكتشاف جزيرة في المحيط أو منجم فحم أو حديد أو حقل بترول إلى غير ذلك والاكتشافات تتضمن وجود الشئ المكتشف قبل أن يصبح معروفاً. ولعل من الظواهر التي تستدعي الانتباه أن الاختراعات والاكتشافات تحدث بكثرة في وقت معين وتقل في وقت آخر، كما وتحدث بكثرة في مجتمع وتقل في مجتمع آخر. وأوضح كل من ساندرلاند وزملائه بعض العوامل التي يعتقدون أن لها صلة بهذا الشأن والتي منها:

١ - الأساس الثقافي:

ويقصد بذلك مكونات وخصائص الثقافة القائمة في وقت معين فإذا كانت الثقافة غنية بعناصرها ومركبتها وأنماطها الثقافية فإن ذلك يساعد على الاختراعات

والاكتشافات فالاختراعات كما سبق القول ما هي إلا تعديل أو تحويل أو مزج أو تنظيم جديد لمكونات الثقافة الموجودة فعلاً بما يؤدي إلى خلق شئ جديد فإذا كانت الثقافة فقيرة في مكوناتها رديئة في خواصها فإن ذلك لن يؤدي إلى التوصل إلى اختراعات تذكر. وكل اختراع آخر فالتطعيم ضد الجدري قاد إلى التطعيم ضد أمراض أخرى مثل شلل الأطفال. والاختراعات العديدة جداً قادت وأدت إلى اختراع القوى النووية وتسخيرها في السلم والحرب. كل ذلك مبني على المكونات الثقافية المعروفة أصلاً.

وكما يحدد ويؤثر الأساس الثقافي على الاختراعات ونوعها وعددها فإنه يؤثر أيضاً على الاكتشافات ذلك لأن المكتشفين عادة ما يستغلوا ويستفيدوا مما يوجد في ثقافتهم من معارف وعلوم وفنون وأساليب تكنولوجية. كيف يمكن اكتشاف البترول أو أي نوع من المعادن في باطن الأرض دون معارف سابقة عن ذلك؟ هل كان من الممكن اكتشاف القارات الحديثة دون تقدم الملاحة واختراع ليوصلة وغيرها من الأجهزة وتوفر الكثير من الخبرات والمعارف الأخرى.

حقيقة الأمر أن الإنسان يسعى دائماً إلى تكيف نفسه للظروف المحيطة به كما أنه لا يرضى عادة عادة بمجرد إحداث التغير من التكيف الذي يكفل له مجرد البقاء وإنما يسعى دائماً إلى زيادة أمانه ورفاهيته وسعادته ومن ثم يلجأ دائماً إلى التفكير في اختراع أو اكتشاف أشياء جديدة تساعد على تحقيق ذلك، فإلى جانب اختراع أو اكتشاف آلاف الأشياء المادية التي تتضمنها ثقافته فإنه اختراع أشياء معنوية كثيرة كالعلوم والفنون والآداب وغيرها. كل هذه الأشياء المادية والمعنوية الجديدة لها أساس ثقافي وإلا لما كان من الممكن التوصل إليها.

٢ - الاتجاهات نحو الاختراعات:

يعتقد ساذرلاند أن مقدار ما يعطيه أفراد المجتمع للأشياء التقليدية ومقدر ما يعطونه للاختراعات لها تأثير على الاختراعات وسرعتها وربما يعزى ذلك إلى أن بعض المجتمعات تعطي قيمة عالية لأنماط السلوك التقليدي وللأشياء الثقافية المادية المتعارف عليها وتستعزى وتقلل من قيمة الأشياء الجديدة معنوية كانت أو مادية. وكثيراً جداً ما لقي بعض المخترعين نقداً شديداً واستهزاءً بمخترعاتهم والسبب في ذلك أن كل جديد غريب وأن الإنسان يكون عادة قد كيف نفسه على تقبل الأشياء القديمة لقد أوضح ساذرلاند أن Bernhard, J. Stern يفسر كالاختراعات التكنولوجية - على أن ذلك مرجعه أن الاختراع يطيح بحالة التوازن الذى أقامها الشخص فى ظل الأوضاع القديمة ويتطلب الأمر فى ظل الاختراع ليس فقط إجراء حالة تكيف سريعة فحسب بل إعادة تنظيم شخصيته لمقابلة الموقف الجديد.

وحتى لو حاول الشخص الاحتفاظ بتوازنه فإن هذه المحاولة تكون على الأقل مصحوبة بحالة مؤقتة من عدم التأكد، فقرارات جديدة يحتاج الأمر إلى اتخاذها، ومزيداً من المجهودات لابد من بذلها كما ولابد أن يمر الفرد ببعض آلام ومتاعب إعادة التكيف وتصبح الحياة بالنسبة له أكثر تعقيداً حيث أصبحت أقل روتينية بل وتبدو محفوظة بالمخاطر. لذا فإنه لا يبدو غريباً أن الاختراع أياً كانت طبيعته يثير المشاعر الخاصة التى توحى بعدم لياقته والاتجاهات المضادة المستهزئة نحوه، أو أن يتجاهله الشخص عمداً حتى لا يسمح له بأن يدخل ضمن خبرته. إذا لم يكن هناك دوافع قوية تثير مجهودات واعية محو إحداث تغيير فإن مبررات قد تستخدم كتبريراً لاتباع السلوك القائم ومعارضة الجديد.

والمجتمع كثيراً ما يكون لديه استعداد لتقبل الاختراعات فى ميادين دون ميادين أخرى. حالياً تشجع الاختراعات والاكتشافات فى ميادين دون ميادين أخرى. حالياً تشجع الاختراعات والاكتشافات فى ميادين كثيرة وبالأخص فى الميادين

التكنولوجية بينما لا تزال الاختراعات الاجتماعية تقابل بنوع من التردد أو النقد أو المعارضة حقيقة أنه حدث بعض الاختراعات الاجتماعية مثل اختراع الحد الأدنى للأجور والحد الأعلى لساعات العمل والمساومة الجماعية والضمان الاجتماعي، والتأمينات الصحية والجمعيات التعاونية والكثير من القوانين الاجتماعية إلى غير ذلك إلا أن معظم هذه الاختراعات جاءت نتيجة محاولة التكيف لظروف المجتمع المتغيرة والتي فرضتها الاختراعات التكنولوجية وإن كانت الأخيرة ليست بالضرورة سبباً في الاختراعات الاجتماعية. ومما لا شك فيه أن هناك أفراد كثيرون في المجتمع لديهم أفكار اجتماعية قيمة لم ترى النور بعد.

ومما يؤكد أن الأساس الثقافي عامل هام في قيام الاختراعات سواء من حيث نوعها أو عددها ما يوضحه بيزانز من أنه من الخطأ التفكير في الاختراعات والاكتشافات من ناحية الشخصيات الكبيرة الفذة الموهوبة ذات الدرجة العالية من الذكاء والذي أضافت شيئاً جديداً إلى الثقافة ذلك لأن أى اختراع إنما يستند أساساً إلى المعارف الموجودة قبلاً. ويستدل على ذلك بأن هناك تغيرات ضئيلة جداً - إذا وجدت - طرأت على حجم ودرجة تعقيد العقل البشرى خلال العشرة آلاف سنة الماضية ومع ذلك فإن الاختراعات حدثت باستمرار وبمعدلات سريعة مؤخراً.

حقيقة أن كل اختراع يحتاج أن كل اختراع يحتاج إلى شخص لديه القدرة على الخلق والتوصل لحلول جديدة للمشاكل لكن هؤلاء الأشخاص موجودين في كل المجتمعات وفي كل الأجناس ومهما كان الفرد ذكياً لا يمكنه أن يخترع شيئاً إلا استناداً إلى المعارف الموجودة لديه والتي تتطوى عليها ثقافته وعلى سبيل المثال مهما كان توماس أدسون Thomas Edison رجلاً فذاً وذكياً فإنه ما كان يستطيع أن يخترع الضوء الكهربائي ولا الفونوجراف لو أنه ولد منذ ٥٠٠ عام قبل مولده لأن الأعمال التي أرسى أسس هذه الاختراعات لم تكن قد عرفت بعد كما أنه لم يكن ليتمكن ليوناردو دا فينشي leonards da Vinci بكل إعجابه بفكرة الطيران أن يخترع الطائرة لأن

المكينات التى تدار بالجازولين لم تكن غير موجودة بعد، كما لم يكن فى استطاعته Isaac Newton أن يتوصل إلى قانون الجاذبية إلا بفضل أعمال من سبقوه من المفكرين.

والاختراعات لا تنتظر بالضرورة أشخاصاً موهوبين أو أذكىاء بل أنه لو وجدت الظروف المواتية أى المرحلة من مراحل التطور الثقافى المناسبة فإن أحداً من الناس - ليس بالضرورة على درجة عالية من الذكاء - يمكن أن يتوصل إلى اختراع معين. وليس أدل على ذلك ما أو أوضحه وليم أوجبرن William Ogburn من أن ١٤٨ اختراعاً حدثت فى أوقات متتابعة بون أن يكون المخترعون على صلة بعضهم ببعض. وما ذلك إلا لتشابه لظروف الثقافية ويقول بيزانز أن المثل القائل أن الحاجة أم الاختراع يمكن أن يكون صحيحاً لو أدخل عليه تعديل ليصبح الثقافة أم الاختراع. ونفس الشئ يمكن أن يقال بالنسبة للاكتشافات فلو لم يكن كولومبس اكتشف القارة الأمريكية لكان شخص آخر غيره فعل ذلك لأن الوقت والظروف كانت ملائمة فقد توصل فى وقته إلى اختراع البوصلة وإلى أساليب محسنة للملاحة بحيث مكن ذلك من قطع مسافات طويلة كما وأن لمنافسة الاقتصادية بين الدول جعلت من الضرورى التفكير فى اكتشاف أسواق جديدة.

وفى رأى جون كوبرن قليل جداً من المخترعين من توصلوا إلى أشياء جديدة تماماً، معظم المخترعين استفادوا مما هو موجود فى ثقافتهم من أشياء متجمعة منذ مدة طويلة سواء أكانت مادية أو معنوية وعلى ذلك فإنه يعتقد أن فى الإمكان عمل توقعات بالنسبة لحدوث بعض الاختراعات. وهو لا يرى أن فى تأكيد اعتماد المخترعين على مكونات ثقافتهم فى التوصل إلى مخترعاتهم ما يقلل من قدرتهم ولكن القصد من هذا التأكيد الابتعاد عن الاعتقاد الخاطئ بأن بعض الأفراد يوجهون ويتحكمون فى طريق الحياة الإنسانية - ذلك أنه لو لم يكن أديسون اخترع التليفون والفتوجراف فإن غيره كان سوف يتوصل إلى هذا الاختراع عندما تتوافر

لديه المعارف التى توفرت فى وقت أديسون وبمعنى آخر فإن المخترعون ناتج من نواتج الثقافة كما أنهم فى نفس الوقت من خلقى وصانعى الثقافة.

أما ظاهرة حدوث اختراعات كثيرة فى ثقافة عنه فى ثقافة أخرى فترجع إلى مكونات وخواص كل ثقافة فكلما زادت عناصر الثقافة كلما أصبح من الأكثر احتمالاً التوصيل إلى عدد أكبر من الاختراعات. وهذا بدوره يزيد من العناصر الثقافية وهكذا، ولعل من المعروف أن من خصائص الثقافة أن عناصرها تتراكم وتتجمع ومن ثم فإنه بزيادة هذه العناصر بمرور الوقت يصبح من الممكن عمل عدد أكبر من توافق والتبادل من هذه العناصر وهذا سبب كثرة الاختراعات فى المجتمعات ذات الثقافات المعقدة عنها فى المجتمعات ذات الثقافات البسيطة. ومع أن الاختراعات والاكتشافات ضرورية لنمو الثقافة إلا أن جزءاً من التغير لثقافى والنمو الثقافى يتأتى عن طريق الانتشار.

٢- الانتشار:

عندما تنتقل عناصر ثقافية من ثقافة معينة إلى ثقافة أخرى فإنه يقال أن عملية انتشار (Diffusion) ثقافى قد تمت - والثقافات المتقدمة والمعقدة الموجودة حالياً حول العالم وصلت إلى هذه الدرجة من التقدم والتعقيد أساسياً عن طريق الانتشار الثقافى أى اقتباس الكثير من العناصر الثقافية الأجنبية ذلك لأن لأى إضافة قد يضيفها أى جيل من الأجيال إلى ثقافته عن طريق الاختراعات والاكتشافات تعتبر بسيطة للغاية بمقارنتها بمقدار ما قد يقتبسه من ثقافات أخرى خاصة إذا كان المجتمع من المجتمعات ذات الصلات والعلاقات الاجتماعية الواسعة النطاق مع غيره من المجتمعات الأخرى. ولو أن الانتشار عادة ما يحدث من الثقافة المعقدة فكم من ثقافات معقدة أكتسبت بعض عناصر ثقافات بسيطة وعموماً حينما يوجد تقابل بين أفراد ثقافات مختلفة فإنه يحدث عادة نوع من التبادل الثقافى.

ولقد أثارت ظاهرة وجود عناصر ثقافية متشابهة في مجتمعين بعيدين عن بعضهما كثيراً من التساؤلات. هل هذا التشابه نتيجة الانتشار الثقافي أم نتيجة التشابه في الاختراعات أم كلاهما الانتشار الثقافي قد يكون فعلاً سبباً في هذا التشابه إذا ما كانت العناصر الثقافية المتشابهة قد انتقلت بالفعل من مجتمع لآخر، أما الاختراعات وأن كان من الممكن أيضاً أن تنقل بالانتشار من مجتمع لآخر إلا أن تشابهها قد لا يكون بالضرورة مرجعة لعملية الانتشار ذلك لأنه من الممكن كما سبق القول أن يتوصل فردين في مجتمعين بعيدين إلى اختراع معين دون أى اتصال بينهم إذا ما توافرت لظروف والمقومات الثقافية المتشابهة.

أسباب التغير الثقافي:

التغيرات الثقافية قد تنشأ عن قصد أو بدون قصد. فأما التغيرات لثقافية المقصودة فهي تلك التغيرات التي يخطط لحدوثها والتي تستهدف إحلال بعض العناصر أو المركبات أو الأنماط الثقافية محل أخرى، ومن أمثلة هذا النوع من التغيرات تلك التي حدثت في تركيا في عهد كمال أتاتورك حيث عمل عن قصد على اقتباس الكثير من العناصر الثقافية الأجنبية في محاولة لجعل تركيا دولة أوربية عصرية. ومن أمثلتها تلك التغيرات التي تجربها بعض المجتمعات لمختلفة على أنظمتها الثقافية عن طريق اقتباس العلوم والفنون والتكنولوجيا المتقدم من المجتمعات العصرية المتقدمة ومن أمثلتها أيضاً تلك التغيرات الثقافية التي تحاول بعض الدول المستعمرة فرضها على مستعمراتها وفي مقدمة ذلك التغيرات المتعلقة باللغة وأنظمة الحكم والأنظمة الاقتصادية والسياسية وغيرها.

ومن أمثلتها أيضاً تلك التغيرات التي تسعى الدول لمقدمة لأحداثها من أن لآخر وفقاً للخطط والسياسات التي ترسمها لغرض لنهوض بمختلف نواحي الحياة بها. على أنه كثيراً ما تحدث التغيرات الثقافية بطريقة غير مقصودة أو متعمدة كما

يحدث فى حالة انتشار واقتباس عناصر ثقافية من ثقافة لأخرى عن طريق السياح أو الزائرين الأجانب أو عن طريق وسائل الإعلام المختلفة كالسينما والتلفزيون والراديو وغيرها. وكثيراً ما تكون التغيرات الثقافية غير المقصودة ذات أثر بالغ خصوصاً فى العصر الحديث حيث قربت وسائل الاتصال العصرية كثيراً بين المجتمعات وجعلت فى الإمكان أن تتم الاتصالات بدرجة كبيرة من السرعة والفعالية.

ونظراً لكثرة التغيرات الثقافية وتعقدها فإنه أحياناً ما يصعب التعرف على لسبب الأصلى لكل تغير ثقافى. فقد يودى تغير ثقافى معين إلى إحداث تغير ثقافى آخر وهذا الأخير يودى بدوره إلى إحداث تغير ثالث وهكذا تبدو العملية وكأنها سلسلة من التغيرات التى يصعب أحياناً التعرف على بدايتها ونهايتها. وعلى سبيل المثال قد يودى إستيراد الآلات الزراعية الميكانيكية واستخدامها فى الزراعة إلى إحداث بطالة زراعية وتلك قد تؤدى إلى هجرة بعض العمال الزراعيين العاطلين إلى المدن سعياً وراء الاشتغال بالصناعة أو غيرها من الأعمال والهجرة قد تؤدى بدورها إلى مشاكل اقتصادية وسكنية بالمناطق الحضرية الأمر الذى قد يودى إلى انحراف بعض الأفراد وارتكابهم لبعض الجرائم وهكذا نجد أن تغير ثقافى معين استتبعه أخرى عديدة وفى النهاية يصعب التمييز بين لسبب والأثر أن كل تغير فى ناحية من نواحي الثقافة يظهر صداه فى النواحي الأخرى ذات الصلة بها والتى لا بد لها من أن تتكيف مع هذا التغير الذى طرأ.

العوامل التى تؤثر على اقتباس أو رفض العناصر الثقافية الجديدة:

المجتمعات كالأفراد أحياناً تتقبل أولاً تتقبل العناصر الثقافية التى تأتى إليها من الخارج والعناصر الثقافية عادة ما تتقبل من ثقافة لأخرى عن طريق الأفراد وينظر إليها فى البداية على أنها أشياء غريبة أو عجيبة غير أنه بعد فترة من الزمن

إذا ما اقتبسها أفراد آخرون من الناس تصبح وكأنها عناصر ثقافية بديلة يجرى تجربتها ومقارنتها بالعناصر الثقافية الأصلية وكثيراً ما يتم ذلك بطريقة غير مقصودة حتى إذا ما ثبت بعد فترة أن العنصر الثقافي البديل مرضى ومقبول يصبح جزءاً من مكونات الثقافة. وخلال هذه المراحل تتم ما يسمى بعملية التثقيف Acculturation أى تكيف العناصر الثقافية الجيدة المقتبسة مع الأنماط الثقافية وهى عملية معقدة وليست مجرد قبول أو رفض فكرة أو شئ ثقافى معين أنها تتضمن عادة بافترض قبول العنصر الثقافى الأجنبى - تحويل وتطوير ولو جزئى فى الشئ المقتبس حتى يتمشى ويتلائم مع العناصر الثقافية الأصلية.

وتتفاوت العناصر الثقافية الجديدة من حيث سهولة أو صعوبة اندماجها فى الثقافة الأصلية فبعض العناصر تلقى قبولا وعدم معارضة خاصة تلك التى لا تتعارض مع التقاليد والعرف والقيم والعقائد السائدة. والبعض الآخر لا تقبل بسهولة خاصة إذا كانت تحدث نوعاً من الانزعاج للتقاليد والعادات والقيم السائدة. وكما أن العنصر الثقافى الجديد يأخذ وقتاً حتى يصبح جزءاً من مكونات الثقافة فإن العنصر الثقافى القديم أو الأصلى لا يتوارى فجأة لمجرد ظهور عنصر ثقافى جديد بديلاً عنه بل يأخذ ذلك أيضاً بعض الوقت خلاله يستمر العنصر الثقافى القديم كعنصر بديل ولكن يأخذ فى الانقراض تدريجياً حتى يصبح بعد فترة شئ فردى غريب أو عجيب ثم يسقط فى النهاية من مكونات الثقافة نهائياً. والوقت الذى ينتضى حتى يختفى العنصر الثقافى نهائياً من الثقافة يتوقف على مدى تمسك الناس وارتباطهم به عاطفياً وعلى مدى وجود عنصر بديل أحسن منه يحقق الغرض أو يقابل الرغبة أو الاحتياج وغير ذلك من العوامل.

ولعل من السهل أن نتذكر بعض التقاليد والعادات التى كانت فى يوم ما يتمسك الناس بها بشدة ولم يصبحوا بعدد يتمسكون بها كلية أو يتمسكون بها إلى حد ما فقط كما يمكن بسهولة أيضاً أن نلاحظ بعض الأشياء الثقافية التى أخذت أو أخذت

فى الانقراض على سبيل المثال الحلقان الذهبية التى كانت النساء يترين بها بوضعها فى أنوفهن والخلاخيل التى كن يلبسها فى أرجلهن وكذلك الطرليش التى كان الرجال يرتدونها كغطاء للرأس كل هذه وغيرها من الأشياء الثقافية المادية أخذة فى الانقراض تدريجياً. على أن بعضاً من العناصر الثقافية يعتمد الناس أن يحافظوا عليها رغم أنها تبدو أشياء فريدة فى نوعها من أمثلة ذلك تمسك بعض الأفراد باستخدام سيارات من موديلات قديمة، أن قيمة هذه الأشياء فى نظرهم ترجع إلى أنها أشياء كلاسيكية فريدة فى نوعها.

على أن عملية اقتباس عناصر ثقافية جديدة ليست أمر سهل ذلك لأن الناس فى كل مجتمع ترتبط بثقافتها عن طريق التقاليد والعادات والعواطف، أنهم قد تكيفوا لعناصر ثقافتهم وبذا أصبحوا يفضلونها عن أى شئ جديد ولكن رغم ذلك فإن الثقافة تتغير بل وأحياناً تتغير بسرعة عن طريق إضافة عناصر ثقافية جديدة غير أن العناصر لثقافية الجديدة لا تضاف دون تمييز أو اختيار أو تفضيل أو انتقاء بل بالعكس تحدث عملية انتقاء واختيار وتجميع للعناصر الثقافية وفى أثناء هذه العملية تترك جانباً بعض العناصر الثقافية لتندثر بمرور الوقت، وبعض العناصر الثقافية الجديدة يرفض قبولها والبعض الآخر تختار وتلك الأخيرة هى التى تمثل إضافات جديدة إلى مكونات الثقافة. ولقد أوضح بيزانز أن العلماء الاجتماعيون توصلوا إلى بعض القواعد العامة ذات الصلة بالتغير الثقافى وباقتباس أو رفض لعناصر الثقافية الجديدة، من هذه القواعد:

١- أن بعض نواحي الثقافة أكثر قابلية للتغير استعداداً لاستضافة عناصر ثقافية جديدة عن نواحي أخرى. فمن الملاحظ أن الاكتشافات العلمية الجديدة فى ميدان الطب ووسائل العمل وزيادة الإنتاج وغيرها تلقى قبولاً عن الاختراعات الاجتماعية فالناس تعارض عادة أى تغيير فى عقائدهم ومؤسساتهم حتى لمجرد جعلها تساهل تقدمهم التكنولوجى. وكلما قوى الارتباط العاطفى بين الناس وبين أى ناحية من نواحي ثقافتهم كلما زادت الصعوبة فى إحداث أى تغيير على هذه

الناحية. فمن الصعوبة مثلاً إدخال أى جديد على النظام الدينى والأسرى لما يتضمنه كل من هذين النظامين من عواطف وتقاليد وعادات وعرف. على أن الارتباط العاطفى القوى لا يقلل من سرعة التغيرات الاجتماعية وإنما يقلل من سرعة التغيرات التكنولوجية.

٢- تميل الثقافة فى كل الأوقات إلى أن تكون منظمة ومتناسقة هذا التنظيم ولتناسق يكون عادة عرضة للاختلال فيما لو أدخل على الثقافة عناصر ثقافية جديدة، ومن ثم فإن إدخال هذه العناصر الجديدة تلقى عادة معارضة، لكن الثقافة رغم ذلك تتقبل بعض العناصر الجديدة التى تتناسب مع تنظيم عناصرها وترفض بشدة ما يتعارض معها خاصة إذا كانت العناصر الثقافية الجديدة تتعارض مع القيم الأساسية السائدة بالثقافة. ولقد لوحظ أن الثقافة فى محاولتها للحفاظ على انتظامها وتناسقها - أحياناً ما ترفض بعض الأفكار والآراء الجديدة حتى ولو كنت ذات قيمة عالية عندما تظهر لأول مرة والتاريخ العلمى ملئ بالكثير من الأمثلة التى توضح ذلك ففى البداية لم تقبل بسهولة آراء العلماء Pasteur عن الجراثيم والآراء Harvey عن الدورة الدموية ولا آراء Galileo عن دوران الأرض من حول الشمس بل لقد أتهم الأخير بالزندقة واستهزاء بآرائه إلى حد أنه تخلى عن اعتقاده المتعلق بهذا الكشف الجديد.

على أن العناصر الثقافية الجديدة عادة ما تقبل دون معارضة بل وأحياناً بسهولة إذ كانت تقابل احتياج أو احتياجات ضرورية معينة وإذا كانت قادرة على البقاء والانسجام دون تعارض مع العناصر الثقافية القائمة. وعموماً فإنه يلاحظ أن جيل من الأجيال قد يقاوم بعض نوعاً معيناً من التغيرات الثقافية التى تتضمن تبلى واقتباس عناصر ثقافية جديدة غير أن هذه العناصر لا تثبت أن تصبح بعد فترة أشياء عادية فى نظر الجيل الذى يليه.

٣- مقاومة التغيير الثقافي تحدث بدرجة أكبر من جانب الأفراد كبار السن في المجتمع ذلك لأن هؤلاء الأفراد أصبحوا على مدى فترة طويلة من الزمن يتمسكون بتقاليد وعادات وتربطهم عواطف بالكثير من عناصر ثقافتهم، هذا فضلاً عن أنه بحكم تقدمهم في العمر يصبح في غير استطاعتهم أو مقدرتهم أن يكتسبوا أو يتبنوا بسهولة عناصر ثقافية جديدة وذلك بمقارنتهم بالصغار والشباب من أفراد المجتمع، فهؤلاء الآخرين لا تربطهم بعد تقاليد وعادات ولا عواطف قوية بالعناصر الثقافية في ثقافتهم إذ أن الكثير من هذه العناصر تعتبر جديدة بالنسبة إليهم ومعظمهما يمكنهم اقتباسها بسهولة ويسر عن طريق عملية التثنية الاجتماعية والتعليم والتدريب، وليس أدل على وضوح الفروق بين الأجيال من حيث مدى تقبل الأشياء الثقافية الجديدة من أن الكثيرين من الأفراد من كبار السن لا يزالون يترددون في السفر بالطائرات في عصر الصواريخ سفن الفضاء بينما لا يبدو أن هناك ثمة تردد يذكر يراود الشباب حالياً في استخدام الطائرات كوسيلة من وسائل الانتقال.

على أن هناك طوائف أخرى من الناس في المجتمع غير كبار السن قد تقاوم بعض أنواع من التغييرات الثقافية إذا ما كانت هذه التغييرات من شأنها أن تضر بمصالحها الاقتصادية أو الاجتماعية فقد يعارض الرأسماليون الإقطاعيون في مجتمع معين تطبيق الأنظمة الاشتراكية لما قد يؤديه ذلك من ضياع بعض نفوذهم أو مصالحهم أو ما يتمتعون به من امتيازات، لقد عارض أصحاب المصالح في النقل البحري في الولايات المتحدة، كما عارض أصحاب المصالح في النقل البحري في الولايات المتحدة في إنشاء أولى الشبكات الحديدية عبر الولايات، كما عارض أصحاب مصانع النبيذ في فرنسا المشروبات المريكة الخفيفة بحجة أنها تهدد كرامة الثقافة الفرنسية، وهكذا قد يوجد في كل مجتمع من الطوائف ما قد ترى في التغيير بعض المضار التي قد تلحق بها من جرائه فتعمل على مقاومته ومناهضته وفي

سبيل تحقيق أهدافها قد تتذرع بأسباب تبدو ظاهرياً مقبولة فى ظل القيم السائدة والعقائد والتقاليد.

٤- يلاحظ ان الاختراعات واقتباس عناصر ثقافية جديدة تحدث بسهولة فى فترات الأزمات وأوقات الحروب أو حالات عدم التنظيم الاجتماعى عنه فى حالة الاستقرار وفى الحروب يضطر الناس إلى العمل على التوصل إلى وسائل تكنولوجية جديدة سواء فى انتاج الأسلحة والمعدات أو فى انتاج الغذاء والكساء ومقابلة مختلف الاحتياجات كما يتقبلون القيام بأعمال وأداء أدوار لم يسبق لهم أن فكروا فيها ويقل ترددهم فى اتباع الأنماط الجديدة من السلوك التى ترضيها طبيعة الحياة الجديدة، على سبيل المثال خلال الحرب العالمية الثانية وفى أكثر من مجتمع دخلت المرأة ميادين أعمال جديدة لم يسبق لها العمل فعملت بالقوات المسلحة وقيادة سيارات التاكسى كما عملت على الجرارات الزراعية فى الحقول وغيرها من الأعمال التى لم تكن تطرفها من قبل.

ان اشتغال المرأة بهذه الأعمال قد يبدو شيئاً طبيعياً فى الوقت الحاضر غير انه منذ ثلاثين عاماً مضت كان شيئاً جديداً وغريباً وعملاً اضطرارياً فرفضته ظروف الحرب، وفى سبيل تحقيق النصر عادة ما يقبل أفراد المجتمع القيام بأوجه نشاط لم يسبق لهم القيام بها، ويعطى المجتمع أهمية بالغة للاختراعات والاكتشافات وأيضاً الأساليب الجديدة التى من شأنها أن تعطيه تفوقاً على العد وكثيراً ما كان للأزمات الاقتصادية والظروف الاجتماعية السيئة التى تنتاب حياة المجتمع فى أى فترة من الفترات أثراً مشابهاً من حيث تيسير وتشجيع الأقدام على اقتباس عناصر ثقافية جديدة ربما يصعب تبنيها واقتباسها تحت الظروف العادية.

٥- ينتشر شكل العنصر الثقافى بسهولة عادة عن استعماله ومعناه ووظيفته، تبدو هذه الظاهرة بوضوح من محاولة بعض الأفراد التمسك باقتناء بعض الأشياء

الثقافية على الرغم من عدم استعمالهم لها أو معرفتهم لمعناها أو وظيفتها. وربما يرجع ذلك إلى أن اقتنائها يكون مصحوباً بمكانة اجتماعية عالية كأن تكون مثلاً رمزاً للثراء أو الانتماء إلى طبقة اجتماعية عالية، ولو أنه ليس بالضرورة أن يكون التمسك باقتناء الأشياء الثقافية لهذه الأسباب، هذا ومن الملاحظ أن شكل العنصر الثقافي عادة ما يستمر مدة طويلة حتى بعد زوال المعنى الحقيقي الأصلي له.

وعلى سبيل المثال الزراير على أكمام جاكته الرجال يقال أنها كانت فى الأصل توضع لمنع الجنود من مسح أنوفهم فى أكمامهم ورغم انقراض هذه العادة فإن الزراير لا تزال باقية يستعملها الناس دون ما معرفة لمعناها أو وظيفتها، والعروات فى ياقة جاكته الرجال ربما كانت تستخدم فيما مضى للترزين بوضع إحدى الزهور بها ومع انقراض هذه العادة لا تزال توجد العروات بجاكته الرجال رغم عدم وجود أى استعمالات لها، ويطلق عالم المجتمع Edward A. Ross على ظاهرة استمرار أسلوب اجتماعى فى البقاء شكلاً بعد زوال المبررات الأصلية له بظاهرة Assification وهو يعزى ذلك إلى البلادة العقلية إلى حد أن العاطفة تتدخل فى استمرار الشكل رغم عدم وضوح المعنى أو توقف الاستعمال أو الوظيفة وإلى عدم النجاح فى فهم الخواص الديناميكية للمجتمع.

٦- عدم وجود لغة مكتوبة والاختلافات فى اللغة التى يتكلم بها الناس تعتبر من العوائق الشديدة بالنسبة لاقتباس عناصر ثقافية جديدة لثقافة أجنبية. على أنه من الملاحظ أن العناصر الثقافية التى لا تحتاج إلى تفسير أى التى يسهل أدراك معناها أو فائدتها أو استعمالها ووظيفتها دون ما حاجة إلى شرح أى كلام تتخطى العوائق أو الحواجز الثقافية بسهولة نسبياً ومن بين هذه العناصر وبالأخص الكثير من الأشياء الثقافية المادية.

٧- الاتجاهات نحو الثقافة المعطية أو المانحة قد تؤثر كثيراً على مدى الاستعداد لتقبل عنصر ثقافى معين أو رفضه، فالمرأة فى كثير من المجتمعات المتقدمة لديها الاستعداد لتقبل العطور والأزياء والموضات الباريسية، والرجال لديهم الاستعداد لتقبل أزياء البديل الإنجليزية، فكلما كان هناك تقدير عالى للثقافة المعطية كلما كان هناك استعداد لتقبل العناصر الثقافية التى تتضمنها هذه الثقافة، وبالطبع هناك نوع من الانتقاء والاختيار إذ لن يتم عادة تقبل مختلف العناصر بنفس الدرجة من الاستعداد.

٨- قد يتعدى اقتباس بعض العناصر الثقافية نظراً لمرحلة التطور التكنولوجى التى يمر بها المجتمع، وعلى سبيل المثال توجد أجهزة ومعدات كهربائية وإلكترونية معقدة فى بعض الدول المتخلفة ومع ذلك لا توجد مصانع هذه الأجهزة والمعدات بهذه الدول لعدم وجود الأفراد الفنيين الذين لديهم الخبرات والمعارف والكفاءات اللازمة لإنتاجها، وعموماً يلاحظ أن الناس تقبل بسهولة العناصر الثقافية التكنولوجية خاصة تلك التى يروا مميزات وفوائدها بوضوح.

تلك هى بعض القواعد العامة والعوامل والظروف التى تؤثر على عملية التغير الثقافى وتساعد أو تعرقل من اقتباس بعض العناصر الثقافية الجديدة.

العمليات الثقافية

على الرغم من أنه لا يوجد حقائق علمية دقيقة توضح متى وأين وكيف بدأ الإنسان في خلق ثقافة إلا أن السعى للتعرف على أصل ونشأة الثقافة يشغل تفكير الكثير من الباحثين منذ عدة قرون، ليس كل هؤلاء من العلماء بل أن بعضهم من رجال الدين والفلاسفة البعض منهم وضع بعض التفسيرات أو التخمينات أو النظريات وإن كانت أيا من هذه الآراء لم يوضع موضع الاختيار العلمي لأن فترة ما قبل الوقوف على حقيقة نشأة الثقافة باقية بسبب عدم إمكان التعرف على منابع وأصول أنشطة الإنسان التي أدت إلى خلقها.

على أن العلم لم يخلو من بعض المعارف الموثوق بها والتي تلقى الضوء على بعض النواحي المادية الأولى من حياة الإنسان والتي لا تزال لها دلالات واضحة كالآلات والأواني والرسومات على جدران الكهوف وغيرها من الماديات الثقافية والتي لا تزال باقية حتى الآن، أما الأشياء الثقافية المعنوية الأولى فإنه يصعب التعرف عليها لأنه قبل ظهور الكتابة والفن لا يوجد أدلة ملموسة عن الكيفية التي كان عليها يعيش الناس، وفي ماذا كانوا يفكرون أو لماذا ظهر اختراع معين دون اختراع آخر، ومع ذلك فإنه أمكن من بعض الماديات الثقافية استنتاج بعض المعاني الثقافية المعنوية ير أن الحذر لابد وأن يكون شديداً حتى لا تكون هذه الاستنتاجات بعيدة عن الحقيقة.

ورغم كل هذه الصعوبات فإن الانثربولوجيون استطاعوا أن يتوصلوا إلى قدر لا بأس به من المعارف الموثوق بها عن بدايات الثقافة وتطوراتها الأولى وربطها بعضها ببعض بما يسمح بإمكان وضع تصور زمني لنشأة وتطور الثقافة تشير إلى أنها ظهرت منذ حوالي مليون عام قبل الميلاد. العناصر الثقافية المادية

عن هذه الفترة لاشك بسيطة تتمثل عادة في بعض الآلات الحجرية والتي كانت مستعملة في قطع الأشياء أو في عزيق الأرض.

هناك قليل من الأدلة على أنه خلال النصف مليون عام الثاني من نشأة الثقافة حدثت بعض التغيرات في انتاج الماديات الثقافية مما يدل على ان العناصر الثقافية المعنوية قد تغيرت خلال هذه الفترة وأن كان لا يوجد أدلة قاطعة على ذلك فضلاً عن أن هذه التواريخ والاستنتاجات قد لا تكون صحيحة كلية.

والثقافة خلال تاريخها الطويل طرأ عليها تغيرات أدت إلى زيادة عناصرها المادية والمعنوية زيادة كبيرة تلك الزيادة لم تكن مجرد إضافات لما هو موجود بل كانت محصلة اندثار بعض العناصر وإضافة عناصر أخرى جديدة منتقاه بدت منطقية أو أفضل من تلك التي تم التخلي عنها، على أنه خلال تلك العملية من التخلي والتبنى للعناصر الثقافية لابد وأن تظل الثقافة وحدة متكاملة ومتناسقة وأن كان هذا التكامل والتناسق قد يعتبر به بعض الضعف خلال عملية موائمة وتقبل الجديد من العناصر في إطار الثقافة القائمة.

وعموماً يمكن القول أن تطور الثقافة حدث على مدى فترة زمنية طويلة، وأنه خلال معظم هذه الفترة الطويلة كانت التغيرات بطيئة ولكن سرعة التغير كانت كبيرة في السنوات الأخيرة، والكثير من خواص المجتمعات العصرية مثل الديمقراطية، والعلم ومستوى المعيشة المرتفع كلها أشياء جديدة في حياة الإنسان لدرجة أنه أحياناً يحتار في كيفية التعامل معها.

التغيرات في الثقافة أمر حتمي ولم تعجز أى ثقافة أن تحدث فيها نوع من التغيرات إذ رغم أن هناك عوامل تعمل على الاستقرار فإن هناك عوامل أخرى تدعوا إلى التغيير وإن كانت سرعة التغير تختلف من ثقافة إلى ثقافة أخرى فبعضها

يتغير بسرعة في وقت معين ويبطئ في وقت آخر والبعض الآخر يعكس ذلك، والتغيرات الثقافية كما سبق القول تتم عن طريق اضافة عناصر ثقافية أو فقدان أخرى أو تغير الاهتمام ببعض ما هو موجود.

العناصر الثقافية الجديدة قد تنشأ نتيجة للاختراعات داخل الثقافة أو نتيجة للانتشار اليها من ثقافات أخرى. والاختراعات كما اتضح تتضمن حتماً استخدام العناصر الثقافية الموجودة في صورة تركيبة جديدة ومن ثم كلما كانت العناصر الثقافية الأساسية كثيرة - بافتراض ثبات العوامل الأخرى - كلما كانت الثقافة غنية بالعناصر التي يمكن أن ينتج منها اختراعات، هذا الأمر صحيحاً سواء أكانت العناصر الثقافية مادية أو معنوية.

ومع احتمال وجود استثناءات بالنسبة لبعض المجتمعات البدائية، فإن جميع المجتمعات حصلت على معظم مكونات ثقافتها عن طريق الانتشار أكثر منه عن طريق الاختراع ومعظم الاختراعات تمثل تعديلات طفيفة أو تغييرات في بعض تفاصيل الثقافة، أما النمط الثقافي الأساسي فإنه أقل تكراراً من التغير كما أن التعديلات التي تطرأ عليه ليست كلية، والاختراعات قلما يمكن معرفة مدى ما سوف تحدثه من تغيرات مستقبلاً ولا النواحي من اجمالي الثقافة التي سوف تتأثر باختراع معين.

وأخيراً فإن العامل المحدد لمدى تكامل أى عنصر ثقافى مادي أو معنوي يتوقف على مدى تناسبه (أو توافقه) مع مكونات الثقافة السائدة. يقيم أى عنصر وفقاً للمستويات والمعايير والقيم الثقافية السائدة وهذه المستويات والمعايير والقيم كلها أصلاً مبتكرات سابقة تلك هي فقط بعض المعارف الأساسية بالنسبة لتطور ثقافة الإنسان والعمليات التي تكتنفها.

التراكم الثقافى:

تبين مما تقدم أن عملية التغير الثقافى يصاحبها ادة استحداث عناصر ثقافية جديدة سواء نتيجة للاختراعات أو الاكتشافات أو الاقتباس من ثقافات أخرى كما يصاحبها أحياناً اندثار أو انقراض أو التخلّى عن عناصر ثقافية قديمة خاصة بعد التوصل إلى عناصر ثقافية جديدة أفضل منها، وعموماً يلاحظ أن العناصر الثقافية الجديدة أى المستحدثة أكثر من العناصر الثقافية المندثرة أو التخلّى عنها، وظاهرة زيادة وتجمع العناصر الثقافية مادية كانت أو معنوية تسمى بالتراكم الثقافى "Cultural Accumulation" وعملية تراكم العناصر الثقافية نشأت منذ أن بدأ الإنسان الأول استخدام العصى والحجارة والأسلحة البسيطة وهى عملية لا تزال تحدث حتى الآن ولو أنها تحدث بدرجة أكثر سرعة عن ذى قبل فالثقافة التكنولوجية أصبحت معقدة وتزداد تعقيداً وتزايد بمعدلات كبيرة بمرور الوقت.

وإذا كان من الواضح أن الأشياء الثقافية المادية تتجمع وتتراكم فإن العناصر الثقافية المعنوية يحدث لها نفس الشئ فالمعارف التى يلم بها الإنسان حالياً عن العالم الذى يعيش فيه زادت زيادة كبيرة نتيجة تجميع الإنسان لها على مر العصور المختلفة فكل جيل من الأجيال قد أضاف إلى المعلوم من المعارف قدراً جديداً سواء استفاد منه أم لم يستفد، فالإنسان العصرى أصبح لديه من المعارف ما لم يتوافر لدى الإنسان منذ مائة عام والمعارف التى تتطلبها الحياة العصرية أكثر بكثير من المعارف التى كانت تتطلبها الحياة فى الأزمنة الماضية ومن أجل ذلك يسعى الإنسان دائماً إلى الحصول على المزيد من المعارف التى يستخدمها فى تحقيق رغباته واحتياجاته المتزايدة.

ونظرة بسيطة إلى المكتبات العلمية وما بها من مراجع علمية وكتب مختلفة تكفى للدلالة على ذلك. لقد تطورت اللغة وزادت المصطلحات العلمية نتيجة للتقدم

التكنولوجى وما صاحبه من انتاج كثير من الماديات الثقافية التى استلزمت بدورها مسميات لم تكن موجودة من قبل، كما ان التقدم العلمى والمعارف العلمية الجديدة تطلبت أيضاً مصطلحات ومسميات جديدة، كل ذلك أدى إلى ظهور العديد من القواميس ذات الأحجام الكبيرة والتى لم تكن موجودة من قبل بل لا تزال غير موجودة فى المجتمعات البسيطة ذات المعارف العلمية القليلة وذات التكنولوجى البسيط.

وكما يحدث تراكم وتجميع المعارف على اختلاف أنواعها فإن التقاليد والعادات الشعبية والعرف والقوانين تتراكم أيضاً على مر الزمن، فطريقة سلوك الناس فى أى مجتمع أن هى الا جزء من تراثهم الاجتماعى الذى أنتقل إليهم من الأجيال السابقة بعد أن أضاف إليه كل جيل شيئاً جديداً وقد يكون عمل قائمة بالأمشياء الثقافية المادية الجديدة يظهر بوضوح أثر التراكم الثقافى أمراً أسهل من عمل من هذه القائمة بالنسبة للعناصر الثقافية المعنوية رغم كثرتها، أن وجود عناصر ثقافية مادية فى حد ذاته أدى إلى ضرورة وجود عناصر ثقافية معنوية ممثلة فى طرق السلوك والتفكير والاتجاهات التى استلزمها استعمال تلك الأشياء المادية.

حقيقة أنه قد يطرأ على ثقافة بعض المجتمعات فى وقت معين نتيجة لظروف معينة نكسة تجعل الثقافة راكدة أن لم تر تد إلى الورا فيصبح التكنولوجى وتصبح المعارف السائدة بها أسوأ مما كان موجوداً من قبل غير أن هذه ليست القاعدة العامة، أن تجاه الثقافة فى الأمد البعيد يميل نحو تراكم العناصر الثقافية، فكل مجتمع وكل جماعة إنسانية تسعى باستمرار إلى زيادة أمنها ورفاهيتها سواء عن طريق الاختراع أو الاقتباس ثم ينتقل ما يتوصل إليه من عناصر ثقافية إلى الأجيال التى تليها والتى تقوم بنفس الشئ وهكذا تصبح سرعة التراكم الثقافى أكبر كلما زادت العناصر الثقافية، على أن عملية تجميع العناصر الثقافية المعنوية والمادية

واستحداث بعضها والتخلي عن البعض الآخر لا يتم بطريقة عشوائية وإنما كما يقول William Ogburn يحدث وفق عملية انتقاء واختيار للأصلح.

إذا كان من خصائص الثقافة أن عناصرها تتراكم بسرعة أكبر بمرور الوقت فهل هناك حدود لهذه العملية، يعتقد ساذرلاند وزملائه أن هناك حدود لمدى قدرة الإنسان - مهما بلغ ذكاؤه - على حل المشاكل المعقدة، فرغم أن الإنسان قد يستطيع أن ينمي قدرات جديدة لمواجهة المشاكل العديدة الصعبة إلا أن ظهور هذه القدرات عن طريق التطور البيولوجي أمر قد يحتاج إلى مئات السنين بافتراض إمكان حدوثه، والإنسان بقدراته الحالية على الاختراع استطاع أن ينتج الكثير جداً من العناصر الثقافية ويضيف عليها المزيد من العناصر باستمرار، الأمر الذي زاد من تعقد الثقافة، وعادة لا تنتج مشاكل كثيرة من جراء إضافة عناصر ثقافية جديدة طالما أن تلك الإضافة لا تخل بتنظيم وتكامل الثقافة وطالما أنها قادرة على الاندماج في الأنماط الثقافية القائمة وفي الوقت نفسه لها فائدة وقيمة مقبولة لدى أفراد المجتمع.

على أن ساذرلاند وزملائه يعتقدون أن هناك مقادير من الثقافة التكنولوجية التي يستطيع الإنسان أن يستوعبها دون أن يكون لها آثار ضارة، فالإنسان يستطيع أن يتحمل كميات صغيرة متزايدة من العناصر الثقافية المادية ولكن لحدود معينة بالضبط كما يستطيع المريض أن يتحمل جرعات صغيرة متزايدة من الدواء ولكن لحدود معينة، وكما أن بعض المرضى يذهبون ضحية اختبار بعض أنواع الأدوية في البداية فإن الإنسان قد يضار في البداية عند محاولة الاستفادة من بعض العناصر الثقافية خاصة إذا زادت عما يستطيع أن يتحمل.

ولو أن الإنسان استطاع أن يتقبل وبفائدة كميات متزايدة من العناصر الثقافية إلا أنه يعتقد أن عاجلاً أو آجلاً سوف لا يستطيع أن يستمر في ذلك من أن يصل

إلى المرحلة التى تظهر عليه فيها الآثار المرضية ولو أن بعض العلماء الاجتماعيين يعتقدون أن هذه المرحلة بدأت فعلاً فى الظهور ويشيرون إلى ارتفاع معدلات الجنون والأمراض العقلية والنفسية المختلفة وإلى انتشار ظاهرة عدم التنظيم واستخدام الأسلحة الذرية وغيرها من القوى الهدامة، على أن بعض آخر من العلماء ينظرون ببساطة إلى هذه الظواهر المرضية على أنها مجرد تغيرات دورية.

التقدم الثقافى:

أن تراكم الثقافة وتعقدتها أمر واضح لا يحتاج إلى دليل فالإنسان فى كل عصر من العصور يحاول عن طريق الاختراعات والاكتشافات وعن طريق اقتباس وتبنى عناصر ثقافية جديدة أن يكون فى مركز قوى فى نضالة مع البيئة الطبيعية والاجتماعية التى يعيش فيها ولم يفتح فى أى وقت من الأوقات بمجرد ضمان استمرار بقائه حياً أى بمجرد الحصول على ضروريات الحياة بل كان دائم العمل على إجراء تعديلات وتحسينات على مكونات ثقافية بقصد تحسين مستوى حياته، لقد اتجه خاصة بعد أن أصبح وثقاً من توافر ضروريات الحياة إلى تنمية بعض نواحي الثقافة والاهتمام بها والعمل على تحسينها فبدأ يهتم مثلاً بالفنون والاحتفالات والأديان والتميز الطبقي. وغيرها ثم بدأ يهتم بالعلم والأساليب التكنولوجية وبمرور الوقت أصبحت فى كل ثقافة بعض النواحي المتقدمة عن نواحي أخرى كما أصبحت بعض الثقافات تتضمن نواحي تبدو متقدمة عن مثيلاتها فى ثقافات أخرى.

وكثيراً ما يتساءل البعض عن مدى تقدم أو تخلف ثقافة معينة بمقارنتها بثقافة أخرى أو عما إذا كانت ثقافة معينة أسرع أو أبطأ تقدماً أو أحسن من ثقافة أخرى بل أحياناً ما يتساءلون عما إذا كان هناك تقدم ثقافى أو أن هناك مجرد تغير ثقافى، إلى غير ذلك من التساؤلات العديدة التى تثيرها بوجه خاص الاختلافات الملحوظة بين الثقافات والتغيرات الكثيرة التى تطرأ عليها، فى الحقيقة هناك بعض

الصعوبات التي تحول دون إمكان إعطاء إجابات محددة لهذه التساؤلات. فكما يقول هارى جونسون أن الثقافة من الصعب تقييمها بدقة وواقعية لأنه من الصعب التوصل إلى مقاييس دقيقة محددة ومقبولة ويتفق عليها جميع الناس بالنسبة للحكم على الثقافة إلا أنه يرى في نفس الوقت أنه بالنظر إلى بعض نواحي وليس إلى الثقافة ككل يتبين أن بعض نواحي الثقافة يصعب إلى حد كبير تقييمها تقنياً وواقعياً محدداً بينما البعض الآخر يمكن إلى حد ما تقييمه، والنواحي المعنوية للثقافة بصفة عامة أصعب في الحكم عليها من النواحي المادية ومن أمثلة نواحي الثقافة التي يصعب تقييمها الدين لأنه يتضمن قيماً وعقائد يصعب الحكم عليها أو اختبار مدى صحتها بالأساليب العلمية ومن ثم فإنه يصعب أيضاً المقارنة بين الأديان المختلفة.

على أن التقاليد والعادات والفنون هي الأخرى من النواحي الثقافية المعنوية التي يصعب تقييمها والحكم عليها حكماً دقيقاً محدداً موضوعياً خاصة وأن بعض هذه النواحي هي تراث ثقافي لأجيال عديدة سابقة والحكم عليها بمعايير الثقافة الحالية ربما لا يكون أجراً دقيقاً فقد تكون هذه المعنويات في وقت حدوثها ذات قيمة عالية وربما ظلت كذلك حتى الآن لكن احتمال عدم تقديرها حالياً التقدير التي تستحقه لعدم فهمها في ضوء الثقافة الحالية احتمال غير مستبعد لأن الإنسان كما يقول جونسون لا تستوعب شخصيته كل الثقافات أي لا يلم بها جميعاً.

على أن هناك بعض النواحي الثقافية المعنوية الأخرى والتي ربما يمكن تقييمها بدرجة أقل من الصعوبة ومن أمثلة ذلك العلم ممثلاً في مجموعة المعارف العلمية من حقائق وقواعد عامة ونظريات وقوانين وأساليب البحث العلمي، كذلك الأساليب التكنولوجية المستخدمة في مختلف الميادين كالطب والهندسة والانتاج والاستهلاك وفي الإدارة كل هذه وغيرها يمكن إلى حد ما إيجاد مقاييس على درجة من الدقة لا بأس بها لقياس مدى التقدم الذي طرأ عليها وإن كانت تلك المقاييس لا

يزال يدخل عليها من أن لأخر بعض التعديلات والتحسينات بما يجعلها أكثر دقة وواقعية.

وكما كان التقدم الذى تسعى إلى تحقيقه أى ناحية من نواحي الثقافة يستهدف تحقيق أهداف يمكن قياسها بطريقة موضوعية وعن طريق الاختبار كلما كان التقييم أكثر سلامة وصحة وتحديداً، ولقد أتضح قبلاً أن الماديات الثقافية من السهل حصرها والوقوف على التغييرات التى تطرأ عليها كما ويمكن تقييم مدى التقدم الذى طرأ على عليها نظراً لأمكان التوصل إلى مقاييس دقيقة نسبياً لقياس هذه العناصر الثقافية.

على أن البعض قد يتساءل عما إذا كانت ثقافة من الثقافات التى يسود فيها العلم والأساليب التكنولوجية أحسن أو مثل أو أقل مستوى من ثقافة أخرى لا تأخذ بالعلم والأساليب التكنولوجية بنفس القدر يقول هارى جونسون أن من الصعب الإجابة على مثل هذا التساؤل لأنه من الصعب الحكم على أى مجتمع أنه مخطئ لعدم استخدامه العلوم الحديثة لأنه ربما يكون سعيداً بحياته الحالية وقد أصبح تيسراً فى ظل غيرها من الأنظمة، وبمعنى آخر أن التقدم العلمى ممكن حدوثه ولكن ليس من المحتم على أى فرد أن يعتبره شئ مرغوب فيه فى حد ذاته لهذا السبب يبدو ومن الصعب القول بطريقة واقعية أن هناك تقدم فى الثقافة عامة أو أن ثقافة بأكملها أحسن أو أقل من الأخرى لأنه من الصعب الوصول إلى اتفاق بالنسبة للمقاييس اللازمة للحكم على ذلك.

التخلف الثقافى:

لعل أصبح واضحاً أن الثقافة رغم استمرارها فهى متغيرة وأنها ليست من صنع فرد ولا جيل واحد وإنما من صنع أجيال عديدة كل جيل يضيف إليها بعض العناصر سواء عن طريق الاختراعات أو الاقتباس وكل جيل يحاول أن يغير ويحور فى مكوناتها وفق ما يراه مناسباً لتحقيق رفاهيته وسعادته، وبما أنها تنتج

نتيجة العلاقات الإنسانية وخبرات الناس فإنها تتغير كلما تغيرت العلاقات والخبرات والثقافة لا تتغير أجزاؤها بالتساوى وإنما تتغير بعض عناصرها بسرعة عن عناصر أخرى كما وأن بعض أجزائها أكثر قابلية للتكيف عن البعض الآخر.

ولما كانت العناصر الثقافية متناسقة ومتراصة ومتداخلة في مركبات وأنماط ثقافية ومنظمة في أنسقة عامة متكاملة فإن أى تغير فى أى عنصر من عناصر الثقافة من شأنه أن يضغط على العناصر الأخرى المتصلة مما قد يؤدي إلى أحداث تغيرات فيها، وعندما تكون العناصر المتصلة بالعنصر المتغير بطيئة التغير أو التكيف فإن ذلك يؤخر من رد الفعل اللازم لإعادة التوازن وقد يمر بعض الوقت إلى أن يتم رد الفعل الذى يعيد حالة التوازن والتكيف بين العناصر المتغيرة إلى ما كانت عليه، خلال هذه الفترة تسود حالة من عدم التكيف التى توصف بالتخلف الثقافى.

وأمثلة التخلف الثقافى كثيرة منها فى المجتمع المصرى مثلاً عدم وجود الطرق الواسعة المرصوفة التى تتناسب وعدد وحجم وسرعة السيارات وكثرة استخدامها فى الوقت الحاضر عدم كفاية المدرسين والمباني المدرسية والمعدات والتجهيزات المختلفة لمقابلة احتياجات الأعداد الكبيرة من الطلاب التى تقبل أو التى يجب ان تقبل سنوياً تنفيذاً لقانون التعليم الإلزامى، عدم وفرة العمال المهرة التى يحتاج اليهم للعمل بمختلف المصانع ذات الأجهزة والمعدات الحديثة عدم وجود الفنيين فى بعض الإدارات حيث توجد آلات ميكانيكية وإلكترونية حديثة ومعقدة، عدم كفاية المساكن لملاحقة الأعداد المتزايدة من السكان أو عدم تطور التسهيلات السكنية لتنمى مع الحياة العصرية.

وجدير بالذكر أن التقدم العلمى والتكنولوجى السريع فى الوقت الحاضر كثيراً ما كان سبباً فى أحداث تغيرات سريعة فى بعض نواحي الثقافة عن أنواع أخرى مما ساعد على وجود تخلف ثقافى ملحوظ فى بعض النواحي ويسعى المصلحون والمخططون وقادة الحكم فى مختلف المجتمعات دائماً إلى محاولة التقليل

من التخلّف الثقافى بقدر المستطاع. وعندما يفشلون فى ذلك يصبح التخلّف من المشاكل الهامة والعويصة والتي قد يودى إلى حتمية قيام اجراءات ثورية للتغلب عليه.

التكامل الثقافى Cultural Intergration

لقد اوضحنا قبالاً ان العناصر الثقافية تترايط فى مركبات ثقافية والخيرة تتناسق فى أنماط ثقافية فتقليد من التقاليد يتشابه مع تقليد آخر ليكون تقليداً معقداً وهذا يتشابه مع آخر ليكون مركباً أو نمطاً ثقافياً، وقد يرى الاجتماعيون ذلك بسهولة غير أن الأفراد العاديون لا يقدرون الأجزاء المتناثرة فى الثقافة لا يعرفون معناها إلا إذا كانت تلك الأجزاء فى وئام وتتناسق وتكون مع بعضها ترابط ووحدة أو وحدات متكاملة تؤدي غرضها وتحقق هدفاً واضحاً فى الحياة، فالعناصر الثقافية لابد من أن تترايط وتتناسق لا لتيسير فهم وأدراك الإنسان وتمكينه من التكيف لها فحسب بل لكى تستطيع الثقافة أن تؤدي وظائفها.

ويلاحظ أنه فى المجتمعات الصغيرة ذات الثقافات البسيطة والتي حدث فيها ببطئ قليل من التغيرات الثقافية والتي يقل فيها التخلّف الثقافى والتي تسير فيها الحياة على الوتيرة المتبعة يكون عادة التكامل الثقافى قوى والميل للمحافظة عليه كذلك ميل شديد وذلك على عكس الحال فى المجتمعات الكبيرة ذات الثقافات المعقدة ذات التغيرات الثقافية الكثيرة والسريعة والمصحوبة عادة بتخلّف ثقافى، ففى مثل هذه المجتمعات يكون التكامل عادة مهدداً من أن لآخر خاصة إذا كان المجتمع جماعات ذات ثقافات متباينة، على أنه مهما كان المجتمع بسيطاً أو معقداً، بطئ وقليل التغير أو سريع وكثير التغير فإن درجة من التكامل والتناسق بين مكونات ثقافته لابد من أن تتوافر حتى يمكنه الاحتفاظ بكيانه التى يحقق لأفراده الشعور بالأمن ويشبع رغباتهم ويقابل احتياجاتهم.

ولعل البعض يتساءل إذا كان هناك ثقافة متكاملة تمام ل هذا التكامل التام شئ مرغوب فيه، وإذا لم يكن هناك تكامل تام فما هي الدرجة من التكامل المرغوب تحقيقها؟ وما هي الدرجة من عدم التكامل غير المرغوب فيها؟ وللإجابة على هذه التساؤلات يمكن القول أنه لا يوجد في الحقيقة ثقافة متكاملة تماماً فضلاً عن أن هذا التكامل التام ليس أمراً مرغوب فيه لأنه يحد من تجدد الثقافة ومن تطورها ويصعب ويعرقل من أحداث تغيرات عليها، ليس هذا فحسب بل يجعلها في أي وقت عرضة للوقوع في حالة من عدم التنظيم تحت تأثير أي ضغط قوى ينشأ بسبب عوامل داخلية أو خارجية.

على أن الثقافة لا بد وأن تكون على درجة معقولة من التكامل تسمح بإمكان قيامها بوظائفها وفي نفس الوقت تسمح بإمكان إدخال تغيرات على مكوناتها، ولأجل أن تتغير وتتطور عناصر الثقافة لا بد من أن يكون هناك بعض المرونة فيما يتعلق بترابطها وتتسق اجزائها بعضها مع بعض فالدرجة المقبولة من التكامل مع المرونة من شأنهما أن يسمحا للثقافة بأن تكون متغيرة ومتجددة وتساعد على الاحتفاظ بدرجة مقبولة من التنظيم، ونقص التكامل الثقافي أي قصوره عن الحد المرغوب قد يؤدي إلى خلق حالة من عدم التنظيم حيث تنداعى الأنماط السلوكية الجماعية ويتخلل عنها أو بعضها وتنشأ أنواع من التضارب والصراعات والمنازعات بل وقد يصل الأمر إلى حد أن تسود حالة من الضياع وفقدان الأمل وعدم وضوح الرؤيا وتضارب الأهداف، وهي حالة على طرف النقيض من التكامل ويطلق عليها بـ Anomie.

ويساعد على حدوثها عدم تجانس ثقافة الجماعات داخل المجتمع وسرعة وكثرة التغيرات الثقافية والتخلف الثقافي. وفي كل المجتمعات توجد عمليات تكامل وعمليات عدم تكامل (anomie) أي تفكك وانحيار وتداعى وتضارب وعدم تنظيم ولو أن هذه الأنواع من العمليات تختلف في درجتها عن مجتمع لآخر، غير أنه في

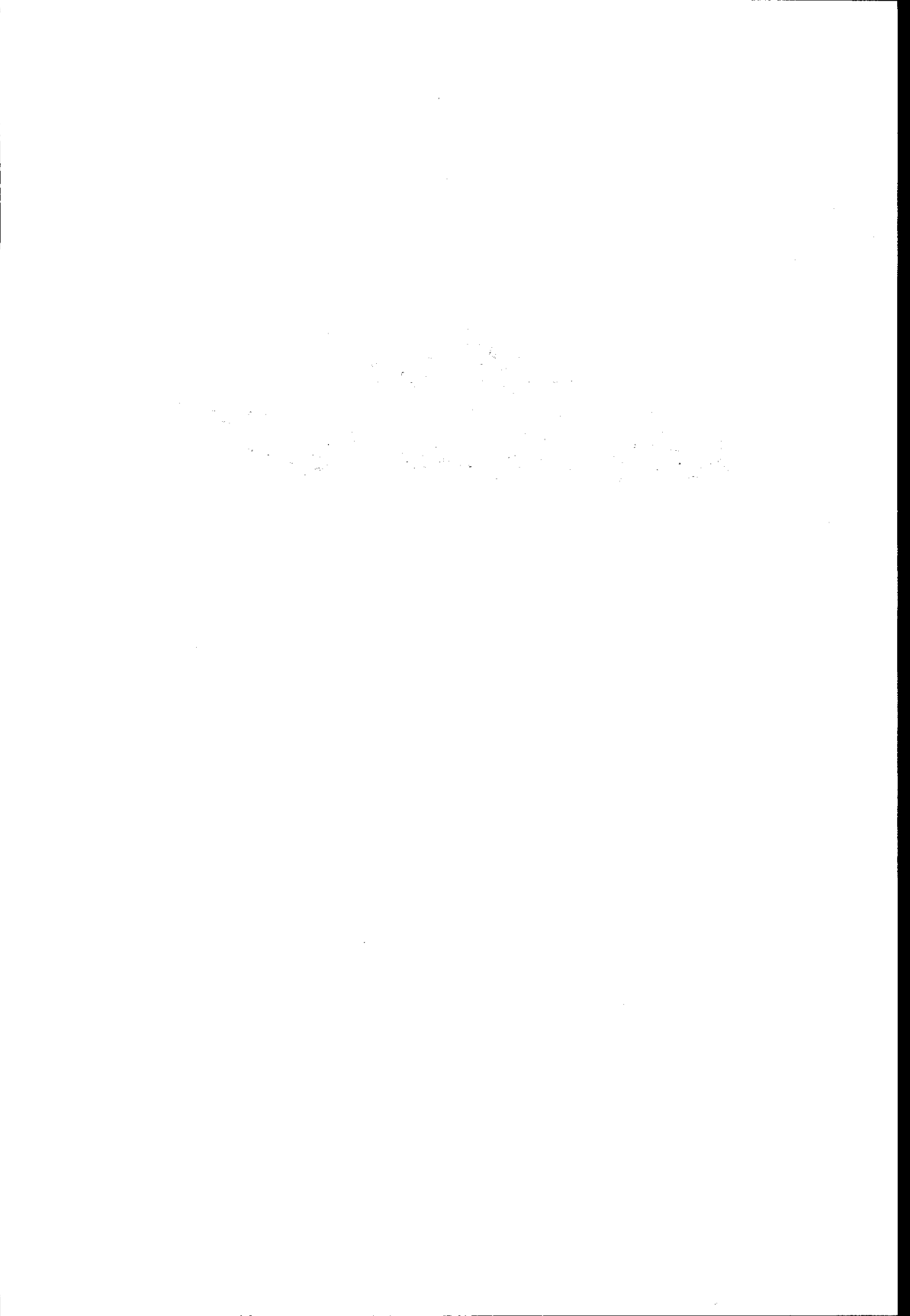
مجتمع مستمر يكون التكامل هو الغالب لأن استمرار المجتمع وبقائه مرهون بوجود درجة كافية من التكامل.

وإذا كان الوضع الأمثل لأى ثقافة هو أن تكون متكاملة فليس معنى ذلك أنها تكون خالية تماماً من المتناقضات ولا من العناصر المتصارعة والمتضادة ولكن المهم هو أن لا تضىء هذه العناصر على باقى مكونات الثقافة فتجعل ظاهرة عدم التنظيم والفوضى هى الغالبة، لا مانع من وجود بعض المتناقضات ولكن بشرط أن يكون أفراد المجتمع قادرين على أن يحتفظوا بقدر من الاتفاق العام على الأنماط السلوكية الرئيسية وعلى القيم والعقائد والتقاليد الأساسية لأن ذلك الاتفاق شرط أساسى وهام لكى يودى المجتمع وظائفه بطريقة يسيرة ذلك لأن اختلاف أفراد المجتمع على القيم والعقائد والتقاليد الأساسية من شأنه أن يخلق حالة من عدم التكامل التى لا يمكن فى ظلها أن ينتظم المجتمع ويؤدى وظائفه.

ولعلنا نستطيع أن نتصور كيف يمكن أن يكون حال أى مجتمع لو اختلف أفرادهم فى قيمهم وعقائدهم الأساسية وعلى سبيل المثال لو أن من بعضهم بالنظام الرأسمالى والبعض الآخر بالنظام الاشتراكى أو الشيوعى أو آمن بعضهم بالنظام الديمقراطى والنصف الآخر بالنصف الدكتاتورى، أو تمسك بعضهم بالقيم والعقائد الدينية بينما تحرر نصفهم منها إلى غير ذلك من المتناقضات التى سوف تخلق أنواعاً من الصراعات والمنازعات أى حالة من عدم التكامل وعدم التنظيم، ولحسن الحظ أن الثقافة تعمل دائماً على الاحتفاظ بدرجة من التكامل لكى تؤدى وظائفها، هذا لا يعنى أنها لا تتعرض فى بعض الأوقات إلى درجة من نقص التكامل تكون فيها معرضة لخطر الانهيار والتفكك وسوء التنظيم، وعندما يصل الأمر لهذا الحد ربما يكون ذلك كما سبق القول مدعاة لاتخاذ إجراءات ثورية لإعادة التكيف والعودة بالمجتمع إلى حالة التكامل التى بدونها يصعب المحافظة على بقاءه واستمراره.

الباب الرابع

الاحتفالات والمهرجانات والأعياد



الاحتفالات والمهرجانات والأعياد المصرية

الأعياد.. هى إحياء لذكرى عزيزة على الأفراد أو الشعوب التى تقيمها. وتختلف الاحتفالات بالأعياد فى مصر من إقليم إلى آخر، بحسب العادات والتقاليد وشعائر تلك الأعياد فالأعياد هى دلالة واضحة لانتماء المواطن المصرى إلى جذوره وأصله.

فالأعياد الشعبية والقومية من أهم وسائل الترفيه التى يعرفها سكان الأقاليم المصرية. حيث يحتفل الأفراد من معظم القيود التى عرفوها فى حياتهم اليومية، حيث تقام الولائم ويتخلل هذه الولائم الغناء والرقص ومن الأعياد ما هو غريب وظريف.. ومن الاحتفالات بها — أيضاً — ما هو أعجب.

لقد زادج الاهتمام فى مصر بالمهرجانات وخاصة فى الآونة الأخيرة، ويعود ذلك لعدة عوامل نذكر منها على سبيل المثال وأهمها العلاقات المتبادلة بين الشعوب، التطور التكنولوجى فى وسائل الاتصالات وسهولة وسرعة النقل والمواصلات، زيادة التعاون الدول فى مجالات الاقتصاد والسياسة والعلم؟ — السياسة والفن والرياضة.

ومن نتائج هذه العوامل عقد لقاءات واجتماعات لمجموعات من الأفراد المتخصصين فى هذه المجالات، لدراسة هذه الموضوعات للوصول لتعاون أفضل. . تتنوع المهرجانات وتتعدد حسب اهتماماتها، ولكن يمكن إجمالاً على النحو التالى:

- ١- مهرجانات سياسية.
- ٢- مهرجانات عسكرية
- ٣- مهرجانات لمنظمات غير الحكومية.
- ٤- مهرجانات علمية
- ٥- مهرجانات اقتصادية وتجارية.

٦- مهرجانات ثقافية.

٧- مهرجانات رياضية.

ولسناج المهرجان لابد من توافر مجموعة من المقومات الأساسية التي تساعد على إظهار المهرجان بصورة جديدة. حيث تعتمد المهرجانات على تقديم منتج معين هو منتج بيئي وهو في حقيقته منتج مركب، فهو مزيج من مجموعة عناصر أو عوامل متعددة. ويمكن تقسيم هذه العناصر أو العوامل إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: عوامل جذب للمهرجانات

وهي تعتمد على مقدار وتوافر المغريات حسب نوعية المهرجان، لذا ينبغي العمل على تجميع المغريات التي توجد بمكان المهرجان لتتكامل مع بعضها في نسق يثير إعجاب المشتركين بالمهرجان أو الزائرين وأهمها:

- المغريات البيئية الطبيعية.
- المغريات البيئية الاجتماعية.
- المغريات البيئية الاصطناعية.

المجموعة الثانية: عوامل التسهيلات للمهرجانات

تعتبر التسهيلات حجر الزاوية في المهرجانات، حيث تتنوع هذه التسهيلات على النحو التالي:

- النوع الأول: وسائل النقل.
- النوع الثاني: تسهيلات الإقامة
- النوع الثالث: موارد الضيافة.
- النوع الرابع: قوة العمل المؤهلة.
- النوع الخامس: التشريع والتنظيم.
- النوع السادس: التيسيرات والإجراءات.

يعتبر القرن السادس ق.م. الفترة التي ظهر خلالها التنظيم الرياضى لألوان النشاط المختلفة لما انتشر فيه من المهرجانات والأعياد الرياضية ذات البرامج المنظمة.

وقد تنبه الإغريق إلى ما لمهرجان "أوليمبيا" من أثر عظيم فى إيجاد التآلف والوحدة بين المواطنين على اختلاف دويلاتهم اللاتى ينتسبون إليها.

جرت عادة الإغريق قديماً على اصطحاب زوجاتهم وأولادهم، والخروج جماعات إلى معابد الإله "أبولو" ينشدون الناشيد الدينية تعظيماً له، بينما يقوم بعضهم بأداء ألوان من الرقصات الشعبية فى جو كله بهجة وسرور، إذ كانوا يعتبرون مهرجاناتهم هذه أعياداً يرضى عنها الإله فيقدمون القرابين، وإقامة الولائم احتفالاً بالنصر وختام المهرجان.

وفى مصر كانت تقام المهرجانات الخاصة بوفاء النيل، وكذلك العديد من المهرجانات الرياضية حتى يومنا هذا.

١ - (عيد الطبيعة)... يوم شم النسيم

هو عيد من أعياد الطبيعة، وليس عيداً دينياً كما يتصور الكثيرون... ويوم شم النسيم يسمى فى اللغة الهيروغليفية باسم "شمو"، وهى تسمية تطلق على أحد فصول السنة المصرية القديمة... وبمرور الزمن تغير الاسم من "شمو" إلى "شم" ثم أضيفت له كلمة النسيم... فأصبح يسمى "شم النسيم" فإن تاريخ عيد شم النسيم يعود إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

فالأعياد المصرية القديمة ترتبط بالظواهر الفلكية وعلاقتها بالطبيعة ومظاهر الحياة، فقد كان احتفالهم بعيد الربيع الذى حددوا ميعاده بالإنقلاب الربيعى وهو اليوم الذى يتساوى فيه الليل والنهار وقت حلول الشمس فى برج الحمل.

ويقع فى الخامس والعشرين من شهر برمهاٲ — وكانوا يتصورون — كما ورد فى كتابهم المقدس — أن ذلك اليوم هو أول الزمان، أو بدء خلق العالم.

كانوا يحددون ذلك اليوم والاحتفال رسمى أمام الواجهة الشمالية للهرم، حيث يظهر قرص الشمس قبل الغروب وخلال دقائق محدودة وكأنه يجلس فوق قمة الهرم وتظهر معجزة الرويا (عندما يجل الإله على عرشه فوق قمة الهرم) فيشطر ضوء الشمس وظلالها واجهة الهرم إلى شطرين (لغز الهرم الأكبر).

لقد أطلق المصريين القدماء على ذلك العيد اسم (عيد شمس) أى عيد بعث الحياة وبدء الاحتفال بهذا العيد رسمياً إلى عام ٢٧٠٠ ق.م أى فى أواخر الأسرة الثالثة. فالقدماء المصريين يحتفلون بعيد شم النسيم كما نحتفل به اليوم حيث يبدأ فى الليلة الأولى أو ليلة الرويا بالاحتفالات الدينية، ثم يتحول مع شروق الشمس إلى عيد شعبى تشترك فيه جميع طبقات الشعب. كما كان فرعون، وكبار رجال الدولة يشاركون الشعب فى أفراحه.

فعيد شم النسيم يكاد لا يشبه عيداً من أعياد الأمم فهو عيد إنسانى سمح... فالمصريون على اختلاف أديانهم يحتفلون بهذا العيد، فهو العيد الذى تبعث فيه الحياة، ويتجدد النبات، تنشط الكائنات لتجديد النوع ففيه تزدهر الخضرة، وتتفتح الأزهار، وتهب نسمة الربيع وهى تحمل رسالة ميلاد الطبيعة بما تحمله من أريج البراعم النامية وعبير الزهور المتفتحة.

كما أن من العادات المتبعة فى عيد شم النسيم التبكير فى الاستيقاظ، وهذه العادة ترتبط أيضاً باعتقاد متوارث وهو أن من تطلع عليه الشمس فى هذا اليوم، وهو فى فراشه إنما يلزمه الخمول طوال العام.

ومن العادات المستغربة فى عيد شم النسيم... عادة شم البصل وخاصة فى الريف المصرى فكانوا إذا تنفس صبح ذلك اليوم أفعموا خياشيمهم بريح البصل ليدروا عن أعصابهم خمول العام كله.. ثم يخرجون إلى القنوات والنهيرات

يستحمون فى مائها الجارى ويمشون هونا على ضفاف الحقوق وضفاف
الترع وحواش البساتين يجمعون الورود وزهور ورق الليمون... ثم ينسقون منها
باقات يشدونها بأواد السعد، وسعف النخل... ويدسون فيها أنوفهم من لحظة ثم
يقتنون فى مهب النسيم الفواح يعبونه عباً بالخياشيم لعلهم يجون فيه ريح الجنة
فيمسهم منها ما يسمونه (عرق الصبا)... كما يتسلقوا أشجار التوت فجنوا منه أطيبه
... وخضبوا أناملهم بجنا، ونقشوا طوقهم بصبغة... فيأكلون البيض اللون وحس
الطرى والنسيخ النيلى... ثم ينامون، وهم معتقدون أنهم أدخروا لبقية العام من القوة
والصحة والفراة ما لا يهن على طول العناء والغذاء ومس المرض.

وكان قدماء المصريون يحتفلون بعيد شم النسيم كما نحتفل به اليوم، حيث
يبدأ فى الليلة الأولى أو ليلة الرؤيا بالاحتفالات الدينية، ثم يتحول مع شروق الشمس
إلى عيد شعبى ويخرج أفراد الشعب جماعات كما كان فرعون، وكبار رجال الدول
والعظماء يشاركون الشعب كله فى أفراحه بالعيد، ليكونوا فى استقبال الشمس عند
شروقها، وهم يحملون معهم طعامهم وشرابهم حتى غروب الشمس.

ويحمل الأطفال زعف النخيل المزين بالألوان والزهور فتقام حفلات
الرقص الزوجى والجماعى على أنغام الناي والمزمار، والقيثار، ودقات الدفوف،
تصاحبها الأغاني والأنشيد الخاصة بعيد الربيع، كما تجرى المباريات الرياضية
والحفلات التمثيلية.

عيد الفصح وشم النسيم

وقد نقل اليهود من المصريين عيد شم النسيم وذلك فى عهد موسى عليه
السلام فإن نبي إسرائيل حين خرجوا من مصر وافق ذلك موعد احتفال المصريين
ببدء الخلق وأول الربيع وقد أثارت كثير من المراجع التاريخية إلى أن اليهود
اختاروا ذلك اليوم بالذات للخروج، حتى لا يلفت انشغال المصريين بأعيادهم النظر
إليهم أثناء هروبهم مع ما حملوه معهم مما سلبوه من ذهب المصريين وثرواتهم.

واحتفل اليهود بالعيد بعد خروجهم ونجاتهم واعتبروا رأساً لسنتهم الدينية، وأطلق على يوم خروجهم اسم عيد الفصح - و(الفصح) كلمة عبرية من فصح أو فسح بمعنى إجتاز أو عبر أو خروج... واشتقت منها كلمة (بسخة) التي يستخدمها المسيحيون في الكنائس - إشارة إلى نجاتهم وتحريرهم عندما ذبحوا خروف النصح، ورشوا دمه على بيوتهم وهكذا... أتفق عيد الفصح العبرى مع عيد (شمو) أو عيد الخلق المصرى، ثم انتقل عيد الفصح بعد ذلك إلى المسيحية لموافقة مع موعد قيامة المسيح... ولما دخلت المسيحية مصر أصبح عيدهم يلازم عيد المصريين القدماء ويقع دائماً يوم الاثنين كل عام، أى اليوم التالى لعيد الفصح أو عيد القيامة.

عيد القيامة وشم النسيم:

كان شم النسيم يوافق موعد احتفالهم بأول فصل الربيع الذى يحتفلون به فى فصل الحصاد، وانفق عيد الفصح العبرى بعيد الخلق المصرى، ثم انتقل الفصح بعد ذلك إلى المسيحية لموافقة موعد قيامة السيد المسيح وقد جاء فى كتاب مختصر الأمة القبطية.

أما شم النسيم، فهو عيد وطنى قديم اتخذ القبط فى مصر فى أول فصل الربيع ليكون رأساً لسنتهم المدنية غير الزراعة، فلما جاءت المسيحية وجد القبط أن هذا اليوم يقع دائماً وسط الصوم، فجعلوا الاحتفال به ثانياً يوم عيد الفصح "القيامة".

كان لشم النسيم أطعمته التقليدية المفضلة عند قدماء المصريين وما ارتبط بها من عادات وتقاليد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الاحتفالات بالعيد نفسه وتشمل قائمة الأطعمة المميزة لمائدة شحم النسيم: (الملانة... البصل... البيض... الفسيخ... الخس)

شم التسميم والملانة

الملانة: هي ثمرة الحمص الأخضر أطلق قدماء المصريين عليه اسم (حور - بيك) أى رأس الصقر. والذي داعهم إلى ذلك أن شكل الثمرة تشبه رأس حور الصقر المقدس.

وقد اعتبر قدماء المصريين أن فضج الثمرة وامتلاءها إعلاناً عن ميلاد الربيع، وهو ما أخذ منه اسم الملانة أو الملانة.

والحمص مزلياً وفوائد عديدة ورد ذكرها فى البرديات الطبية فكان يستخدم الحمص لعلاج أمراض الكلى والكبد والمثانة وقد وصف "إبيرس" فى برديته استعمال الحمص المطحون فى وقف نزيف الجروح وتطهيرها وسرعة التأمها، كما يحتوى عصير الملانة حبات الملانة وهى خضراء على موالد وقائية تساعد الأطفال على الوقاية من أمراض الربيع.

شم التسميم والبصل

يطلق على البصل فى اللغة المصرية القديمة "بصر" وتروى لنا الأساطير أن أحد ملوك القراعنة كان له طفل وحيد أصيب هذا الأمير الصغير بمرض أفعده عن الحركة عدة سنوات.

وكان أطفال المدينة يقدمون القرابين للإله فى المعابد فى مختلف المناسبات ليشفى الأمير الصغير المحبوب لهم، وقد امتنع خلالها عن إقامة الأفراح والاحتفالات بالأعياد.

وقد نسب الكاهن الأكبر لمعبد آمون عندما استدعى من طيبة، أن هناك أرواح شريرة تسيطر على الطفل وتشل حركته.

وقد أمر الكاهن بوضع ثمار البصل تحت رأس الأمير الصغير فى فراشه عند غروب الشمس بعد أن قرأ عليها بعض التعاويذ كما طلب تعليق حزم من أعواد البصل الأخضر الطازج رير وعلى ابواب الغرفة وبوابات القصر لطرده

الأرواح الشريرة، وعند شروق الشمس فى الفجر قام الكاهن الأكبر بشق البصلة إلى شطرين ووضعها فوق أنف الأمير ليستششق عصيرها وتمت المعجزة كما جاء بالأسطورة ليشفى الأمير الصغير وخرج يلعب فى الحديقة ولما جاء عيد شم النسيم بعد أفراح القصر بشفاء الأمير الصغير بعدة أيام - قام الناس إعلاناً منهم للتهنئة بشفاء الأمير بتعليق حزم البصل على أبواب دورهم.

ومما هو جدير بالذكر أن تلك العادات التى ارتبطت بتلك الأسطورة القديمة سواء من وضع البصل تحت وسادة الأطفال، وتشويقهم لعصيره، أو تعليق حزم البصل على أبواب المساكن أو فى البلكونات أو غرف المطبخ أو أكل البصل الأخضر نفسه مع البيض والفسيح مازالت من العادات والتقاليد المتبعة إلى الآن - لا فى مصر وحدها - بل انتقلت للعديد من الشعوب ومن العادات المألوفة لدى المصريين القدماء بتعليق حزماً من البصل حول أعناقهم فى عيد (نتريت) - وهذا العيد يقع مع عيد الربيع فى ٢٩ كيهك - فيطوفون حول الدار الأبيض (منف) تبركاً به ومن أصبح البصل تقليداً يؤكل مع الفسيح فى عيد شم النسيم.

شم النسيم والبيض

البيض يرمز لخصب الطيور وموعد ظهور جيل جديد منه والبيضة عند الفلاسفة أصل الخلق، وظهر البيض على مائدة أعياد الربيع مع بداية العيد الفرعونى نفسه أو عيد الخلق كما صورت برديات منف الإله (بتاح) إله الخلق، هو يخلق الأرض على شكل البيضة التى شكلها من الجماد، ونفخ فيه الروح، فدبت فيها الحياة.

كما ورد فى متون كتاب الموتى وأناشيد "أختاتون"

(الله وحده لا شريك له - خلق الحياة من الجماد فأخرج الكتكوت من البيضة) وهكذا... بدأ الاحتفال بأكل البيض كأحد الشعائر المقدسة التى ترمز لعيد الخلق، أو عيد شم النسيم.

وقد انتقلت عادة الاحتفال بعيد الربيع وتقاليد أكل البيض إلى آسيا الصغرى وفلسطين قبل أن ينقلها إليهم اليهود في احتفالهم بعيد الفصح، وذلك مع فتوحات تحتمس الثالث عام ١٤٥٠ ق.م. عندما تصادف حلول العيد أثناء وجوده مع جنوده في فلسطين، وانتصاره في معركة "مجدو" كما ورد في بعض الوثائق القديمة إلى أن جنود "رمسيس الثانى" احتفلوا بعيدهم المقدس الذى شاركهم فيه أهل فلسطين عام ١٢٥٠ ق.م. وكان يعتبر من بين أعيادهم الشعبية التى انتقلت إليهم مع فتوحات تحتمس الثالث.

أما فكرة نقش البيض وزخرفته، فقد ارتبطت بعقيدة قديمة أيضاً وهى اعتبارهم أن ليلة العيد بمثابة ليلة القدر، عند المسلمين، فكانوا ينقشون على البيض الدعوات والأمنيات ويجمعونه فى سلال من زعف النخيل الأخضر، ويتركونها فى شرفات المنازل ونوافذ أو يعلقونها فى أشجار الحدائق حتى تتلقى بركان نور الإله عند شروقه فيحقق دعواتهم وزيدأون العيد بتبادل التحية "بدقة البيض" وأكله، وهى العادات التى مازال أكثرها متوارثاً إلى الآن.

وقد ازدادت للبيضة قداستها عند ظهور المسيحية فجعلوها رمزاً للحياة وصبغوها باللون الأحمر رمزاً لدم المسيح المسفول على الصليب فعادة التلوين للبيض بدأ فى فلسطين بعد ثلب المسيح الذى سبق موسم الاحتفال بالعيد فأظهر المسيحيون رغبتهم فى عدم الاحتفال بالعيد حداداً على المسيح، وحتى لا يشاركوا اليهود أفراحهم، ولكن أمر أحد القديسين بأن يحتفلوا بالعيد تخليداً لذكرى المسيح وقيامه، على أن يصبغ البيض باللون الأحمر لينكرهم دائماً بدمه الذى سفكه اليهود على الصليب، وأصبحت البيضة رمزاً للشئ الصغير تخرج منه الحياة مجسمة فى شكل مخلوق.

وهكذا صارت البيضة تعبيراً عن البعث ورمزاً له وفى الصيام يصوم المسيحيون عن كل ما هو حيوانى، وأكل البيض رمزاً للحياة، وفأل حسن فى عيد الربيع.

وانتقلت تلك العادة تلوين البيض إلى مصر حيث بدأ الأقباط بالحفاظ عليها وتعميمها بجانب ما توارثوه من الرموز والطلاسم والنقوش الفرعونية.

شم النسيم والفسیخ

ذكر المؤرخ (هيردوت) عند زيارة مصر في القرن الخامس قبل الميلاد.
"إن المصريين كانوا يأكلون السمك ويجففون بعضه في الشمس ويأكلونه نيئاً ويحفظون البعض الآخر في الملح، وكانوا يأكلون السمك المملح في أعيادهم وكانوا يفضلون نوعاً معيناً لتمليحه وحفظه للعيد، أطلقه عليه اسم (بور) وهو الاسم الذي صور في اللغة القبطية إلى (بور) وما زال يطلق عليه حتى الآن والسمك المحتفظ فيه بالملح يعنى (الملوحة) أو (الفسیخ)

كما ورد في بردية "إبيرس" الطيبة أن السمك المملح كان يوصف للوقاية والعلاج من بعض أنواع حميات الربيع.

وقد برع المصري القديم في حفظ الأسماك وتمليحها وتجفيفها وصناعة الفسیخ والملوحة واستخراج البطارخ.

كما ظهر الفسیخ أيضاً مع بدء الاحتفال بعيد الخلق، كأحد الشعائر المرتبطة بالعقيدة، ففي الأسرة الخامسة عند بدأ الاهتمام وتقديس النيل نهر الحياة (الإله حمسى) الذي ورد في متونه المقدسة أن الحياة في الأرض بدأت في الماء ويعبر عنها بالسمك الذي تحمله مياه النيل من الجنة حيث ينبع.

فإن المصريين القدماء يأكلون الفسیخ حيث يرون أكله مفيد أثناء تغيير فصول السنة.

شم النسيم والخس

نبات الخس من النباتات المحببة وقد اعتبره المصريون القدماء من النباتات المقدسة الخاصة بالمعبود (من) إله التنازل وبإكمال نموه ونضجه تعلن حلول

الربيع فإن الخمس أكلة فى هذا الفصل من السنة لنيد، فعرف المصريون
القدماء أن زيت الخمس يجلب الخصب والقوة الحيوية

فالعيد عند المصريون القدماء رمزاً للخضرة المحببة إلى نفوسهم ، وعلامة
بعث نبات جديد فقد عرف ابتداء من الأسرة الرابعة حيث ظهرت صورة من سلال
القرابين بورقة الأخضر الطويل وعلى موائد الاحتفال بالعيد. وكان يطلق عليه
بالهيريوغليفية "حب" كما اشتهرت بزراعة مدينة (خم - من) وهى (أخميم) أو
(أرض إله التناسل) وكذلك مدينة (فقط) ولدى الإله، ولا تزال هاتان المدينتان
تنتجان أجود أنواع الخمس والزيت إلى الآن.

كما ذكرت البرديات الطبية القديمة، بردية "إبيرس" الطبية قائمة من
التراكيب الطبية الخاصة بالخمس ومركباته وزيت بذوره الذى كان يستخدم المصرى
القديم فى الطعام والتدليك، كما وصف فى علاج أمراض كثيرة كأمراض الجهاز
الهضمى والعصبى وقرحة المعدة والأمراض الروماتيزمية، وكذلك لزيادة حيوية
الجسم الجنسية. وهكذا ينكشف سر اهتمام المصريين القدماء بالخمس وتقديسه
والاحتفال ببشائره فى قنوم عيد الربيع.

وأثبتت البحوث العلمية - فى السويد حديثاً - العلاقة بين الإله (إله التناسل
والخصب والقوة الحيوية) وبين الخمس فوجد أن زيت الخمس يحتوى على فيتامين
(هـ) بنسبة عالية وفيتامين (جـ) وأملاح وكالسيوم وفوسفور وحديد وبعض
الهرمونات للتناسل مما يستعمل حالياً فى علاج الضعف الجنسى.

فعيد شم النسيم من المصريين القدماء رمزاً للخضرة وبدء موسم الحصاد.
وبالإضافة إلى ذلك... فقد ظل شم النسيم عيداً للطبيعة والربيع منذ اجدادنا الفراعنة
حتى اليوم، عيداً قومياً لكل الديانات المصرية، فيخرج المصرى كما كان يفعل
أجداده القدماء إلى الحقول والحدائق يمرح ويلهو ويأكل الملانة - البصل - البيض
- الفسيخ - الخمس ويركبون القوارب على ضفاف نهر النيل.

الأعياد الدينية في مصر

اللغة القومسطة التي تسود مصر هي اللغة العربية، وهي اللغة الرسمية للدولة، الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، حيث يدين به حوالي (٩٣%) من سكان مصر، والدين المسيحي هي الديانة التالية لأدين بها (٦%) من السكان وهم على المذهب الأرثوذكسي، ويتبقى (١%) من السكان يدينون بالمسيحية على المذهبين الكاثوليكي والبروتستانتى، وعدد أقل من الروم وعدد ضئيل من اليهود.

تشهد مصر على مر تاريخها منذ دخولها فى حوزة العرب تعصباً أو صراعاً مذهبياً، بل على العكس تماماً الوحدة الوطنية والمحبة تسود بين عنصري السكان.

والأعياد الدينية عديدة فمنها الأعياد الإسلامية المتمثلة فى "عيد الفطر" والعيد الأضحى" وهى أعياد لها تاريخ وأصل.

أعياد الأقباط فى مصر "كالبشارة" و "الريتون" و "الفصح" و "خميس الأربعين" و "الميلاد" و "الغطاس" و "الختان" و "سبت النور" و "حد الحدود" و "التجلى" ... الخ.

وأعياد اليهود فى مصر متمثلة فى "رأس السنة" و "صوماريا" و "المظلة" و "الفطير" "الأسابيع" و "الفوز" و "الحنكة" ... الخ

(أ) هلال رمضان.. والشهر الكريم

رمضان اسم شهر الصوم عند المسلمين وهو من (رمض) إذا احترق والرمضاء شدة الحر وسمى بذلك لارتماضهم من حر الجوع والعطش ومقاساة شدته وسمى بذلك لأنه يرمض الذنوب أى يحرقها بالأعمال الصالحة . وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر .

فإن الأهلة مرئية للناس جميعاً والهلل لا يرى إلا عند غروب الشمس لهذا لزم أن يكن وقت المغرب مبدأ للشهر والشهر مركب من أيام فكان أول اليوم وقت غروب الشمس... وأيا منا فى الأرض ظل النظام الشمس ومقياس لدورة فلكية وجدت بعد خلق السماوات والأرض... وهى مقيسة بقدره دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس.

وأيام الله فى السماء غير أيامنا فهى مقيسة بقدره الله فى الكون وإبداعه فى كونه لا تقتضى إلا توجه الإدارة الإلهية والمرموز لها بلفظه (كن) فتتم الكينونة.. فيكون (الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش...) الآية ٥٩ سورة الفرقان.

وعند الحديث عن مواكب الرؤية لهلال شهر رمضان فى مصر، نتذكر الاحتفالات والمواكب الجميلة الرائعة... وهذه المواكب قد اختفت من حياتنا، ويبدو أن مواكب الرؤية فى رمضان سابق لمثله من المواكب التى نعرفها اليوم.

والليلة التى يتوقع أن يبدأ صبيحتها شهر "رمضان" تسمى "ليلة الرؤية" وفى أثناء النهار...؟ بعد الظهر أو قبل ذلك — يرسل عدد من الأشخاص إلى مسافة بضع أميال فى الصحراء، حيث الهواء شديد الصفاء، وذلك كي تشاهدوا هلال الشهر الجديد، إذ يبدأ الصوم عقب اليوم الذى يرى فيه الهلال.. فإذا حالت دون رؤيته سحب فى السماء، فغن الصوم يبدأ بعد مرور ثلاثين يوماً من بدء الشهر السابق... وتكفى شهادة مسلم واحد برؤية القمر لإعلان الصوم.

كان موكب الرؤية فى شهر رمضان، وهى رؤية هلال رمضان فى مصر أيام زمان، فنرى فى هذا الموكب السنوى كان أصحاب الصناعات والحرف يعدون عربات لكل حرفة... وكان "الكنفاني" يظهر فى أول الموكب ومعه فرن الكنافة الحقيقى محمولاً على عربة كارو كبيرة يجرها حصان... وهو يقوم بصنع الكنافة.

فى هذا الموكب تسير فيه عربات كثيرة كل الحرف والصناعات فى مشايخ صناع الحرير أمامهم المنسج... إلى النجار ومعه البنك والخشب والمنشار والفارة... إلى القباقيب يعرض القباقيب.. ويصنعها... إلى الجزار... والفطاطرى... والسماك... والشرباتلى... والقهوجى... والطرايشى... والزياتتين... والفكهانية... وجماعة من الموسيقين.

فكانت تخرج مواكب العربات من ميدان الخلق أمام محافظة القاهرة فى زفة كبيرة ويسير أمامهم ومن خلفهم حاملوا المشاعل لكى ينيروا لهم الطريق فى عودتهم ومن وراء هؤلاء يسير المشايخ وأصحاب الحرف، وهم يصيحون قائلين - الصلاة، الصلاة، صلوا على النبى عليه السلام وأمامه الموسيقىات وخيالة البوليس التى تحوطه حتى يصل إلى ميدان القلعة ساعة الغروب ثم تعلن رؤية الهلال... حين يصل نبا الهلال إلى ساحة القاضى وينقسم الجنود من معهم لفريقين، يعود إحداهم إلى القلعة... وتطلق المدافع من القلعة... أما الباقون فيطوفون بأحياء المدينة وهم يصيحون يا أمة خير الأنام، صيام، صيام، صيام، وإذا تثبت رؤية الهلال فى تلك الليلة تكون الصبيحة هى: غداً شهر شعبان، فطار، فطار، فطار. وفى حالة رؤية الهلال... ويتبادل الناس التهنئة بشهر الصوم المبارك... وتزغرد النساء ثم تسهر المدينة حتى وقت السحور... وتصبح مدينة القاهرة شعلة من نور وضياء... وتفتح الدكاكين وتعم الفرحة.

وقضاء المساجد والمآذن وتظل قضاء كل ليلة من ليالى شهر رمضان، وفى كل ليلة من الشهر الكريم يطوف "المسحراتى" وكان كل حى من أحياء القاهرة مسحراتى خاص به يبدأ المسحراتى بطواف البيوت بعد صلاة العشاء بوقت قصير... بيده اليسرى طبلعة صغيرة تسمى (اياز) أو طبلعة المسحراتى وفى يده اليمنى عصى صغيرة أو سير من الجلد يضرب به على الطبلعة ويصحب المسحراتى غلام يحمل قنديلين فى إطار من الجريد ويقف المسحراتى والغلام عد أبواب المسلمين، يضرب على الطبلعة ثم ينشد قائلاً.

- يا سعد مين يقول لا إله إلا الله ثم يضرب على الطبللة بالنغمة نفسها ويقول:
- "محمد الهادى" رسول الله وبعد أن يضرب على الطبللة، يواصل الشهادة قائلاً:
- أسعد الليالى لك يا فلان... ويذكر اسم صاحب البيت والأولاد ما عدا اسم النساء... وبعد كل تحية يضرب على الطبللة ثم يختم تحيته وإنشاده بقوله:
- ابقاكم الله ايا كرام، كل عام.
- يا سعد مين يقول لا إله إلا الله "محمد الهادى" رسول الله ثم يغنى شعراً غير موزون، بيدوه بأن يناشد الله أن يعفو عن خطاياهم، ويصلى على النبى، ثم يأخذ فى سرد قصة "المعراج" وغيرها من القصص التى تدور حول المعجزات، وبعد كل مقطع من مقاطع القصيدة يضرب على الطبللة.
- وفى العيد يأخذ المسحراتى من كل بيت من بيوت الطبقة المتوسطة ثلاثة أو أربعة قروش ويأخذ نصيب أكبر من طبقة الأغنياء.
- وأعظم الاحتفالات التى تقام فى شهر رمضان... تقام فى ليلة القدر ليلة السابع والعشرين من رمضان.
- إنها ليلة القدر التى هى "خير من ألف شهر" والتى تنزل الملائكة والروح فيها بإذن من ربهم من كل أمر" والتى "سلام هى حتى مطلع الفجر"
- ونحن إذ نحتفل بهذه الليلة المباركة، إنما نحتفل بفجر ديننا العظيم؟، وبإشراق نور العقيدة السامية، وأن نتذكر فى هذه الليلة المباركة تلك المبادئ القويمة التى أرساها القرآن الكريم، وأن يتوقف كل منا لى يراجع نفسه ويحاسب ضميره، وأن يتمسك بالاعتداء بالمثل العليا؟، فالمبادئ التى جاء بها القرآن الكريم، والتقىم التى أرساها وطبقها نبينا العظيم، هى التى جمعت العرب بعد الفرقة، وهى التى أخرجتهم من البداوة والقبلية، إلى الحضارة والمدنية، وهى التى هدت العرب

بعد الضلال، وعلمتهم بعد الجهالة، وهى التى حررت المستعبدين، وحقت العدل للمظلومين، وأكدت الماواة بين الناس أجمعين.

وفى لىالى الوتر من أواخر "شهر رمضان" يختم القرآن الكريم وإنه جرت العادة أن أى أنسان يهدى لا هديه لآبد أن يغفلها ويظهرها بمظهر طيب، وهذا ما كان من الله سبحانه فى التكريم لكتاب الله حيث جعل ليلة القدر مباركاً غلاًفاً وغطاء وصندوقاً لهذا الكتاب العزيز، وهذا يدعونا إلى أن نكرم القرآن ونكرم حفظته ونعلى من شأنه حتى يظل القرآن محفوظاً فى الصدور ومثله يقام فى استهلال شهر شوال مفتتح أشهر الحج.

(ب) أعياد المسلمين

قال الشيخ أبو العباس أحمد القلقشندي أعلن أن الذى وردت به الشريعة وجاءت به السنة عيدان هما:

١- عيد الفطر

٢- عيد الأضحى

والسبب فى اتخاذها ما رواه أبو داود فى سننه عن أنس بن مالك رضى الله عنه "أن الرسول ﷺ قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما فقال: ما هذان اليومان؟ فقالوا: كنا نلعب فيهما فى الجاهلية.

فقال: رسول الله ﷺ

"إن الله عز وجل قد بد لكم خيراً منهما، يوم الأضحى، ويوم الفطر.

عيد الفطر:

ناول ما بئ به من العيدين: عيد الفطر، وذلك فى سنة اثنتين من الهجرة لما كان صبيحتهما وقضى الناس من صلاة الفجر... لبس الناس أثواب عيدهم، وبادروا لأخذ مصافهم لصلاة العيد بالمساجد... وقد وعد الله تبارك وتعالى عباده الصائمين،

كما جاء في الحديث الشريف بفرحتين: أولاهما فرحة الفطر، والأخرى: فرحة اللقاء بالله يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وفرحة الفطر لها صورتان: فرحة تتكرر مع إقطار الصائم كل يوم بما يستشعره من الإحساس بأداء الواجب العظيم، والنهوض بالمهمة الكبيرة، والعبء الثقيل، وفرحة شاملة غامرة عندما ينتهى الشهر الكريم، وقد يخلص منه العباد الصائمون بخيرات فعلوها وعبادات أخلصوا فيها، وأحسنوا استثمار أيام الشهر الكريم ولياليه.

وكان دعاء هذه الفرحة هو غرة الشهر التالى لذلك الشهر، الذى يعد أعظم موسم من مواسم البر والخير والبركات.

والصائمون الصادقون جديرون بهذه الفرحة الكريمة، لأن الفرحة الصحيحة التى يباركها الله، وتعاير روح التدين الصحيح هى الفرحة ببلوغ الهدف، وتحقيق الغاية، ونجاح القصد الذى يسعى إليه.

ومن مظاهر السمو فى دين الله تبارك وتعالى أن الله سبحانه وتعالى — جعل أعياد هذه الأمة وأيام بهجتها ومسيرتها، مقترنة بالعبادات ذات الشأن والتميز، فعيد الفطر يلى شهر الصيام وعيد الأضحى مع عبادة الحج.

وللعيد فى الإسلام شعائر متميزة هى بمثابة معالم لبهجة الإيمان عندما تحتوى المشاعر فى مجتمع المؤمنين.

فى بدايتها التكبير والتهليل والتوحيد من طلوع الفجر حتى يفرغ الناس من صلاة العيد، ثم الإقطار قبل الذهاب للمصلى على تمر أو ماء، إعلاناً لأولى الفرحتين التى أعلن عنها النبى ﷺ فى الحديث الشريف: قال: للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه.

وصلاة العيد تعبير عن اجتماع المسلمين في هذه الفرحة الغامرة في إطار هذه الصلاة التي لها سمت خاص، وتتلوها خطبة تذكر المسلمين بما يجب عليهم اتباعه والحرص عليه من سلوكيات.

وأقبل عيد الفطر في كل منزل بفرح وتهليل وتغريد بلبل
وكبر كل المسلمين بفجره وقد علت الآيات في كل محفل
وبعد امتناع عن شراب ومأكـل تمتع قومي باللذيق المحال
وبعد امتناع النفس عن كل شهوة غدت في النعيم المستباح الممول
فيا نفس قد عدنا بفوز مؤكد وفزت أخيراً بالنجاح المنول
علوت على الأحقاد بالصوم والتقـى وعيدك شكر في الطريق المنذل
يذكرنا بالخير في حسن مطلق فنسعد دوماً بالثواب المحصل
قفي العيد نلقى كل طفل وطفلة ببسمة إشراف السعيد المهـل
وفي العيد تحيا في شموخ وعزة ونتلو قرأنا تنازل من عل
وتسعد أرملة بخير تعاطف يحل عليهما من كريم مـجل
فإن عم كل المسلمين تراحم فصرح الوفا والحب لم يتزلزل

ومن مظاهر الاحتفال في عيد الفطر صناعة الكعك. وهي من أقدم العادات التي عرفت عن المصريين القدماء. حيث لازمت الاحتفال بأفراحهم.. ذلك بخلاف تفننهم في صنع الفطائر والحلويات التي اشتهروا بها في حياتهم العامة.

فصناعة كعك عيد الفطر لا تختلف كثيراً عما كان في مصر القديم، فإن صناعته امتداد للتقاليد الموروثة.

فالكعك يشكل على أقراص بمختلف الأشكال الهندسية والزخرفية، كما كان البعض يصنع على شكل حيوانات أو أوراق الشجر أو بعض أشكال الزهور، وهذه العادة مألوفة حتى اليوم، كما كانوا يقومون بحشو أقراص الكعك بالتمر (المعجوة) ويزخرفونه بالفواكه المخففة (النبق — الزبيب)

وهناك نوع آخر من الفطائر (الشريك) ظوهرى خاصة عند زيارة المقابر فى أول يوم عيد الفطر والعجيب أن الشريك مازال محتفظاً بشكله القديم، أو تميمة عقدة "إيزيس" القديم، أو تميمة عقدة "إيزيس"

عيد الأضحى

روى ابن باطيش فى كتاب الأوائىل: أن أول عيد ضحى فيه رسول الله ﷺ سنة اثنتين من الهجرة وخرج إلى المصلى للصلاة.

عيد الضحى من أجل أعياد المسلمين وأبلغها فى حياتهم أثراً، وأبجلها فى نفوسهم دلالة... تجمعت فيه مبادئ الإسلام وغاياته... حيث ترقى شعور الناس بالضحية وفهمهم الصحيح لمعناها مع ارتقائهم فى التدين واستعدادهم للاعتقاد الدينى الأرقى من تلك الطبقة الهمجية فإن التضحية فى الإسلام فهى شكر وصدقة وإحسان.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ﴾ (سورة الحج - الآية ٢٨)

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْرُكَ ذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ *

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي هِيَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِزُلْمٍ﴾ (سورة الحج - الايتان ٣٦-٣٧)

فالضحية الكبرى هى التقوى، وإنما هذه الضحايا وسيلة من وسائل الشكر والإحسان... وليس من عقائد الإسلام أن الضحية تكفر عن الذنوب ولا أنها ترد القضاء، ولمكنها عطية واجبة تؤدى جانباً من جوانب البر وترمز إلى الجانب الأكبر منها، وهو تضحية الإنسان بنفسه فى سبيل الله.

ويبلغ اهتمام المسلمين بعيد الأضحى اهتمامهم بليلة القدر... ويحرص كل رب أسره قادر على أن يشتري شاة يضحي بها... فإذا تصادف أن تسير فى الميادين والشوارع فى إحدى الليالى التى تسبق العيد مباشرة فنسمع ثغاء شاة فى أحد المنازل فتترد عليها ثانية، ثم تجاوبها ثالثة وهكذا يظل الصوت ينتقل من

مسكن إلى آخر حتى لكانها جميعاً تؤلف فرقة موسيقية متفاهمة فإذا كان ضحى العيد انقطعت جميع هذه الأصوات.

حيث يعود الأب من صلاة العيد ليأشر ذبح الأضحية، ويقوم بالذبح عادة جزارون محترفون يذهب الواحد منهم إلى المنزل. ويذبح الشاة، وحينما يصفى دمها يعلقها من رجليها الخلفيتين، ثم تتفخ، ثم يسلخ جزءاً يسيراً من الفخذين والظهر، ويمسك طرف الفخذ بيده، ويضع ذراعه الأخرى مكان الجزء المسلوخ، ثم يجذب الجلد سريعاً إلى أسفل فيتم السلخ بسهولة، ثم يستخرج الأمعاء والقلب.

(ج) أعياد القبط في مصر

قبط مصر فرق متعددة.. وهي "المكانية" و "النسطورية" و "اليقوبية" و "المرقولية" و "البوزعانية" و "الرهاويون"

ومع دخول الإسلام مصر كان النصارى قسمين متباينين في عقائدهم وأجناسهم. القسم الأول: الروم... وهم أهل الدولة... وعدتهم تزيد على ثلاثمائة ألف رومى، وهم من جند صاحب القسطنطينية ملك الروم

القسم الثانى: القبط... وهم عامة أهل مصر.. أنسابهم مختلطة.

- أن للنصارى سبع صلوات، وصيامهم خمسون يوماً الثانى والأربعون منه عيد الشعانين" وهو اليوم الذى نزل فيه المسيح من الجبل ودخل بيت المقدس.
- وبعده بأربعة أيام "عيد الفصح" وهو اليوم الذى خرج فيه موسى وقومه من مصر.
- وبعده بثلاثة أيام "عيد القيامة" وهو اليوم الذى فرج فيها المسيح من القبر — بزعمهم.
- وبعده بثمانية أيام "عيد الحديد" وهو اليوم الذى ظهر فيه المسيح لتلاميذه بعد خروجه من القبر.
- وبعده بثمانية وثلاثين يوماً "عيد السلاق" وهو اليوم الذى لحق فيه المسيح إلى السماء.

"عيد الصليب" وهو ذلك اليوم الذى وجدت فيه خشبة الصليب وعندهم "عيد الميلاد" و"عيد الذبح"

ولرجال الدين درجات وهى: البطريق.. مطران.. أسقف.. فسيسى.. شماس..

وعندما دخلت المسيحية مصر تصادف مجئ يوم شم النسيم خلال أيام الصوم الكبير، فتأجل الاحتفال به إلى ما بعد أيام الصوم، ومن ذلك أصبح الاحتفال بعيد شم النسيم يوم الاثنين من كل عام الذى يلى الاحتفال بعيد القيامة.

وتتعدد أعياد القبط كثيرة، وسوف نحاول ذكرها وسردها من خلال شهور القبط مع ذكر غيرها، وسوف نذكر كل عيد منها فى يومه فى شهور القبط، فمنها ما لا يتعلق بوقت مقيد كالصح الأكبر فهو متعلق بفطرم من صومهم الأكبر، وهو غير مؤقت بوقت معين بل يتغير بالتقديم والتأخير قليلاً على ما سيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى، فإن أعياد القبط على ضربين كبار وصغار وهى على النحو التالى:

الضرب الأول الكبار: هى سبعة

العيد الأول: البشارة:

واصل هذا العيد هو بشارة غبريال (وهو جبريل على زعمهم) "لمريم" عليها السلام بميلاد "عيسى" صلوات الله عليه يعملونه فى التاسع والعشرين من برمهات من شهور القبط.

العيد الثانى: الزيتونة

وهو عيد الشعانين، وتفسيره بالعربية، التسبيح.. يعملونه فى سابع أحد من صومهم وسنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة، وهو يوم ركوب "المسيح" لليعفور، (وهو الحمار) فى القدس ودخوله (صهيون) وهو راكب والناس يسبحون بين يديه، يأمر بالمعروف ويبحث عن عمل الخير وينهى عن المنكر.

العيد الثالث: الفصح

وهو العيد الكبير عندهم ويقولون: إن المسيح عليه السلام عندما تملاً اليهود عليه، واجتمعوا على تضليله وقتله... قبضوا عليه وأحضروه إلى خشبة ليصلب عليها، فصلب على خشبة عليها لسان.

وعندما أن الله تعالى رفعه عليه، ولم يقتل... وأن الذي صلب على الخشبة مع الناصين، كان غير المسيح ألقى الله عليه شبح المسيح.

العيد الرابع: خميس الأربعين

ويسميه الشاميون السلاق: وهو الثاني والأربعون من القطر. ويقولون: إن "المسيح" عليه تساق فيه من تلاميذه إلى السماء بعد القيام، ووعدهم بإرسال القار قليط وهو روح القدس عندهم.

العيد الخامس: عيد الخميس

وهو العنصرة ويعملونه بعد خمسين يوماً من يوم القيامة. وقصة هذا العيد ترتبط في أذهانهم بمعتقد ملخصه: أنه بعد عشرة أيام من الصعود وخمسين يوماً من قيامة المسيح اجتمع التلاميذ في علوة صهيون فتجلى لهم روح القدس في شبه لسان من نار فامتقوا من هذا الروح وتكلموا بجميع اللسان، وظهرت على أيديهم آيات كثيرة مما سبب عداة اليهود لهم وحبسهم على أيديهم، ولكن الله نجاهم فخرجوا من السجن وصاروا في الأرض متفرقين يدعون الناس إلى دين "عيسى بن مريم".

العيد السادس: الميلاد

ويقول النصارى: إن أصل الاحتفال بهذا العيد هو أنه اليوم الذي ولد فيه المسيح ويقام يوم فيحتفلون به عشية الليلة حيث يشعلون الوقود بالكنائس ويزينوها بالثريات.

العيد السابع: الغطاس

يعملونه فى الحادى عشر من طوبه، من شهور القبط.

يقولون: إن "ردى بن زكريا" عليه السلام — وينعتونه بالمعمدان غسل "عيسى" عليه السلام ببخيرة الأردن، وأن "عيسى" لما خرج من الماء اتصل به روح القدس على هيئة حمامة، والنصارى يغمسون أولادهم فيه فى الماء على أنه يقع فى شدة البرد، إلا أن عقبه يحمى الوقت.

يقولون المصريون:

"غطستم صيفتم، ونورزتم شتيتم:

الضرب الثانى: من أعياد القبط الأعياد الصغار وهى سبعة أيام

العيد الأول: الختان

يعملونه فى سادس بؤونه من شهور القبط ويقولون: إن المسيح ختن فى هذا اليوم وهو الثامن من الميلاد.

العيد الثانى: الأربعون

يعملونه فى الثامن من أشهر أمشير من شهور القبط، ويقولون إن سمعان الكاهن دخل بعيسى عليه السلام مع أمه بعد أربعين يوماً من ميلاده الهيكل وبارك عليه.

العيد الثالث: خميس العهد

يعملونه قبل الفصح بثلاثة أيام، وشأنهم أن يأخذوا إناء ويملؤوه ماء، ويؤزموا عليه، ثم يغسل البطريق به أرجل جميع النصارى الحاضرين.

ويؤرمون أن المسيح عليه السلام فعل هذا بتلاميذه فى هذا اليوم يعلمهم التواضع، وأخذ عليهم العهد أن لا يتفرقوا، وأن يتواضع بعضهم لبعض.

والعامّة من النصارى يسمون هذا الخميس (خميس العدى)، وهو يطبخون فيه العدى على ألوان.

العيد الرابع: سبت النور

هو واحد من الأعياد الصغار عند الأقباط (وهى عيد الختان، عيد الأربعين، خميس العهد، سبت النور، أحد الحدود، والتجلى، عيد الصليب).

ويحتفل الأقباط بسبت النور قبل الفصح بيوم واحد.. وأصل هذا العيد ما يعتقدونه فى أن النور يظهر على قبر المسيح فى هذا اليوم بكنسية القيامة فتشتعل مصابيح الكنيسة كلها.

فيه الشموع وبتوصيل بعض القوم إلى أن يعلق النار بطرف الشريط الحديد فتسرى عليه فتتقد القناديل واحداً بعد واحد، إذ من طبيعة دهن اللسان علوق النار فيه بسرعة مع أدنى ملامسة، فيظن من حضر من نوى العقول الناقصة أن النار نزلت من السماء فأوقدت القناديل.. فالحمد لله على الإسلام.

العيد الخامس: حد الحدود

وهو بعد الفصح بثمانية أيام، أيام يعملونه أول أحد بعد الفطر: لأن الأحاد قبله مشغولة بالصوم وفيه يجددون الآلات، وأثاث البيوت، ومنه يأخذون فى الاستعداد للمعاملات والأمور الدنيوية. كما المقريزى.

العيد السادس: التجلى

ويعملونه فى الثالث عشر من مسرى من شهور القبط.. وآخره السابع والعشرون.

يقولون: إن المسيح عليه السلام تجلى لتلاميذه بعد أن رفع فى هذا اليوم وتمنوا عليه أن يحضر لهم "إيليا" و "موسى" كليهما السلام، فأحضرهما لهم بمصلى بيت المقدس ثم صعد، وصعدا.

العيد السابع: عيد الصليب

وهو فى السابع عشر من توت من شهور القبط والنصارى.

قصة هذا العيد بدت بعد ولادة المسيح بـ ٣٢٨ سنة

وقد روى المؤرخ "ابن رزق": "أم الملك قسطنطين الأكبر" عندما ذهبت إلى كنيسة القيامة ببيت المقدس وجدت هناك الخشبتين اللتين صلب عليهما المسيح، وخشبة ثالثة أخرى يزعم النصارى أن ثلاثة أموات ألقوا على تلك الأخشاب فعادوا أحياء في الحال.

ولما رأت الملك "هيلانة" ذلك، صنعت لتلك الأخشاب أغلفة من ذهب، وانتهاز النصارى ذلك اليوم واتخذوه عيداً سموه عيد الصليب.

وكان ذلك — كما ذكرنا — بعد ولادة المسيح بـ ٣٢٨ سنة.

يقولون: إن "قسطنطين بن هيلاني" انتقل عن اعتقاد اليونان أى اعتقاد النصرانية، وبنى كنيسة قسطنطينية العظمى وسائر كنائس الشام.

ويزعمون أن سبب مذك أن كان مجاوراً للبرجان — جنس من الروم — فضاق بهم ذرعاً من كثرة غاراتهم على بلاده فهم أن يصانعهم ويفرض لهم عليه إتابة في كل عام ليكفوا عنه.

فراى ليلة فى المنام أن الملائكة نزلت من السماء، ومعها أعلام عليها صلبان فحاربت البرجان فانهزموا، فلما أصبح عمل أعلاماً وصور فيها صلباناً، ثم قاتل بها البرجان فهزمهم، فسأل من كان فى بلده من التجار: هل يعرفون فيما طافوه من البلاد ديناً هذا زيه؟ فقالوا له: دين النصرانية، وإنه فى بلد المقدس والخليل من أرض الشام.. فأمر أهل مملكته بالرجوع عن دينهم إليه، وأن يقصوا شعورهم، ويتحلقوا لحاهم، وإنما ذلك لأنهم يزعمون أن رسل "عيسى" عليه السلام كانوا قد وردوا على اليونان قبل يأمرونهم بالتعبد بدين النصرانية فأعرضوا عنهم ومثلوا بهم. هذه المثلة نكالا لهم، ففعلوا ذلك تأسيماً بهم.

ولما تنصر قسطنطين خرجت أمه "هيلاني" إلى الشام، فبنت به الكنائس، وسارت إلى بيت المقدس وطلبت الخشبة التى زعمت النصارى أن "المسيح" صلب عليها، فحملت إليها فغشتها بالذهب، واتخذت ذلك اليوم عيداً.

وقد صار من أعيادهم المشهورة بالديار المصرية، النيروز، وهو أول يوم من سنتهم، وأن لفظة النيروز فارسية معربة، وكان القبط — والله أعلم — اتخذوا ذلك على طريقة الفرس واستعاروا اسمه منه فسموا اليوم الأول من سنتهم أيضاً نيروزاً، وجعلوه عيداً.

قال فى "مناهج الفكر" وهم يظهرون فيه من الفرح والسرور، وإيقاد النيران، وصب الأمواه أضعاف ما يفعله الفرس، ويشاركهن فيه العوام من المسلمين.

قال المسعودى:

وأهل الشام يعملون مثل ذلك فى أول سنتهم أيضاً، وهو أول يوم من يناير من شهور الروم ويوافق كانون الثانى: وهو الشهر الرابع من شهور السريان وذلك فى السادس من طوبة من شهور القبط ويسمونه (القلنداس)، إلا أن أهل مصر يزيّدون فيه التصافح بالأنطاع، وربما حملهم ترك الاحتشام على أن يتجرأوا على الرجل المطاع، ولولا أن ولاية الأمر يردعوهم، ويمنعوهم من ذلك، لمنعوا الطريق من السالك، ومع ذلك من ظفروا به لا يتركونه إلا بما يرضيهم.

والذى أستقر عليه الحال بالديار المصرية إلى آخر سنة إحدى وتسعين وسبعائة أنهم يقتصرون على رش الأمواه والتصافح، وترك الاحتشام دون إيقاد النيران، إلا من ذلك من النمصارى فى بيته أو خاصته.

مواسم وأعياد مرتبة حسب شهور القبط:

- عيد سيفورس، وعيد متى الإنجيلي وهما فى الثانى من توت
- عيد سمعان الحبيس وهو فى الرابع من توت
- عيد ماما وهو فى الخامس من توت
- عيد شعبا وهو فى السادس من توت
- عيد ساويرس وهو فى السابع من توت

- * عيد "موسى" النبى عليه السلام وهو فى الثامن من توت
- * عيد توما التلميذ وهو فى التاسع من توت
- * وخروج "توع عليه السلام من السفينة، ومولد مريم عليها السلام وهو فى العاشر من توت
- * عيد باسيليوس وهو فى الحادى عشر من توت
- * عيد ميخائيل وصوم جدليا وهو فى الثالث عشر من توت
- * عيد سمعان الحبيس وعيد تادرس الشهيد وهو فى الرابع عشر من توت
- * عيد اسفانوس وهو فى السادس عشر من توت
- * صوم كبور وهو فى العشرين من توت
- * نباحة أبى جرج وهو فى الثانى والعشرين من توت
- * عيد أولاد الفرس وهو فى الثالث والعشرين من توت
- * عيد الیصابات وهو فى السادس والعشرين من توت
- * عيد أسطأتوا، وانتقال یوحنا وهو فى السابع والعشرين من توت
- * عيد جروفون وهو فى أول بابہ.
- * عيد سوسنان وهو فى الثانى من بابہ.
- * عيد یعقوب بن حلفا وهو فى الخامس من بابہ.
- * عيد أبوبولا وهو فى السابع من بابہ.
- * عيد توما وهو فى الثامن من بابہ.
- * عيد أبى مسرجة وهو فى العاشر من بابہ.
- * عيد یعقوب وهو فى الحادى عشر من بابہ.
- * شهادة متى وهو فى الثانى عشر من بابہ.
- * عيد الفرات وهو فى الثالث عشر من بابہ.
- * شهادة یوحنا وهو فى العشرين من بابہ.
- * تذکار السيدة وو فى الحادى والعشرين بابہ.
- * عيد لوقا وهو فى الثانى والعشرين من بابہ.

- * عيد أبى جرج
- * دخول السيدة الهيكل
- * عيد يعقوب ويوسف
- * عيد أبى مقار
- * عيد مرقص.
- * عيد بطرس البطريرك
- * عيد زكريا
- * اجتماع التلاميذ
- * تكريز أبى جرج
- * عيد الأربع حيوانات
- * تذكار الثلاثمائة وثمانية عشر
- * نياحة إسحاق
- * عيد ميكائيل
- * شهادة أبى مينا
- * عيد فيلبس الرسول
- * عيد أساسياس
- * عيد شمعون
- * تذكار الشهداء
- * عيد مركوريوس
- * عيد أبى مقورة
- * عيد أنفانوس
- * عيد يعقوب المقطع
- * عيد ياهور
- * عيد أندراس
- * عيد سبورس
- * وهو فى الثالث والعشرين من بابه.
- * وهو فى الخامس والعشرين من بابه.
- * وهو فى السادس والعشرين من بابه.
- * وهو فى السابع والعشرين من بابه.
- * وهو فى آخر يوم من بابه.
- * وهو فى أول يوم من هاتور.
- * وهو فى الرابع من هاتور.
- * وهو فى السادس من هاتور.
- * وهو فى السابع من هاتور.
- * وهو فى الثامن من هاتور.
- * وهو فى التاسع عشر من هاتور.
- * وهو فى العاشر من هاتور.
- * وهو فى الثانى عشر من هاتور.
- * وهو فى الخامس عشر من هاتور.
- * وهو فى التاسع عشر من هاتور.
- * وهو فى العشرين من هاتور.
- * وهو فى الحادى والعشرين من هاتور.
- * وهو فى الثانى والعشرين من هاتور.
- * وهو فى الرابع والعشرين من هاتور.
- * وهو فى الخامس والعشرين من هاتور.
- * وهو فى السادس والعشرين من هاتور.
- * وهو فى السابع والعشرين من هاتور.
- * وهو فى الثانى من كيهك.
- * وهو فى الرابع من كيهك.
- * وهو فى الخامس من كيهك.

- * عيد بارة
- * عيد ايامين
- * عيد أيامين
- * عيد مارى نقولا
- * سمعان
- * نياحة يوحنا
- * صوم الميلاد
- * قتل الأطفال
- * عيد يوحنا الإنجيلي
- * عيد توما
- * عيد الختان
- * عيد ابراهيم
- * صوم الغطاس
- * صوم العذارى
- * عيد ملسوس
- * عيد غاريوس
- * عيد قيلانوس
- * عيد يوحنس
- * نزول الإنجيل، وتذكار السيدة
- * صوم نينوى
- * مقتل يحيى
- * عيد أبى بشارة
- * عيد الشهداء
- * عيد طيمارس
- * آخر نياحة نقولا
- * وهو فى السابع من كيهك.
- * وهو فى الثامن من كيهك.
- * وهو فى الثامن من كيهك.
- * وهو فى العاشر من كيهك.
- * وهو فى الرابع عشر من كيهك.
- * وهو فى السادس عشر من كيهك.
- * وهو فى الثالث والعشرين من كيهك.
- * وهو فى الثالث من طوبة.
- * وهو فى الرابع من طوبة.
- * وهو فى السابع من طوبة.
- * وهو فى الثامن من طوبة.
- * وهو فى التاسع من توبة.
- * وأوله العاشر من طوبة.ط
- * وهو فى الثالث عشر من طوبة.
- * وهو فى الرابع عشر من طوبة.
- * وهو فى الخامس عشر من طوبة.
- * وهو فى السادس عشر من طوبة.
- * وهو فى التاسع عشر من طوبة.
- * وهو فى العشرين من طوبة.
- * وهو فى الحادى والعشرين من طوبة.
- * وهو فى الرابع والعشرين من طوبة.
- * وهو فى الخامس والعشرين من طوبة.
- * وهو فى السادس والعشرين من طوبة.
- * وهو فى السابع والعشرين من طوبة.
- * وهو اليوم الآخر من طوبة.

- * عيد العذارى وعيد يهوذا
- * عيد مقار
- * نياحة تيارس
- * نياحة برصوما
- * عيد بيطن، وشهادة يعقوب
- * عيد أبى مسرجة
- * عيد فلانوس
- * عيد يعقوب الرسول
- * عيد بطرس الشهيد
- * نزول السيدة من الجبل
- * شهادة سدرس
- * وجود رأس يوحنا
- * عيد الجبانة
- * عيد أرماتوس
- * عيد المعمودة
- * ظهور الصليب
- * عيد أبى مينا
- * عيد ميلأخى
- * عيد إلياس الشهيد
- * نياحة بولس
- * عيد العازر
- * عيد الشعانين
- * عيد المرسونة
- * غسل الأرجل
- * جمعة الصليبوت
- * وهما فى الأول من أمشير.
- * وهو الثانى من أمشير.
- * وهو فى السادس من أمشير.
- * وهو فى التاسع من أمشير.
- * وهما فى العاشر من أمشير.
- * وهو فى الرابع عشر من أمشير.
- * وهو فى السادس عشر من أمشير.
- * وهو فى السابع عشر من أمشير.
- * وهو فى التاسع عشر من أمشير.
- * وهو فى الحادى والعشرين من أمشير.
- * وهو فى السادس والعشرين من أمشير.
- * وهو فى اليوم الآخر من أمشير.
- * وهو فى الثالث من شهر برمهاث.
- * وهو فى السابع من برمهاث.
- * وهو فى التاسع من برمهاث.
- * وهو فى العاشر من برمهاث.
- * وهو فى الحادى عشر من برمهاث.
- * وهو فى الثانى عشر من برمهاث.
- * وهو فى السابع عشر من برمهاث.
- * وهو فى الثانى والعشرين من برمهاث.
- * وهو فى الثالث والعشرين من برمهاث.
- * وهو فى الرابع والعشرين من برمهاث.
- * وهو فى الخامس والعشرين من برمهاث.
- * وهو فى الثامن والعشرين من برمهاث.
- * وهو فى التاسع والعشرين من برمهاث.

- * عيد مرقص الإنجيلي
- * عيد توما البطريرك
- * عيد حزقيال النجيب
- * عيد مرقص
- * الأخذ بالجديد
- * عيد يوحنا الأسقف
- * عيد جرجس
- * عيد أبى متى
- * عيد يعقوب، عيد سنوطة
- * ذكران الشهداء
- * عيد ساويرس
- * عيد أبى نيطس
- * عيد أصحاب الكهف
- * عيد مرقص الإنجيلي
- * عيد تيارس
- * عيد شمعون
- * عيد الحننس
- * نياحة يعقوب
- * عيد دفرى سوه
- * عيد أساسياس
- * صعود المسيح عندهم
- * عيد دير القصير
- * نزول السيد إلى مصر
- * عيد سوس
- * عيد توما التلميذ
- * وهو فى اليوم الأخير من برمهاب
- * وهو فى الثانى من برمودة.
- * وهو فى الخامس من برمودة.
- * وهو فى السابع من برمودة.
- * وهو فى الثامن من برمودة.
- * وهو فى الحادى عشر من برمودة.
- * وهو فى الثالث عشر من برمودة.
- * وهو فى السادس عشر من برمودة.
- * وهو فى التاسع عشر من برمودة.
- * وهو فى الحادى والعشرين من برمودة.
- * وهو فى السادس والعشرين من برمودة.
- * وهو فى السابع والعشرين من برمودة.
- * وهو فى التاسع والعشرين من برمودة.
- * وهو فى اليوم الأخير من برمودة.
- * وهو فى الثانى من بشنس.
- * وهو فى الثالث من بشنس.
- * وهو فى الرابع من بشنس.
- * وهو فى السابع من بشنس.
- * وهو فى السادس من بشنس.
- * وهو فى السابع من بشنس.
- * وهو فى الثامن من بشنس.
- * وهو فى الحادى والعشرين من بشنس.
- * وهو فى الرابع والعشرين من بشنس.
- * وهو فى الخامس والعشرين من بشنس.
- * وهو فى السادس والعشرين من بشنس.

- * عيد سمعون العجاس
- * عيد طيمارس
- * عيد الورد باشا
- * عيد ابي مقار
- * وجود عظام لوقا
- * عيد توما وعيد مامور
- * عيد يوحنا، ونزول صحف ابراهيم (عليه السلام)
- * عيد ابي مينا
- * عيد اى مقار
- * عيد السيدة
- * عيد اتريب
- * عيد ابي مينا
- * تذكار تيادرس.
- * نياحة بولس.
- * عيد المعينة، وعيد القيصرية
- * عيد ابي سنوية
- * عيد اسنباط
- * شهادة هارون، وعيد سمعان
- * عيد تادرس نظيره
- * عيد ابي هور
- * عيد ابي مقار
- * عيد اقدام السريانى
- * عيد يوحنا وزكريا
- * عيد يعقوب التلميذ
- وهو فى السابع والعشرين من بشنس.
- وهو فى التاسع والعشرين من بشنس.
- وهو فى اليوم الأخير من بشنس.
- وهو فى الثانى من بؤونه.
- وهو فى الثالث من بؤونه.
- وهو فى الرابع من بؤونه.
- وهما فى التاسع من بؤونه.
- وهو فى الخامس عشر من بؤونه.
- وهو فى السادس عشر من بؤونه.
- وهو فى الحادى والعشرين من بؤونه.
- وهو فى الثالث والعشرين من بؤونه.
- وهو فى العشرين من بؤونه.
- وهو فى أول ابيب.
- وهو فى الثانى من ابيب والثالث منه أيضاً.
- وهو فى الخامس من ابيب.
- وهو فى السابع من ابيب.
- وهو فى الثامن من ابيب.
- وهو فى التاسع من ابيب.
- وهو فى العاشر من ابيب.
- وهو فى الثانى عشر من ابيب.
- وهو فى الرابع عشر من ابيب.
- وهو فى الخامس عشر من ابيب.
- وهو فى السادس عشر من ابيب.
- وهو فى السابع عشر من ابيب.

- * عيد بولاق
- * عيد تادرس الشهيد
- * عيد السيدة، وعيد ميخائيل
- * عيد سمعان البطرك، وعيد شنوده
- * عيد سمند
- * عيد مرقوريوس
- * عيد حزقيل النبي عليه السلام
- * رفعة إريس عليه السلام، وعيد مريم
- * حرم السيد
- * عيد الخندق
- * عيد أبى مينا
- * عيد سمعان المعمودى
- * دخول نوح السفينة.
- * عيد طور مينا، وعيد السيدة
- * عيد اللباس
- * شهادة أنطونيوس، وعيد العدوية
- * عيد يعقوب الشهيد
- * عيد أبى مقار
- * عيد إيسع
- * عيد أصحاب الكهف
- * صوم الأربعين
- * عيد الجوزة بدمشق
- * عيد صوفيل
- * عيد إبراهيم، وإسحاق
- * عيد موسى الشهيد وشهادة يوحنا
- وهو فى التاسع عشر من أيبب.
- وهو فى العشرين من أيبب.
- وهو فى الحادى والعشرين من أيبب.
- وهو فى الثالث والعشرين من أيبب.
- وهو فى الرابع والعشرين من أيبب.
- وهو فى الخامس والعشرين من أيبب.
- وهو فى السابع والعشرين من أيبب.
- وهو فى الثامن والعشرين من أيبب.
- وهو فى اليوم الأخير من أيبب.
- وهو فى اليوم الأول من مسرى.
- وهو فى اليوم الثانى من مسرى
- وهو فى الثالث من مسرى.
- وهو فى الثامن مسرى.
- وهو فى التاسع من مسرى.
- وهو فى العاشر من مسرى.
- وهو فى الخامس عشر من مسرى.
- وهو فى السابع عشر من مسرى.
- وهو فى الثامن عشر من مسرى.
- وهو فى التاسع عشر من مسرى.
- وهو فى العشرين من مسرى.
- وهو فى الحادى والعشرين من مسرى.
- وهو فى الثالث والعشرين من مسرى.
- وهو فى السادس والعشرين من مسرى.
- وهو فى الثامن والعشرين من مسرى.
- وهو فى اليوم الأخير من مسرى.

(د) أعياد اليهود في مصر:

والكنيسة كلمة عبرانية معناها بالعربية الموضع الذى يجتمع فيه للصلاة قال الزجاج: والصلوات بالعبرانية صلوات.. والموجود الآن بالقاهرة وضواحيها — فى عصر الزجاج — ثلاثون كنيسة، منها لليهود إحدى عشر كنيسة.. واحدة منها بدير الشمع وهى أقدمها، وعشرة بحارة اليهود بالقاهرة. وجميعها حادث.

والست عشرة لفرق النصارى من أقباط وأروام وشوام وإفرنج. والمقريزى أطال القول فيما يتعلق باليهود وتاريخهم وكنائسهم وأعيادهم وفرقهم وهم:

• الربانيون: قيل لهم ذلك لأنهم بنوا مقراً للدعوة.. ومعنى مقراً الدعوة.. وهم لا يعلمون على البيت الثانى جملة.. ودعوتهم إنما هى لما كان عليه العمل مدة البيت الأول.

• والعانيئة: ينسبون إلى عانان رأس الجالوت من أكبر أخبار اليهود.
• والسمرة: يقال أنهم من بنى سامرك، وهو شعب من شعوب الفرس، ويقال لهم: "السامرية".. وكانوا بمدينة شمرون أو سمرون بالسين المهملة وهى مدينة نابلس.

فى أعياد اليهود، وهى على ضربين

• الضرب الأول: ما نطقت به التوراة بزعمهم، وهى خمسة أعياد:

العيد الأول: رأس السنة

يعملونه عند رأس سنتهم ويسمونه عيد "إس هيشا" أى عيد رأس الشهر، وهو أول يوم من من تشرى يتنزل عندهم منزلة عيد الأضحى عندنا. ويقولون: إن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح "إسماعيل" ابنه فيه "وفديناه بذبح عظيم".

العيد الثاني: عيد صوماريا

ويسمونه "الكبور" وهو عندهم الصوم العظيم الذى يقولون: إن الله تعالى فرض صومه ومن لم يصمه قتل عندهم.

ومدة هذا الصوم خمس وعشرون ساعة يبدأ قبل غروب الشمس فى اليوم التاسع من شهر تشرى، وتختتم بمضى ساعة بعد غروبها فى اليوم العاشر، وربما سموه العاشر.

ويشترط فيه لجواز الإفطار عندهم رؤية ثلاثة كواكب عند الإفطار، وهى عندهم تمام الأربعين الثالثة التى صامها موسى عليه السلام.

ولا يجوز أن يقع هذا الصوم عندهم فى يوم الأحد ولا فى يوم الأربعاء ولا فى يوم الجمعة. ويزعمون أن الله يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم كما خلا الزنا بالمحصنة، وظلم الرجل أخاه، وجحد ربيبة الله تعالى.

العيد الثالث: عيد المظلة

وهو سبعة أيام أولها الخامس عشر من تشرى، وكلها أعياد عندهم، واليوم الآخر منها يسمى عرايا أى شجر الخلاف وهو أيضاً حج لهم، يجلسون فى هذه الأيام تحت ظلال من جريدة النخل وأغصان الزيتون والخلاف وسائر الشجر الذى لا ينتشر ورقه على الأرض، ويزعمون أن ذلك تذكار منهما لإظلال الله إياهم فى التيه بالغمام.

العيد الرابع: عيد الفطير

ويسمونه الفصح، ويكون فى السادس من نيسان، وهو سبعة أيام أيضاً يأكلون فيها الفطير. وينظفون بيوتهم فيها من خبز الخمير، لأن هذه الأيام عندهم هى الأيام التى خلاص الله فيها بنى إسرائيل من يد فرعون وأغرقه، فخرجوا إلى التيه، فجعلوا يأكلون اللحم والخبز، والفطير، وهم بذلك فرحون.. وفى أحد هذه الأيام غرق فرعون.

العيد الخامس: عيد الأسابيع

ويسمى عيد العنصرة وعيد الخطاب.. ويكون بعد عيد الفطر بسبعة أسابيع، وإتخاذهم لهذا العيد فى السادس من سيوان من شهور اليهود، وهو الثالث والعشرون كهيمون إصغاره واحتقاره حسداً له، وعزم على إهلاك طائفة اليهود التى فى جميع مملكة أردشير.. فرتب مع نواب الملك فى جميع الأعمال أن يقتل كل أحد منهم من يعلمه من اليهود، وعين له يوماً: وهو النصف من آذار (مارس). وإنما خص هذا اليوم دون سائر الأيام: لأن اليهود يزعمون أن موسى ولد فيه وتوفى فيه.. وأراد بذلك المبالغة فى نكباتهم ليتضاعف الحزن عليهم بهلاكهم وبموت موسى.. فاتضح لمردوخاى ذلك من بعض بطانة هيمون، فأرسل إلى ابنة عمه يعلمها بما عزم عليه هيمون فى أمر اليهود. وسألها إعلام الملك بذلك وحضها على أعمال الحيلة فى خلاص نفسها وخلاص قومها.. فأخبرت الملك بالحال وذكرت له إنما حملة على ذلك الحسد على قربنا منك ونصيحتنا لك.. فأمر بقتل هيمون وقتل أهله، وأن يكتب لليهود بالأمان والإحسان فى ذلك اليوم فاتخذوه عيداً.

واليهود يصومون قبله ثلاثة أيام... وفى هذا العيد يصورون من الورق صورة هيمون، ويملأون بطنها نخالة وملحاً، ويلقونها فى النار حتى تحترق ليخدعون بذلك صبيانهم.

العيد الثانى: عيد الحنكة

وهو ثمانية أيام... يوقدون فى الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجاً.. وفى الليلة الثانية سراجين.. وهكذا إلى أن يكون فى الليلة الثامنة ثمانية سراج.

وهم يذكرون أن سبب إتخاذهم لهذا العيد أن بعض الجبابرة تغلبت على بيت المقدس وفتك باليهود واقتض أبكارهم، فوثب عليه أولاً كهانهم وكانوا ثمانية فقتله أصغرهم، وطلب اليهود زيتاً لوقود الهيكل فلم يجدوا إلا يسيراً وزعوه على

عدد ما يوقدونه من السرج على أبوابهم فى كل ليلة إلى تمام ثمان ليال فاتخذوا هذه الأيام عيداً وسموه الحنكة.. ومعناه التنظيف لأنهم نظفوا فيه الهيكل من أقدار شريعة الجبار، وبعضهم يسميه الربانى.

(هـ) احتفالات ومهرجانات .. مصرية

(١) احتفال ومهرجان عروس النيل

تضاربت الآراء فى أصل فكرة (عروس النيل). فإن الأصل فى فكرة عروس النيل هو أن المصريين القدماء كانوا يقدسون النيل ويقيمون له التماثيل المختلفة، وجعلوا أول أول عامهم يبدأ بفيضانه، وكانت بداية الفيضان أيام أعياد.

فالنيل مقروناً باسم الإله "أوزوريس" ونقول إحدى الصلوات الخاصة بأوزوريس، منقولة عن الكاهن "أنى"

"إنك تحمل على الأرض ساعديك .. وترتكز السماء على كاهلك.. وينبع النيل من فيض عرقك" وتؤكد قصة أخرى.. إن العداء بين الإلهين الأخوين "سيت" و "إوزوريس" أدى فى النهاية إلى أن يقتل "سيت" أخاه "أوزوريس"، ويلقى أشلاءه فى النهر، فحزنت "إيزيس" الألهين وزوجة الإله القتيل، فجلست على حافة النهر المقدس تذرف الدموع، وشاركتها الطبيعة حزنها، فارتفعت المياه عن منسوبها، وفاضت على الضفتين فأغرقت الأرض وأغدقت عليها الخصوبة وضاعف نتاجها.

ورفع "أوزوريس" إلى السماء بعد موته، وكانت الإلهة على صلاحة باتخاذها رباً للموتى فى العالم الآخر، واتخذت أبناء مصر إلهاً للزراعة، وراح ابنه "حورس" يدعو الناس لإحياء ذكرى أبيه، لأن الأب القتيل لا يزال حياً فى النيل، وأنه شخصياً يشعر بوجود أبيه فى النهر العظيم.. فأقام الناس التماثيل لربهم المحبوب، وللنيل الذى امتزج به.

والى الآن يوجد فى جزيرة "قيلة" بأسوان هيكل لا تزال آثاره باقية يحتفل القوم فيه كل عام بهذا العيد.. وذلك بإلقاء الحلى والقطع الذهبية التى يصوغونها على هيئة خواتم تكريماً لهذا النهر الإله. كما يلقون فى كل عام عروساً من الذهب. أو البرونز أو الفخار وقت الفيضان حتى تكثر خيراته.

فإن فكرة "عروس النيل" كما ذهب بعض المؤرخين العرب إلى أن المصريين القدماء كانوا يقدمون فى كل عام عروساً من أجمل النساء إلى النيل فى يوم زفاته.. فيزونها فى مهرجان قومى وشعبى.. فتركب العروس فى سفينة مزينة بالزهور والأعلام.. وتسير على صفحة النيل ويدفعون لأهلها تعويضاً اعتقاداً منهم بأن هذا القربان يرضى النيل، فلا يحرمهم من خيريه وبركاته.

- ويذهب "هيردوت" المؤرخ الأفريقى.. أن أحد الفراعنة قدم ابنته قرباناً للنيل.. ثم ألقى بنفسه فيه. ولا ريب أنه فعل ذلك من فرط تقديسه للنيل والوفاء له.

وتقول أوراق البردى فى هذه الأناشيد: "أيها الفيضان المبارك... نقدم لك القرابين والزبائح.. وتقام تلك الأعياد العظيمة، وتذبح الطيور وغزلان الصحارى، وتوقد لك النار الطاهرة.. ويقدم لك البخور والغنم والثيران هدية شكر واعتراف بالجميل".

وقد ذاعت أسطورة إلقاء عروس النيل جلباً لخبره، وخشية أن يحجب عنهم الفيضان. ولواقع أن تلك الأسطورة التى ليس لها نصيب فى الصحة فقد كان المصريون القدماء يقصدون بهذه العروس "أرض مصر" أى أن النيل متى فاض دخل على أرض مصر تشبهاً بالرجل عندما يلتقى بعروس يوم الزفاف.. فإن هذا المعنى المجازى هو الذى أدى مع الزمن إلى توهم بع الناس أن هناك عروساً لدمية تلقى فى النيل.

كما ذهب "هيردوت" إلى القول.. أن مصر هبة النيل.. فكيف يبقى للحياة أثر في مصر إذا جف ماء النيل.

منذ تلك العهود القديمة، درج سكان وادى النيل على الاحتفال بوفاء نيلهم، فيقيمون الأعياد، وينشدون الأناشيد، ويقدمون القرابين.

وعند الفتح الإسلامى لمصر.. جاء الأقباط "عمرو بن العاص" ٦٠٤م وقالوا له: "أن لنيلنا سنة لا يجرى إلا بها... وهى أنه إذا كان أثنتا عشرة خلت من بؤونة، عمدنا أى جارية بكر مليحة نأخذها من أبوابها غصباً، وتجعل عليها الحلى والحلل، ثم نلقيها فى نهر النيل فى مكان معلوم لدينا.

فأجابهم "عمرو بن العاص" إن هذا لا يكون فى الإسلام أبداً. وصادف أن جاءت أشهر "بؤونة" و "أييب" و "مسرى". ولم يزد فيها نهر النيل، فهم أهل مصر بالجلأ عنها.. ولما حدث هذا أرسل "عمرو بن العاص" إلى "عمر بن الخطاب" أمير المؤمنين كتابا يستشير به فى الأمر. فأرسل إليه "عمر بن الخطاب" برسالة أمره بإلقائها فى نهر النيل، وقد كتب فيها...

بسم الله الرحمن الرحيم

من عمر بن الخطاب إلى نيل مصر المبارك...

أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر، وإذا كان الله تعالى هو الذى يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك.

ففعّل "عمرو بن العاص" وألقى الرسالة فى نهر النيل، حيث كان عيد الصليب يوافق ١٧ توت، وهو تاريخ الذى وقف فيه زيادة نهر النيل عند حدده الأقصى.. فحدث أن ارتفع منسوب النيل بعد إلقاء الرسالة.. فاغتنب أهل مصر ببطال عادة إلقاء عروس البحر فى النيل. وفى عهد الفاطميين فى مصر. كانت الاحتفالات باللغة الروعة والإبداع.. فقد جرت عادة الخلفاء الفاطميين بالانتقال إلى قصر اللؤلؤة الذى شيده لكى يشرفوا من شرفاته على تلك الاحتفالات. وكان أول

من سن هذه السنة هو الخليفة الفاطمي "المعز لدين الله" إذ ركب لكسر خليج القنطرة.. ثم سار على شاطئ النيل في موكب عظيم وخلفه وجهاء أهل الدولة. وجاء من بعده الخلفاء الفاطميين فيقومون الخيام الكبرى ذات الأعمدة العالية على نهر النيل، حيث يجلس الخليفة مع أسرته ووزرائه في إحداها .. وبعد توزيع الخلع الثمينة والدنانير الذهبية لهذه المناسبة.. يسير الخليفة في موكب كبير لزيارة المقياس.. وهنا توزع الصدقات.. ويمسح العامود بالروائح العطرية.. وتقدم المرطبات والحلوى للناس.

وتحولت الاحتفالات بيوم وفاء النيل إلى مهرجانات عامة في أيام الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية والبرجية. وكانت المهرجانات العامة تعطى لحفلة وفاء النيل طابعاً شعبياً.. بالإضافة إلى الحفلات الرسمية.

وقد وصف "الجبرتي" كيف كان قواد "نابليون" وأكابر أهل مصر يحتفلون بوفاء نهر النيل في قصر السد، حيث تصطف العساكر بين الروضة ومصر القديمة بأسلحتهم .. وكان نابليون نفسه يرتدى حلة شرقية ويحتفل به كبار رجال أركان حربه وعظماء المصريين، ويشهد المهرجان بنفسه.

وظلت عادة الاحتفال بوفاء النيل مرعية إلى يومنا هذا، إعترافاً بفضل على أرض مصر.. حيث المنظمات الحكومية وغير الحكومية ووزارة السياحة ومحافظة القاهرة يقيمون بالاحتفالات بوفاء نهر النيل بالموسيقى والغناء.

أمل عروس النيل فستظل أسطورة أنتجها خيال خصب، ولا نصيب لها من الواقع الحقيقي.

(٢) مصر واحتفالية الختان:

تذخر الاحتفالات الشعبية، عادة بكثير من المعتقدات التى تدخل فى المكونات الشخصية والنفسية لأفراد هذا الشعب. وتطفر هذه المعتقدات وتظهر واضحة أثناء هذه الاحتفالات، والختان أحد هذه الاحتفالات المهمة وبرغم انمه ممارسة قديمة، وجدت فى مصر القديمة غلا أن الاحتفال الذى يصاحبه، لم يبدأ فى مصر، إلا منذ العصر الإسلامى، وهو احتفال خاص بالذكور دون الإناث.

يمارس الختان أجناس مختلفة وغالبا ما كان يصاحب الختان احتفالات تعبر عن فرحة الأهل بالمختون. فالاحتفال بظهور الولد، كان حافلا، بخلاف ختان الإناث الذى كان غالبا ما يتم سرا.

وقد اختلف المؤرخون فى منشأ الختان وأين وجد أولا، وترجع أكثر الآراء نشأته فى مصر، لوجود تمثال يدعى أنيساخا ANISAKHA، من الأسرة الخامسة ٢٧٠٠ ق.م، مختونا.

ويمكن القول إن الختان عرف منذ الدول القديمة، وكان عاما، و"من أطرف صور الختان التى وجدت، نص لرجل من عصر الانتقال الأول، استنتج دونهام DUNHAM أنه كان قد اختتن مع مائة وعشرين طفلا، ولم يضار واحد منهم غير أن قراءته لا تخلو من شك، ولو صحت لأمكن تقريب هذه الرواية إلى ما يحدث فى موالد الأولياء بمصر حتى الآن، حيث ينتهز البعض الموالد فيختنون أولادهم تبركا بمناسبتها.

ويرى "هيردوت" أن المصريين يمارسون هذه العادة الديانات المصرية والختان ولقد أقرت الديانات السماوية الختان، وإن تفاوتت درجة الأخذ به، فالختان عند اليهود يعتبر توبة عن خطيئة آدم، فهو يجرى للذكور حتى لا يغمسوا فى الشرور. وهو علامة العهد الذى قطعه الرب مع إبراهيم (عليه السلام)، حيث جاء

فى التوراة: فتختنون فى لحم غرلتكم (الغرة هى الجارة التى تقطع عند الختان)،
فىكون علامة عهد بينى وبينكم.

ويعتبر بمثابة الأمر الذى أعطى لإبراهيم، ولنسله من بعده، سفر التكوين
(٧ : ٩ - ١٤) ويلزم كل ذكر الختان حتى العبد - فى اليوم الثامن لولادته، ومن
يخالف ذلك، تكون العقوبة. وكان لزاماً على بنى إسرائيل أن يجعلوا الختان شعيرة
من شعائرهم الدينية، وأما فى المسيحية، فقد أخذ به البعض وتركه البعض الآخر،
وقد كان للقديس بولس وآرائه أكبر الأثر فى هذا التحول، حيث تغيرت نظرة
المسيحية إلى الختان، فالختان فى اليهودية، هو ختان الجسد، بينما فى المسيحية هو
ختان القلب.

وعيد الختان عند مسيحي مصر من الأعياد المسيحية الصغار، ويحل فى
سادس بؤونه فى ذكرى ختان المسيح عليه السلام، وكان المسيحيون فى مصر دون
غيرهم يختنون أولادهم فى ذلك اليوم تبركاً به ويقول المقرضى: إن القبط من دون
النصارى تختن بخلاف غيرهم، ويلتزم الأحباش بإجراء الختان وفى اليوم الثامن
لميلاد الطفل، بينما يقوم الأقباط بختان أطفالهم فيما بين عامهم السادس والثامن.

أما العرب، فقد عرفوا الختان قبل الإسلام، واستمرت ممارسة الختان بعد
ظهور الإسلام، رغم عدم ورود ذلك الأمر فى القرآن الكريم، لكن جاء ذكره فى
بعض الأحاديث التى اعتبرته واحداً من خصال الفطرة.

وللختان فى الإسلام حكمة دينية، بحيث يعتبر رأس الفطرة، وشعار
الإسلام، ومن تمام الحنيفية التى شرعها الله سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم عليه
السلام، فهى التى صبغت القلوب على التوحيد والإيمان، وهى التى صبغت الأبدان
بخصال الفطرة التى منها الختان، قال تعالى: "ثم أوحينا إليك ملة إبراهيم. وهذا
يتفق مع تأويل قوله تعالى: "صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة".

فالختان فوائد بينية وصحية وأخلاقية، هو صبغة الله تعالى لمن اتبع ملة إبراهيم، وهو للحنفاء بمنزلة المعمودية من هذا، نجد أن القرآن الكريم لم يأمر بالختان، وإنما هو أمر من أمور الفطرة، ولذلك أخذ المسلمون به، بل وأصبح يوم الختان يوم فرح إطعام الطعام.

أما من الكتابات عن الختان في مصر في عصرها المملوكي كان الختان لأمر مروراً عابراً، بل كان أمراً عظيماً يحتفل به، واحتفل به الكافة من غنى وفقير وأمير ووضيع، كما كان تلك العملية تجري لمجموعة من الأطفال في وقت واحد، وتجرى لطفل واحد.

في العصر المملوكي، أجمعت مختلف الطبقات على الاحتفال بختان الطفل، بحيث جرت العادة على أن يقوم المزين بعملية الختان في عصر الماليك، وعندئذ يقوم أهل الطفل حفلاً يدعون إليه سائر الأهل والأصدقاء، ولا بد للمدعوين في هذه المناسبة من تقديم النقوط: عبارة عطية عينية أو مالية تقدم من الأهل والأصدقاء لأهل الطفل، بحيث يضع في الطشت الذي يختن فيه الولد.

ولندع الآن هباله ابن واقد، يحكى لنا، في نزهة النفوس، كيف تمت طهارته وهي حكاية فيها قدر من الطرافة، ولكنها تصور ما كان يحدث حينذاك: لما مضى لى من العمر ما لا أعرفه قالت أمى: يا بنى جرت العادة أن المولود إذا مضت عليه مدة من الزمن أراد أهله حلالة رأسه صنعوا له وليمة، وقد نسينا أن نفعل بك ذلك، ونحب اليوم أن نفعله، قلت يا أماء: دونك وما تحبين، فأرسلتنى مع أبى إلى الحمام، ولم أعلم ما الذى أضمرت، أغسلتنى ثم ألبستنى ثياباً لم أكن أعرفها، ثم أركبتنى فرساً، وأحرق الناس بى، والسيوف مسلولة، فحصلت عندى من ذلك دهشة، وأنا أنظر إليهم، وكلما أردت أن أفعل مثلهم، نهانى أبى عن ذلك حتى كدت أموت غيباً، ثم وضعت لى وسادة فجلست عليها، وأتى المزين، ووضع تحت يدى طشتاً، وشمّر أذىالى، فأنكر قلبى ذلك، قلت يا أماء: زعمت أنك تريدن حلالة

رأسى، فما هذا الطشت قالت: يا بنى، ليجتمع شعرك فيه عند الحلاقة، ينثر الناس عليه الدراهم حلوانات للمزين، قلت: فإني معاملة بين رأسى وأنيالى حتى يشمرها، قالت: يا بنى لعله رأى فى ثوبك برغوثة قال، ثم أن أبى قبض على وقال ارفع رأسك وانظر العصفورة، فرفعت رأسى لأنظرها فبادر المزين فقطع رأس حمامتى، فصحت عند ذلك، وصرت أبكى، والناس يضحكون، وأغتم، وهم يفرحون، وعلمت أنها كانت من أمى حيلة.

ومما قيل فى هذه المناسبة وغالباً ما كان يغنى:

يا بخت من كان زفته بالنهار يا صغار
 هذاك من بين الوليد أنصار فى أنتصار
 يبغى يسار مفكوك الإزرار عليه وقار شبه القمر سارى.
 ياما أحسن الزفة نهار الطهور حين تدور
 فيها الوليدات راكبين فى سرور كالبدور
 تبقى الدفوف تتعق على قصب يزرق يمين يسار
 أى والصغير تلقاه لما اتجرح فى ترح
 أنساء ما قد كان قبل انشرح فى الفرع

ويرى أن الختان عند المسلمين، يعتبر بمثابة الخطوة الأولى فى الحياة، إذ يمكن القول بأن الطفل كان يحيا، حتى ذلك الوقت، بجسمه فقط، ولكنه، بعد هذا السن، سوف يبدأ حياته الأخلاقية والروحية، إذ يؤمر عندئذ بأداء الصلاة، ويلقن العلم والفتوى، فالختان، إذن، إذن، يعد بمثابة نهاية لمرحلة الطفولة، بكل نزفها وطيشها، ويمكن القول بأنه، بهذه العملية، يولد مرة أخرى، لكن فى هذه المرة يولد رجلاً.

كانت مظاهر الفرع تزداد، كلما كانت نحالة الأسر أيسر، أو من أقرباء الحاكم. فكان الاحتفال بأحد أبناء هذه الأسر مهرجاناً كبيراً، يكاد يشارك فيه جمع

كبير، كما حدث فى ختان ابن بنت السيد عمر مكرم، حيث دعا الباشا والأعيان، وأرسلوا الهدايا والتهانى، وعمل له زفة يوم الإثنين سادس عشر، مشى فيها أرباب الحرف والعربات والملاعب والصعايدة وغيرهم من أهالى بولاق والكفور والحسينية، وغير ذلك من جميع أنواع الطبول والزمر فكان يوماً مشهوداً اكتريت فيه الأماكن للفرجة، ويدل هذا على عظم هذا اليوم ومدى الاهتمام به، حيث ازدحمت الشوارع ولم يعد بها مكان، فكانت تؤجر الأماكن للمشاهدة.

وتزداد مظاهر الاحتفال، عندما تعظم مكانة المختن، فلما شرع إبراهيم باشا فى ختان عباس باشا ابن أخيه طوسون باشا، وكان غلاماً فى السادسة من عمره، فأمر بنصب الخيام تحت القصر حضرت أرباب الملاعب والحواة والبهلوانات، وطبخت الأطعمة والحلواء والأسمطة، وأوقدت بالليل من المشاعل والقناديل والشموع بداخل القصر وتعالىق النجفات البلور وغير ذلك، ورسوموا بإحضار غلمان بأولاد الفقراء، فحضر الكثير منهم، وأحضر المزينين، فختنوا فى أثناء أيام الفرح نحو الأربعمئة غلام، ويفرشون لكل غلام طراحة لحافاً يرقد عليها حتى يبرأ جرحه، ثم يعطى لكل غلام كسوة وألف نصف فضة، وفى كل ليلة، تعمل حراقات ونفوط ومدافع طوال الليل، ودعوا فى أثناء ذلك كبار الأشياخ والقاضى والشيخ والسادات والبكرى، وهو نقيب الأشراف أيضاً والمعالي.

وفى يوم الخميس، عملوا الزفة لعباس باشا، ونزلوا به من القلعة على الدرب الأحمر، على باب الخلق، إلى القصر، وختنوه فى ذلك اليوم، وامتلاً طشت المزين الذى تنه بالدنانير من نقوط الأكابر والأعيان وخلعوا عليه فروة وشال كشمير ونعموا على باقى المزينين بثلاثين كيساً.

ومن أقدم أحياء القاهرة، حى بولاق ابو العلا. ولمكانة سيدى السلطان أبو العلا فى نفوس أهل الحى خاصة، كان ولا بد أن يكون السلطان نقطة البدء، ولنبدأ من البداية.

تتم هناك عملية الطهور، سواء للولد أو البنت، سراً، خوفاً من الحسد، وليست هناك سن محددة للطهور، فيمكن أن يكون عمر المظاهر شهر أو خمس سنوات، كما أنه في أحيان كثيرة تتم عملية الطهور لمجموعة من الأطفال مرة واحدة، وليس شرطاً أن يكونوا أقرباء، فيمكن أن يكونوا من بيت واحد، وليس شرطاً أن يكونوا أقرباء، فيمكن أن يكونوا من بيت واحد، أو من حارة واحدة، أو جيران. وكانت القلفة أو البظر ترمى في النيل، اعتقاداً في أن هذا يجعل الجرح يشفى سريعاً، وربما خوفاً من السحر.

والأيام التي تلى الطهور، لا يحدث فيها أي شيء لا طبل ولا غناء، خوفاً، أيضاً، من الحسد، أو مرض الطفل، نتيجة لنظرة عين، ويستمر هذا التعقيم حتى اليوم السابع.

اليوم السابع، هو يوم الإعلان عن أن هناك طهوراً قد تم، فيدعى الأهل والجيران على الغذاء حيث يتم ذبح إحدى ذوات الأربع، أو شراء لحمه، وذلك حسب المقدرة، بالإضافة إلى تناول المدعوين للطعام، سواء طعام الغذاء أو العشاء ويطهى صاحب الحفل فته باللحم، ويرسلها إلى جامع السلطان أبو العلا، والبعض يرسلها إلى السيدة زينب، أو سيدنا الحسين، للفقراء.

وتقوت السيدات والرجال بتقديم النقوط، سواء للأم أو الأب، أما المزين، الذي قام بطهارة الولد أو البنت قبل ذلك بسبعة أيام، فكان يأخذ نقوطه في حينه من أهل المظاهر فقط. حيث — كما سبق القول — كانت العملية سرية.

تبدأ الزفة من عند جامع السلطان أبو العلا قبيل المغرب، حيث يمتطي فارس هذه الزفة حصاناً، مرتدياً جلباباً أبيض، وعقالاً تحت طرحة بيضاء فوق الرأس، وإذا كان الفارس صغيراً، يركب وراءه رجل كبير لكي يمسك به، خوفاً من وقوعه ويقود الزفة (الضو) — وهو الذي يقود زفته المطهرين — بفرقتة المكونة

من حوالى عشرة أفراد بطبولهم ودفوفهم وحناجرهم، حيث يقومون بلفة حول الجامع، تبدأ من اليمين، ثم ينطلقون إلى مكان الفرح.

ويسير الرجال بخلف الفرقة التى تتشد وبجوارها، وبعد ذلك النساء اللاتى يزغردن، ويختلط الصغار بهؤلاء وهؤلاء، ويتقدم هؤلاء أو بينهم فارس هذا اليوم.

وتصل هذه الزفة إلى مكان الحفل، حيث يكون قد تم نصب صوان وضعت به كراس للمدعوين، وتتشد الفرقة بعض الأناشيد. وفى بعض الأحيان، تحيى الفرقة هذا اليوم وفى أحيان أخرى، تكتفى بالزفة وبعض الأناشيد الدينية، ثم نستكمل الليلة فرقة غنائية أخرى، وعلى رأسها عالمة - على حسب رغبة صاحب الفرح - ويستمر ذلك إلى وقت متأخر من الليل. وكانت الناس تتنافس فى تقديم النقوط للفرقة والعوالم. وفى بعض الأحيان، كانت تبدأ الزفة من عند السيدة زينب، أو سيدنا الحسين، وتلف أيضاً حول السلطان أبو العلا، وغالباً ما يحدث ذلك، إذا كان هناك نذر.

هذه الزفة، تتم إذا كان المطهر ذكراً، أما إذا كانت أنثى، فالزفة تكون فى الحارة أو الشارع فقط، ولا تبدأ من عند السلطان، وكان يتم الاحتفال بظهور الأنثى أيضاً، ولكن ليس بالصورة نفسها التى يحتفل بها للذكر، واستمر ذلك إلى نحو عشرين سنة مضت. أما الآن، فقد اختفت تقريباً تلك الزفة وأيضاً مظاهر الاحتفال، حيث نشاهد بين الحين والحين حفلاً لطفل مختون، خاصة فى مولد السلطان أبو العلا، ولكن ليس بالصورة نفسها أو الفرحة كما كان يحدث من قبل.

ويرش الملح فى أرجاء المنزل ويبخر، وذلك أيضاً لمنه العين الشريرة والحسد، ويعمل أكل للحضور، وغالباً ما يكون كسكسى، وقادسية (نوع من الطعام يقدم مع الكسكسى)، وغديرة (وهى لحم بالفتة تشبه العقيقة عند المسلمين). ويمكن أن يطبخ أيضاً، وهذا يرجع إلى المقدرة المالية.

(٣) مهرجانات صيد الأسماك للهواة:

ينظم الإتحاد المصري لصيد الأسماك مع كل نادى الرياضيات البحرية "شرم الشيخ"، ونادى الرياضيات البحرية "بالغردقة" مسابقات لصيد الأسماك سواء كانت على المستوى الدولى أو العربى أو المحلى، بهدف تنشيط ونشر هواية صيد الأسماك للهواة وتنظيم وتدعيم اللقاءات وتدعيم العلاقات العربية بين الدول الهواة وتوطيد أواصر الأخوة وتبادل الإمكانات والخبرات بين الأندية أعضاء الإتحاد، تنظيم اللقاءات بين الهواة المصريين والأجانب، المساهمة فى الدعاية السياحية وتنشيط السياحة فى أقاليم مصر.

نظام وشروط المسابقة

المسابقة لمدة أربعة أيام ثلاث ليالى صيد بالبحر والتسقيط والصيد بالطرق

القانونية.

- تجرى المسابقة لصيد الأسماك التالية بطريقة البحر:

"أسوار - التونة - جرم البياض - الدراك - البراكودا - الإنش - الناجل - الحصان - البلامطة"

- الصيد داخل الحدود الإقليمية عدا المحميات الطبيعية.

- لا يقل وزن أى سمكة من أسماك البحر عن ٣ كجم .. عدا سمكتى الحصان

والبلامطة فيجب ألا تقل عن ٢ كجم. كما يحظر حظرا تاما صيد سمك القرش.

- عدد أفراد الفريق أربعة متسابقين كحد أقصى، ويسمح باصطحاب عضوين تحت

التدريب على ألا يكون لهما الحق فى الحصول على الجوائز.

للمحافظة على البيئة البحرية توزع أكياس للقمامة على كل لنش مشترك فى

المسابقة.

- الإتحاد والنادى مسئولين عن توفير اللنشات المستأجرة للفرق الأجنبية، ولنش

للإعلاميين ولنش للإنقاذ ولنش للسادة المحكمين.

توفير طاقم الملاحة لكل لنش مشترك في المسابقة، متابعة اللشعات العاطلة والجائحة جنوح بسيط أثناء المسابقة.

- كما يمكن استخدام الأدوات الحديثة في الصيد.

- توفير أماكن الإقامة بالقرى السياحية والفنادق الكبرى بأسعار وتخفيضات كبرى.

- كما تمنح الفرق المشتركة ومرافقيهم خصم من ١٥% إلى ٢٠% على خطوط مصر للطيران الداخلية.

بعد أربعة أيام يقضى المتسابقون في مياه البحر يقام الخفل الختامي، حيث تعلن نتائج المسابقة وتوزيع الجوائز.

مما سبق يتبين عناصر أو عوامل نجاح مهرجان الصيد في مصر، سواء كان في منطقة "شرم الشيخ" و "الغردقة"

(أ) عوامل الجذب للمهرجان:

وتتمثل في مغريات البيئة المصرية، ويساعد المناخ الرائع الذي يتميز به المنطقة ويكفي أن نعرف أن البحر الأحمر من أدفا بحار العالم، تكترواح حرارته بين ٢١ و ٢٨ درجة مئوية.

كما تتميز الشواطئ بموقعها الطبيعي وامتداد إتجاهه نحو الجنوب الشرقي حيث يتمتع بالحماية الطبيعية من العواصف والرياح والتيارات المائية.

ومن المغريات الطبيعية المتحف الإلهي المخلوق تحت الأعماق تتناثر فوق مياهه سلسلة من الجزر أشبه بلألى منثورة في عقد يلتف حول عنق الغردقة عروسي البحر الأحمر والتي يبلغ عددها ٤٢ جزيرة.

ومن المغريات البيئية الأصطناعية اللشعات وأدوات الصيد الحديثة وألواح

الثلج.

ب- عوامل التسهيلات للمهرجان

المتتملة في وسائل النقل الحديثة سواء البحرية أو الطيران أو البرية، تسهيلات الإقامة المتمثلة في الفنادق، والقرى السياحية بأسعار وتخفيضات كبرى. علاوة على موارد الضيافة، وقوة العمل المؤهلة المتمثلة في البحارة وطاقم الملاحاة لكل لنشر مشترك في المسابقة ومتابعة اللنشآت العاطلة والجائحة جنوح بسيط أثناء المسابقة. ومدى قدرة إتحاد الصيد المصرى على تنظيم المسابقة ونجاحها، مع توفير التيسيرات للمشاركين والمرافقين لهم.

فإن ختام المهرجان يتمثل حفل تكريم الفائزين، حيث تقوم ألوان من الرقصات الشعبية والأناشيد في جو كله بهجة وسرور.

(٤) سباق الهجن

يقام هذا المهرجان بمنطقة سهل القاع بمدينة طور سيناء، وذلك على مسافة ثلاثون كيلو متر سباق للهجن. وقد أعطى المحافظ إشارة البدء من على بعد ٣٥ كيلو من مدينة طور سيناء. وكان عدد المشاركين في المهرجان يبلغ عددهم ستون متسابقاً تباروا في صحراء سهل القاع.

وقد أقيم حفل ختامى للفائزين تم توزيع الجوائز عليهم، كما تم الاستفادة من البيئة الثقافية المحاطة في إقامة الحفل الغنائى المتمثل في مظاهر التراث الفنى البينى التلقائى كالتسامر والرقصات الشعبية مع استخدام أدوات موسيقية متميزة كالربابة والنأى والشبرية والشبابة والسسمية البدوية.

وتتميز منطقة طور سيناء باعتدال جوها صيفاً وشتاءً، حيث تتمثل بمنطقة شاطئ للنخيل أشجار النخيل الكثيفة وهى من مظاهر مقومات الجذب الطبيعى مما أضاف للمنطقة روعة وجمال خاص. فالمنطقة عبارة عن ٣٦٢ ألف متراً محمية بسلسلة من الجبال غير المرتفعة. ومنطقة حمامات موسى ومنطقة شاطئ القمر وهى عبارة عن لسان ممتد داخل المياه مما يضاف على المنطقة جمالاً خاصاً.

علاوة على وجود منطقة الآثار التاريخية (الكيلاني) ودير الطور القديم بقربة الوادي.

فإن هناك مجموعة مغريات بيئية (طبيعية، اجتماعية، اصطناعية) هي عوامل جذب لنجاح سباق الهجن فإن هناك عوامل أخرى مختلفة لنجاح هذا المهرجان فكرم الضيافة عامل له أهميته، فمواقف الترحيب والود من جانب المواطنين، سيجعل الزائر يحس بأنه بين أهله. وهو أمر يساعد على ان يستمتع بأجازته.

بالإضافة إلى ذلك لابد من توافر عوامل التسهيلات المتمثلة فى مكاتب الاستعلامات، حيث يمكن للزائر الأجنبي أن يتلقى معلومات عن الأماكن الجديدة بالزيارة، وبالتيسيرات فى ممارسة الرياضة أو سياحة السفارى والمغامرات أو سياحة المشاهدة المتمثلة فى أنواع الحيوانات والطيور البرية المتميزة والنادرة بالمنطقة. وحياة الليل والتسويق، وتسهيلات الإقامة، فإن كل القيود المفروضة على الزوار يجب أن تلغى.

(و) المولد فى مصر

المولد النبوى

يعتبر الإحتفال بالمولد النبوى أحد الإحتفالات الشعبية الباهرة فى مصر حين يبدأ شهر ربيع الأول وفى هذا الإحتفال تقرأ قصة مولد الرسول الكريم.. ونذكر الله كثيراً.. ونحن إذ نذكر الله .. تجرى على ألسنتنا وقلوبنا من تسبيحه جل وعلا وتنزيه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال والجلال والجمال.

وفى ذكرى ليلة مولد الرسول نضياء المساجد والزوايا.. وتتشد الأناشيد الدينية التى تمدح النبى ﷺ ويرغب الناس فيها أن يطربوا بذكر الرسول، ويتبرعوا بتلاوة سيرته.. والتسبح بحمد الله الخالق الواحد الأحد.

ففى هذه الليلة المباركة يجتمع الناس للإستمتاع لقصة المولد، وهى قصة ذات صيغ متعددة موضوعة بأقلام المشايخ الذين أودعوا فيها سيرة النبى، ونثروا العديد من المدائح التى تتناول شمائل النبى، ومناقبه، وجاهه، ومقامه عند الله والناس، ثم يصلى على النبى، ويرتفع صوت الحاضرين مرددين.. صلوا عليه وسلموا تسليماً... الله زاد محمداً تعظيماً.. وينطق صوت الشيخ يردد الأشعار والمدائح، حيث يذكر الله، فالمقصود بالذكر.. تركية الأنفس، وتطهير القلوب، وإيقاظ الضمائر.. فإن أتوا عليهم جفوا بهم، ويباهى الملائكة من جلسوا يذكرون الله تعالى ويحمدونه على هداهم للإسلام ومن به عليهم، وإذ تحف الملائكة بالذاكرين الله تعالى... تغشاهم الرحمة... وتنزل عليهم السكينة.... ويذكرهم الله فيمن عنده، و"ما قال عبد: لا إله إلا الله قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى إلى العرش... ما جتبت الكبائر.

ومن العادات المرتبطة بالمولد النبى.. أن يكون الذاكر نظيف الثوب - طاهر البدن.. طيب الرائحة.. وأن يستقبل القبلة.. وفى ليلة المولد تروج الحلى وأصناف المأكولات، وينتفع الفقراء، وطوائف الشعوذة.

والعادة فى المولد النبوى أن كثيراً من الناس يعملون وقفات وختمات وأذكراً وولاتم يدعون فيها من أرادوا من أصحابهم وأحبابهم.. وتزين المدينة بالأنوار، وكذلك المقاهى التى يتسلى فيها الناس.

الموالد (الأضرحة)

تعد الموالد إلى جانب الزيارة الأسبوعية أو غير الدورية أهم المناسبات التى يتجلى فيها تكريم الأولياء. وزيارة الولي والاحتفال بمولده هى الدليل الأكبر والمشاهد الملموس على أن هذا الولي ما زال يعيش فى قلوب الناس، يكرمونه، يدعونه فى السراء والضراء، ويلتمسون لديه عوناً على حل مشكلاتهم.

* ويقول على باشا مبارك

فى بعض الزوايا والجوامع أضرحة لبعض الصالحين، ولبعضهم
فى كل سنة فى أشهر معلومة موالد، بعضها يقيم الأسبوع وبعضها أكثر، وبعضها
أقل، ولتمام الفائدة نردها هنا بأسماء أصحابها، فنقول:

إن الموالد التى تعمل فى السنة بمدينة القاهرة وضواحيها ثمانون
مولداً، موزعة على أشهر السنة هكذا:

سبعة موالد فى شهر شوال، وهى:

- مولد سيدى عبد الوهاب العفيفى، ومعه مولد سيدى عبد الله المنوفى بقرافة
المجاورين من ابتداء شوال لغاية ٢٠ منه، ولكل منهما حضرة فى كل ليلة
جمعة.

- مولد سيدى أبى سليمان الحجاجى فى بولاق بخط الواجهة من ابتداء شوال
لغاية الشهر.

مولد سيدى عمر البلقينى، بحارة بين السيارج من ابتداء ١٤ شوال لغاية الشهر.

- مولد الشيخ على الجمل بالفجالة من ٢٠ لغاية ٢٥ منه.

- مولد الشيخ داود أبى سيف بوكالة المقشات من بولاق من ١٠ شوال لغاية ١٨
منه.

- مولد سيدى نصر ببولاق ٨ شوال لغاية ١٥ منه.

* وخمسة موالد فى شهر ذى القعدة وهى:

- مولد سيدى على البيومى بخط الحسينية من ١٤ ذى القعدة لغاية ٢٢، وله حضرة
فى كل يوم جمعة، ومقرأة فى ليلة الأربعاء.

- مولد الشيخ محمد العراقى بخط الواجهة من بولاق من ابتداء ٢ من الشهر لغاية
١٠ منه.

- مولد الشيخ القاسى، بقنطرة الدكة بالأزبكية من ٢٢ من الشهر لغاية ٢٧ منه.

- مولد الشيخ محمد الأخرس بالسبتية من بولاق من ابتداء ٢٥ الشهر لغايته.

وعشرة موالد فى شهر ربيع الأول وهى:

- مولد النبى ﷺ بجهة العباسية من غرة ربيع الأول لغاية ١٢ منه.
- مولد السيدة فاطمة النبوية بشارع زرع النوى بالدرب الأحمر من ابتداء ١٤ من الشهر لغاية ٢٥ منه.. ولها حضرة فى كل ليلة ثلاثاء.
- مولد السلطان أبى العلاء الحسينى ببولاق الشارع السكة الجديدة من ١٣ من الشهر لغايته. وله حضرتان فى ليلة السبت وليلة الأربعاء.
- مولد سيدى سعد الله الحسينى بالدرب الأحمر من ٢٢ من الشهر لغايته.
- مولد سيدى عبد العزيز الدرينى بجزيرة المنيل من ١٨ من الشهر لغاية ٢٦ منه.. وله حضرة فى ليلة السبت.
- مولد الشيخ محمد أبى الدلائل بحارة المذبح من بولاق من ابتداء ٢٨ من الشهر لغايته.
- مولد الشيخ سليمان الغنام ببولاق.. من ابتداء ٤ من الشهر، لغاية ٩ منه.
- مولد الشيخ سليمان الغنام ببولاق.. من ابتداء ٤ من الشهر، لغاية ٩ منه.

ومولد واحد فى شهر ربيع الثانى وهو:

- مولد سيدنا ومولانا الإمام "الحسين بن على" رضى الله عنهما سبط رسول الله ﷺ من ابتداء ١١ من الشهر لغايته.. وله حضرة فى ليلة الثلاثاء.. وأخرى فى يوم السبت.

واحد عشر مولدا فى شهر جمادى الأولى، وهى:

- وهي السيدة سكينة ومولد الشيخ ابراهيم الغار.. بخط الخليفة من ابتداء ٦ من الشهر لغاية ١٣ منه.. وحضرته ليلة الخميس.
- مولد السيدة رقية بثمان الخليفة من ابتداء ١٨ من الشهر لغايته.. وحضرته فى كل يوم سبت.

- مولد سيدى محمد الأنور.. بخط الخليفة من ابتداء ٦ من الشهر لغاية ١٣ منه.
 - مولد سيدى إبراهيم المناوى.. بخط الخليفة بدرب الحصر من ابتداء ٦ من الشهر لغاية ١٣ منه، وحضرته فى كل ليلة أربعاء..
 - مولد سيدى إبراهيم المتبولى.. بجوار كوبرى بوابة الحديد من ابتداء ٦ من الشهر لغاية ١٣ منه وحضرته فى يوم الثلاثاء مع ليلة الأربعاء.
 - مولد سيدى على الخواص بخط الحسينية من ابتداء ١٤ من الشهر لغاية ٢٢ منه، وحضرته فى كل ليلة جمعة.
 - مولد سيدى على الكعكى بشارع وكالة الفسيخ من بولاق من ابتداء الشهر لغاية ٢٢ منه.
 - مولد سيدى على زين العابدين.. خارج بوابة السيدة زينب من ١٧ من الشهر لغاية ٢٢ منه، وحضرته يوم السبت مع ليلة الأحد.
 - مولد سيدى حسن الأنور بقم الخليج من ابتداء ٢٥ من الشهر لغايته.
 - مولد سيدى محمد شمس الدين الرملى بميدان القطن من ابتداء ٢٨ من الشهر لغايته، وحضرته فى كل ليلة جمعة.
- وسبعة موالد فى جمادى الثانية.. وهى:
- مولد سيدى على الرفاعى بجهة العباسية من ابتداء ٥ من الشهر لغاية ١٣ منه وحضرته تقام فى كل ليلة جمعة.
 - مولد سيدى إسماعيل الإنابى بقرية إنابة من ابتداء ٨ من الشهر لغاية ١٦ منه.. وحضرته فى كل ليلة سبت.
 - مولد سيدى محمد الطيبى بقم الخليج من ١٢ من الشهر لغاية ٢٠ منه.
 - مولد السيدة نفيسة رضى الله عنها بخط الخليفة ببوابة الخلاء من ٥ من الشهر لغاية ٢٦ منه.. وحضرتها فى يوم الأحد مع ليلة الإثنين.
 - مولد الشيخ المظفر بشارع الحلمية من ١٣ ومن الشهر لغاية ٢٦ منه.

- مولد السيدة رينب رضى الله عنه. من ٢٥ من الشهر لغاية ١٧ رجب. ولها حضرتان.. الأولى: فى يوم الأحد، والثانية: ليلة الأربعاء.
- مولد السيد الأحمد بن بخت الشبراوى من بولاق من ٢ من الشهر لغاية ٨ منه.

وعشر موالد فى رجب وهى:

- مولد الشيخ الدشطوشى بخت العدوى من ٢٠ من الشهر لغاية ٢٧ منه وحضرته فى كل يوم جمعة.
- مولد سيدى عبد الوهاب الشعراوى بشارع الشعراوى من ١٧ من الشهر لغايته.. وحضرته فى كل يوم سبت.
- مولد سيدى عيسى العدوى بخت العدوى من ٢٧ من الشهر لغاية ٢ شعبان.
- مولد الشيخ عبد الله بالإسماعيلية بشارع ريحان من ابتداء ٦ من الشهر لغاية ١٣ منه.
- مولد أولاد عنان ببوابة الحديد من ٢ الشهر لغاية ١٠ منه.. وحضرتهم فى كل يوم سبت.
- مولد القللى ببوابة الحديد من ٧ من الشهر لغاية ١٥ منه.
- مولد الشيخ سعيد بن مالك بالسبتية.. من بولاق من ٣ من الشهر لغاية ١٠ منه.
- مولد سيدى محمد شمس الدين الواسطى بسوق العصر من الشهر لغاية ٢٣ منه.
- مولد سيدى على المحجوب بدرج محجوب بخت الجلادين.. من بولاق من ٢٠ من الشهر لغاية ٢٣ منه.
- مولد سيدى محمد العليمى والشيخ سالم ببولاق بقرب السلطان أبى العلا من غرة الشهر لغاية ٨ منه.

وثمانية وعشرون مولدا فى شهر شعبان وهى:

- مولد الإمام الشافعى رضى الله عنه بالقرافة الصغرى يوم الثلاثاء من غرة الشهر أو قبله لغاية ٩ منه أو قبله.. وحضرته فى كل يوم جمعه مع ليلة السبت.

- مولد الإمام الليث بن سعد رضى الله عنه بالقرافة الصغرى من ١٠ من الشهر لغاية ١٥ منه. وحضرته فى كل ليلة سبت.
- مولد السيدة عائشة النبوية ببوابة حجاج من غرة الشهر لغاية ٨ منه وحضرته فى كل ليلة أربعاء مع الشيخ محمد السمام بالقرافة الصغرى من ٢ من الشهر لغاية ١٠ منه.
- مولد الشيخ إسماعيل ضيف.. بالقرافة الصغرى من ٢ من الشهر لغاية ١٠ منه.
- مولد الشيخ على القادرى بالقرافة الصغرى.. من ٢ من الشهر لغاية ١٠ منه.
- مولد الشيخ أحمد الدنف.. بالقرافة الصغرى.. من ٣ من الشهر.. لغاية ١٠ منه.
- مولد السادات البكرية بالقرافة الصغرى من ١٠ من الشهر لغاية ١٥ منه.
- مولد سيدى عقبه بالقرافة الصغرى من ١٠ من الشهر لغاية ١٨ منه.
- مولد السادات الوفانية بزاوية الوفانية بسفح الجبل من القرافة الصغرى مكن ١٨ من الشهر لغاية ٢٣ منه. مولد سيدى عمر بن الفارض بسفح الجبل من القرافة الصغرى من ٢٠ من الشهر لغاية ٢٣ منه.
- مولد سيدى عمر بن الفارض بسفح الجبل من القرافة الصغرى من ٢٠ من الشهر لغاية ٢٣ منه.
- مولد سيدى محمد الجيوشى بالجبل من ٢٠ من الشهر لغاية ٢٣ منه.
- مولد سيدى يحيى بن عقب بالكعكيين من الشهر لغاية ١٥ منه.
- مولد سيدى محمد البحر بباب البحر من ٨ من الشهر لغاية ١٥ منه. وحضرته فى كل ليلة خميس.
- مولد سيدى أبى عبد الرحيم الدمرداش بالعباسية من ٨ من الشهر لغاية ١٥ منه.. وحضرته كل ليلة جمعة.
- مولد سيدى محمد الصوابى بالحسينية من ١٤ من الشهر لغاية ٢٢ منه وحضرته فى كل يوم جمعة وتحضرها النساء المرضى.
- مولد الشيخ على البنهاوى بدرب عجور من خط الحسينية من ابتداء ١٦ من الشهر لغاية ٢٢ منه.

- مولد الشيخ معاذ بالدراسة بخط الأزهر من ١٢ من الشهر لغاية ٢٠ منه.
- مولد الشيخ الخضيرى بحدرة الحناء من شارع الصليبية من ٥ من الشهر لغاية ٢٠.. وحضرته فى كل ليلة اثنين.
- مولد الأستاذ العدوى بباب الشعرية من ٢١ من الشهر لغاية ٢٥ منه وحضرته فى كل ليلة سبت.
- مولد الشيخ عبد الله الزهار بقنطرة الليمون بالأزبكية من ٧ من الشهر لغاية ٩ منه.
- مولد الشيخ خليل الكردى بخط الجلادين من بولاق من ١٨ من الشهر لغاية ٢١ منه.
- مولد الشيخ على النصيح بالخطابة من بولاق من ٣ من الشهر لغاية ١٠ منه.
- مولد الشيخ الغمرى بطولون من ٢٢ من الشهر لغايته.
- مولد الشيخ عبد الكريم بالجمالية من ١٩ من الشهر لغايته.
- مولد السلطان الحنفى، والشيخ صالح أبى حديد بخط الحنفى من غرة الشهر لغاية ٢٧ منه. وحضرة السلطان الحنفى فى كل يوم سبت وليلة خميس.
- مولد الشيخ محمد العتريس بجوار السيد زينب من ٢٧ من الشهر لغايته.

ثم أن بعض هذه المواليد يلزم زمنه وشهره العربى الذى يعمل فيه، ولا يتحول عنه شتاء ولا صيفاً.. فتارة تراه فى الصيف، وتارة فى الشتاء على حسب دوران الزمان كمولد النبى ﷺ، وسيدنا الحسين، والإمام الشافعى، والسيدة زينب، والسيدات الطاهرات أهل البيت رضى الله عنهم أجمعين.

وبعضها يتحول من شهر إلى شهر وهو الملازم للأشهر القبطية كمولد سيدى على البيومى وغيره من الأولياء.. رضى الله عنهم جميعاً.

العادات المرتبطة بالمولد

فى زمن المولد تكثر حركة الناس خصوصا أهل المنطقة التى يوجد المولد.. ومن مظاهر هذه العادات أن ينصب الدراويش "صواوينهم" التى يقيمون فيها الأذكار كل ليلة تسبق ليلة المولد، كما أننا نلاحظ مييت الأعداء الضخمة المشاركة فى المولد يتم فى البيوت القريبة من الضريح (القادمين من مدن وقرى بعيدة)، وفى سرادقات خاصة:

تتمثل الجوانب الترويحية والفنية للمولد فى الإحتفال بالمولد - وهى أحد العناصر الرئيسية التى يمكن أن ينهض عليها أى مولد، وبدونها لا يسمى هذا الإحتفال مولداً.

وتشاهد فى الشوارع بعض نشاط ألعاب الملاحى كالأراجيح بأنواعها المختلفة، والألعاب المسلية للأطفال والشباب على السواء، كالحواة والبهلونات والمهرجين والراقصون على الحبال من الفجر يعرضون ألعابهم فى المولد. كما نشاهد أكل الزجاج، وأكل الثعابين حية، ومن يقوم بوضع أسياخ تمر فى جسده من الصدر حتى يصل للظهر، وهناك من يضع أسياخ فى فمه بين الفكين، وهناك من يضع أحجار كبيرة على صدره وهو نائم على المسامير أو الزجاج. وهناك من يقف وسط حلقة من الناس وفى وسطها وضع "منقد" ويختطف منه قطعة متوهجة ويلقى بها فى فمه. ثم يأخذ بمضغها على مهل، وهو يفتح فاه مع كل مضغ حتى يرى الناس ما فيه، ثم يبتلعها.. وكانت قطعة الفحم وهو يشق تبدو بيضاء من شدة سخونتها، حين يزمر يخرج من فيه شرر لا حصر له، ثم يمضغها ويبتلعها، ويعود مرة ثانية للرقص من جديد.

فالسمة البارزة للنشاط الترويحي والفنى هى جو البهجة الذى يشيعه، من تزيين للضريح، والمحلات، والبيوت، والسرادقات التى تقام، وأكشاك وسرادقات الألعاب. وطوابير الشباب المتجولين يفرعون الطبول ويغنون

كما أن كثيرا من الموالد ينضوى على تنظيم موكب في يوم الليلة الكبيرة قد يكون في الظهيرة أو بعد العصر (حسب الظروف في كل حالة) وهو بما يجرى فيه من استعراضات وزينات ومباريات وأبنية أحيانا موضوع للترفيه (الفرجة) يحوص على كل المشاركين على متابعته والاستمتاع به بل أن بعض الموكب تنطوى على مشاهد تمثيلية هزلية تمثيلية هزلية تجعل جرعة هذا الاستمتاع مضاعفة بالنسبة لجمهور المولد.

كما يعد النشاط العلاجي أبرز هذه الأنشطة جميعاً، إذ أن الدور العلاجي لأى ولى في الشفاء من مرض، أو التماس أو ممارسة عملية الختان.. أو غير ذلك أو لصيق بمفهوم الولي عند الناس. وتتم ممارسة هذا النوع من النشاط بصورة مختلفة.

ويلاحظ بصفة عامة أنه تروج في المواد الغذائية ويزداد الإقبال عليها، ويعد المولد مناسبة للمتريدين للإستمتاع بها كالحمص والحلاوة وبأشكالها وأنواعها، والتمرس، والفول السوداني، والعجوة، وجوز الهند، والفاكهة. ومن ذلك الأصناف المطهية كاللحوم بأنواعها، والكبد والسجق، والكشري، والطعمية، والفول النبات، والبيض الملون، والكباب والكفتة، والأرز، والمكرونات، والطرشى. كما تروج في المولد المشروبات المختلفة، المتلج كاليمنادة، والعرقسوس، والمياه الغازية، والشربات، والسوييا، والماء المتلج بماء الزهر أو بماء الورد، والتمر هندي، والشاي، والقهوة والقرقة.. الخ.

وتتمثل الجوانب الدينية للمولد في إقامة حفلات الذكر (الحضرات) وحلقات الوعظ والإنشاد الدينى، والأدعية (فردية وجماعية)، وتلاوة القرآن الكريم من بعض رواد المولد أو من قراء محترفين.

كما توجد جماعة من الناس يجلسون على الأرض في صفين، كل صف يواجه الآخر وهم جميعاً يتلون سوراً من القرآن، وهذا هو ما يعرف (بالمقرئ) وقد يكون بالمقرئ عدة جماعات أخرى، منها ما يقرأ أدعية بعينها، ومنها من يكون حلقة (دلائل الخيرات) والابتهالات والصلوات على النبي ﷺ، وبين هؤلاء هؤلاء جميعاً، يسير الزوار، أو يجلسون على الحصى.

ويتجمع الدراويش وغيرهم في (القبة) يتلون الأدعية والابتهالات، ويدخل الزوار إلى الضريح فيقرؤون الفاتحة، ولكن يتجمع الناس أكثر ما يتجمعون في الرواق السرادق الكبير حيث تقام الأذكار وغيرها من مظاهر الاحتفالات. ومن الأنشطة الدينية الخاصة أداء الصلوات، سواء الأوقات العادية في سائر الأيام، أو صلاة الجمعة، أو أداء الصلاة حينما يحين وقتها أيام المولد.

أعياد ... مصرية

(أ) عيد رأس السنة:

في رأس السنة المصرية القديمة، كان المصريون القدماء يحتفلون بعيد (أبت) - رأس السنة - احتفالاً كبيراً في الشهر الثاني من فصل الفيضان.

فإن أول تقويم نجم ثابت عرفته البشرية هو التقويم المصري القديم. فإن بشائر فيض المياه السمراء تظهر مع مطلع نجم ثابت معين، يبدو، ويشرق بوضوح في سماء معبد أون (هليوبولس) في نفس اللحظة التي تشرق فيها الشمس.

وهونجم (سبت) أو سيروس (الشعري اليمانية) وهو أول مجموعة من النجوم المعروفة باسم (الكلب الأكبر) وبعد قيامهم بمراقبة ذلك النجم ورصده عدة سنوات توصلوا إلى تحديد طول دورته الفلكية أو الدورة الشمسية بدقة متناهية، والتي حدود أطوالها، أو طول السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً وخمس ساعات و ٤٩ دقيقة و ٥٥ ثانية (أي بفارق يوم كل ١٢٨ سنة).

فإن ميلاد العام الجديد يكوّن في ظهور نجم الشعرى اليمانية الذى يعلن فيه ميعاد الفيضان حيث أطلق عليه اسم التقويم التحوّتى نسبة إلى المعبد "تحوّتى" إله المعرفة وقياس الزمن. وتوافق بداية العام التحوّتى: أى عيد رأس السنة اليوم التاسع عشر من شهر يوليو فى التقويم الميلادى الحالى. فكان احتفال المصريين القدماء بذلك العيد الذى بدأ فى ٧٥٣٣ سنة أول عيد عرفته البشرية.

أخذ الاحتفال بالعيد خلال الدولة القديمة مظهراً دينياً، فكانت تقاليد الاحتفال تبدأ بنحر ذبائح كالقرايين للإله.. وتوزع لحومها على الفقراء. وكان بعضها يقدم للمعابد ليقوم الكهنة بتوزيعها بمعرفتهم.

وكان سعف النخيل من أهم النباتات المميزة لعيد رأس السنة فيرمز إلى بداية العام وتخرج منقلب الشجرة، فكانوا يتبركون به، ويصنعون منه ضفائر الزينة. التى يعقلونها على أبواب المنازل.. كما كانا يحملون باقات السعف ليضعوه على المقابر فى العيد، ويوزعون ثماره الجافة صدقة على أرواح موتاهم كما كانوا يصنعون من سعف النخيل أنواعاً مختلفة من التمام والمعلقات التى يحملها الناس فى الصعيد على صدورهم وحول أعناقهم، كرمز لتجديد الحياة وحفظها من العين الشريرة.

وما زالت تلك العادة الموروثة والتى لم يطرأ أى تغيير حتى يومنا هذا. وما أقدم التقاليد التى ظهرت مع الاحتفال بعيد رأس السنة صناعة الكعك والفتائر، وانتقلت بدورها من عيد رأس السنة لتلازم مختلف الأعياد التى جعل لكل منها نوع خاص به، وكانت الفتائر مع بداية ظهورها فى الأعياد تزين بالنقوش والتعاويذ والطلاسم الدينية.

وقد أخذ عيد رأس السنة فى الدولة الحديثة طابعاً دينياً، وخرج من بين الأعياد الدينية العديدة ليتحول إلى عيد شعبى له أفراحه ومباهجه ومعانيه.

كانت طريقة احتفال المصريين به تبدأ بخروجهم إلى الحدائق والمنتزهات تاركين وراءهم همومهم ومتاعبهم في أيام النسي، والأيام الخمسة المنسية من العام هي تلك الأيام الخمسة التي أسقطوها من التاريخ خارج بيوتهم. ومن تقاليدهم في هذه الأيام أن ينسى الناس خلافاتهم وضعفائهم ومنازعتهم، فتقام مجالس المصالحات بين العائلات المتخاصمة، وكانت تدخل ضمن شرائع العقيدة.. حيث يطلب الإله من الناس أن ينسوا ما بينهم من ضعفان في عيده المقدس، عيد رأس السنة التي يجب أن تبدأ بالصفاء والإخاء والمودة بين الناس.

كما شاهد عيد رأس السنة - لأول مرة - استعراض الزهور "كرنفال الزهور" الذي ابتدعته كليوباترا ليكون أحد مظاهر العيد، حيث تصادف الإحتفال بعيد جلوسها على العرش مع عيد رأس السنة.

وعندما دخل الفرس مصر احتفلوا مع المصريين بعيد رأس السنة وأطلقوا عليه اسم "عيد النيروز" أو النوروز" ومعناه باللغة الفارسية "اليوم الجديد".

وقد أحتفل به الأقباط في مصر بعد دخول المسيحية وما زالوا يحتفلون به حتى اليوم كما ظلت مصر تحتفل به كعيد قومي حتى العصر الفاطمي.

وقد توارث أهالي الأقصر هذا العيد بعد أن مضى عليه نحو خمسة آلاف سنة فهم يحتفلون به الآن في مولد سيدى "أبو الحجاج" وقد أقيم مسجد على ركن عال من معبد الإله "أمون" بالأقصر.

عيد الأم

عيد الأم أحد الأعياد الفرعونية عرفت مصر منذ القدم، وهو عيد مقدس وقد جاء ذكر عيد الأم في برديات كثيرة. فمكانة الأم مقدسة لدى قدماء المصريين، واحتفل بعيد الأم كعيد مقدس ابتداء من الدولة القديمة، واستمر حتى أواخر عهد النصارى وعبروا - عن الأم - "ننويت" والربة "نوت" التي تظل الكون وترعاه،

والتي ولدت آلهة الخصب والبركة والخير، فخلدوها فى آثار معابدهم وفى الأساطير والبرديات المقدسة، كما أختاروا العدد الأكبر من آلهتهم من الأمهات.

أختار المصري القديم لعيد الأم آخر الشهور فيضان النيل - وهو شهر هاتور - وهاتور أو حتحور تعبر عن ربة الجمال ومعنى "حت - حور" وهو مرضعة الإله "أحور". كما اعتبروا تمثال "إيزيس" التي تحمل ابنها "حورس" رمزاً لعيد الأم.

وفى إحدى البرديات التي تم اكتشافها فى تل العمارنة رسالة من طفل إلى امه أرسلها فى عيد الأم.

اليوم عيدك يا أماه : دخلت أشعة الشمس من النافذة

: لنقبل جبينك ونباركك فى يوم عيدك.

: استيقظت طيور الحديقة مبكرة لتفرد لك فى عيدك.

: تفتحت زهور اللوتس فى البحيرة لتحبيكى.

: الفراش يرقص فرحاً منتقلاً بين الزهور مهناً بعيدك.

اليوم عيدك يا أماه : فى تنسى أنتدى لى فى صلاتك للرب.

قال آمون: "إن دعاء الأبناء لا يصل إلى آذان السماء، إلا إذا خرج من فم الأمهات".

اليوم عيدك يا أماه: إنه فرح من السماء الذى تفرح فيه الربة "إيزيس" وهى تشرك أفرحك".

يقول الحكيم "سنب حوتب" فى تمجد الأم فى عيدها وتقدم النصائح للأبناء.

ضاعف لها العطاء.. قد أعطتك كل حنانها.

ضاعف لها الغذاء.. لقد غذتك من عصارة جسدها.

واحملها فى شيخوختها فقد حملتك فى طفولتك.

بدأ الإحتفال بعيد الأم في العصر الحديث في ١٢ مارس، إنه اليوم الذي يبدأ فيه الربيع، وتتفتح فيه الزهور، يوم الطبيعة.

وفكرة إقامة وإحياء هذا العيد تعود إلى الأستاذ "على أمين" الكاتب الصحفي. حيث عرض الموضوع في جريدة أخبار اليوم ودعى للإحتفال بعيد الأم في يوم ٢١ مارس من كل عام.

ويقول على أمين ومع ذلك فالرأى لغالبية القراء، فأنا لا أريد أن أفرض يوماً معيناً ولكن يهمنى أن نتفق على يوم الأحد.

ولقد تلقيت مئات من الخطابات والتليفونات ... ومعظمها يتفق على أن يكون عيد الأم .. يوماً من أيام الربيع ورحت أكتب وأدعو للإحتفال بعيد الأم في يوم ٢١ مارس من كل عام وملأت صحف ومجلات دار أخبار اليوم بصور كاريكاتيرية تدعو لفكرة عيد الأم.. وتحمس أيضاً للفكرة السيد وزير المعارف - في ذلك الوقت - السيد كمال الدين حسين، وأصدر منشوراً لجميع المدارس بالدولة يطلب منها الإحتفال بهذا العيد كل عام.

وزاد حماس الناس لعيد الأمن. وفي مارس بدأت أعد القراء العيد. فإذا فتح القارئ جريدة الأخبار في أول مارس يقرأ أنه باقى من الزمن ٢٠ يوماً. وإذا فتحها في ٢ مارس، قرأ أنه باقى من الزمن ١٩ يوماً.. وهكذا.

وفي الأسبوع السابق للعيد بدأت المحلات التجارية تلاحظ إقبالاً غير عادى، وتضاعف الزحام يوماً بعد يوم. وازدحمت كل المحلات التجارية وسجلت أرقاماً المبيعات لم تسجلها في الأعياد. وفي يوم العيد... رأيت مئات الألوف من الأولاد والبنات يحملون الهدايا.. ورأيت رجالاً وسيدات يحملون الصناديق الملونة.

ويقول الحكيم .. (أنى)

عليك ألا تتسى أمك وكل ما عملته من أجلك.. ضاعف لها مقدار الخير
الذى تعيه لها.. أحملها كما حملتك.. فإذا نسيتها فإن الله سيعاقبك.. لقد حملتك تسعة
أشهر .. وحينما ولدت لك.. حملتك ثانية حول رقبتك.. وقد أعطتك من ثدييها
سنوات.. لم تشمئز من قدراتك.. ولما تعلمت الكتابة كانت تقف كل يوم إلى جانب
معلمك، ومعها الخبز.. جاءت بها من البيت وأعدتها بيديها .. وسهرت بجانب
فراشك لترعى صحنك.. أعطتك كل شئ، ولم تطلب أى شئ.. فأنت بالنسبة لها كل
شئ.

مهما أعطيتك فلن توفى ما عليك من دين للإله فهو الذى يطالبك به.. فإذا
تكرت لها .. تتكرت للإله.



الباب الخامس

المجتمع الإنساني

مُهَيِّنْد

المجتمع مصطلح مهم غير أن علماء المجتمع قلما يتعرضون لتعريفه أو تحديده على وجه الدقة، ولعل من الأهمية قبل محاولة التعرف على بعض العناصر الضرورية والأساسية للمجتمع الإنساني الوقوف على بعض خصائص المجتمع الحيوانى، لناخذ مثلاً لذلك مجتمع النحل، فى هذا المجتمع يوجد تخصص وتقسيم للعمل بين الملكات والذكور والشغالات ويتم العمل فى تعاون تام، ورغم أن كل ذلك يقوم على أساس غريزى إلا أن مجتمع النحل يؤدي واجباته بدرجة عالية من الكفاءة والتكامل والدقة، ويقال أن علماء الحشرات تستهويهم فى بعض الأحيان مقارنة مجتمعات الحشرات بالمجتمعات الإنسانية، أنهم يستمتعون من ملاحظة مجتمعات الحشرات وبما يدور فيها من عمل بطريقة منظمة ومسللة، ليس فيها جرائم ولا آمال ولا بطالة ولا الكثير من المشاكل كتلك التى ترحم الصفحات الرئيسية من الجرائد اليومية.

ان التعرف على المستلزمات التى جعلت من الإمكان بقاء مجتمعات الحشرات على مر الأزمنة يعتبر من الأمور الجديرة بالدراسة إذ لا بد وأن أفراد هذه المجتمعات يعملون بطريقة تمكنهم من أن يقابلوا احتياجاتهم البيولوجية من البيئة المحيطة بهم، وأنهم يتوالدون ويعوضون أنفسهم وأنهم يمارسون أنشطتهم بطريقة تعاونية بما فى ذلك تقسيم العمل المعمول به سواء أكان بسيطاً أو معقداً لمقابلة المستلزمات الأساسية لبقائهم.

الحيوانات تعتمد إلى حد كبير على الوراثة إذ عن طريق السلوك الموحد المتماثل أو ما يسمى بالغرائز الكثير من أنواع النشاط يساندها على ذلك قليل من التعليم وبعض وسائل الاتصال، ويصف Dr Von Frich كيف أن مجهودات آلاف

النحل فى الخلية تنظم من خلال الوراثة والتعلم والاتصال لأجل التماسل والحفاظ على النوع ورعاية الصغار وللبناء والتعليم ونظافة المسكن وامتصاص أكبر كمية من الغذاء من البيئة الخارجية وحفظ تخزين الغذاء والدفاع عن المملكة (الخلية) وبدون هذه الأنواع من السلوك المنسق يصعب على النحلة أن تعيش بمفردها كما يصعب بقاء مملكة النحل.

ولأجل أن تبقى المجتمعات الإنسانية لأبد وأن تقابل مثل هذه الظروف الضرورية التى تستلزمها المجتمعات الحيوانية، فالمجتمع الإنسانى مرتبط أيضاً بالعوامل البيولوجية الوراثية إلا أن تلك العوامل البيولوجية هى التى تتسبب فى الفروق الكثيرة بين المجتمع الإنسانى ومجتمع الحيوانات، ويمكن بالأخص الإشارة إلى قدرة الإنسان اللانهائية على التعلم والابتكار والتذكر والاتصال والتصور، نتيجة لكل هذه القدرات وغيرها نجده يقابل احتياجاته الضرورية عن طريق السلوك المتعلم أساسياً أى السلوك غير الموروث والذى لم يوجد جاهزاً وإنما المكتسب والمنسق عليه والذى يخضع لنمط أو أنماط معينة من القيم والعرف.

فى ظل هذا النوع من السلوك تكون الأنشطة منسقة ومتكاملة فى نظام اجتماعى قادر على مقابلة المستلزمات الضرورية لاستمرار البقاء وغيره من المستلزمات بدرجة أكثر فعالية من مقابلها عن طريق الجهاز الوراثى وهذا هو أكبر مميز بين المجتمع الإنسانى والمجتمع الحيوانى وبسبب الاعتماد على السلوك المتعلم والمنمط ظهرت احتياجات جديدة لأجل البقاء إلا وهى استمرار النظام الاجتماعى وهذا بدوره تطلب استمرار التعليم واستمرار السلوك المنمط ويظهر ذلك فى حتمية اجراء عملية التنشئة الاجتماعية للصغار وفى أنماط السلوك التى تعمل على الحفاظ على قيم النظام الاجتماعى وفرض أنماط سلوكية.

مما تقدم يتبين أن الكثير من فصائل الحشرات والحيوانات تعيش فى تجمعات منظمة فى نظام فيه تقسيم للعمل مستمر مع الزمن، وتقيم فى مكان معين ولها أهداف مشتركة، فالوقاية وجمع الغذاء والتكاثر كلها أنشطة أمكن تحقيقها عن طريق كثرة العدد والتخصص غير أن التنظيم الاجتماعى للحيوانات يعتمد على الغرائز أى ردود الأفعال الموروثة فتقسم العمل بين النمل أو النحل مثلاً يقوم على أساس اختلافات فسيولوجية محددة، وفى كل طبقة لا يوجد فردية بمعنى أن كل الذكور أو الشغالات أو الملكات متشابهات تقريباً كل طائفة لها وظائف، هذه المجتمعات لا تتغير بل أنه يقال أن بعضها مستمر منذ ٦٥ مليون عام مضت، وكل فرد منها له ردود أفعال معينة وليس هناك احتياج لعملية تطبيع اجتماعى وليس هناك أشياء مقدسة يحافظ عليها.

ومعظم الحيوانات القريبة الشبه من الإنسان منظمة أيضاً فى عائلات وقطعان وعشائر، أنها حيوانات اجتماعية لطول فترة الطفولة بالنسبة للمواليد ولأن الدوافع الجنسية للبالغين لا تعرف مواسم معينة ولأن مواليدها فرادى، أنها تتصل ببعضها عن طريق الإشارات والكثير من سلوكها متعلم وتظهر شعوراً بالانتماء إلى الجماعة وتعبّر عن الكثير عن عواطفها كالحب والكراهية، الحزن والسعادة. أهم ما يميز بين هذه المجتمعات والمجتمعات الإنسانية هى الثقافة التى مكنت الإنسان من أن يعيش فى مجتمعات ليست قائمة فقط على أساس التعاون وتبادل المنفعة وإنما أيضاً على أساس الاشتراك فى العقائد والقيم والشعور بالمصير المشترك.

المستلزمات الأساسية للمجتمع الانساني

الاحتياجات الفسيولوجية:

الأفراد فى المجتمع يتطلبون غذاءً مناسباً وماءً وملبساً ومأوى وحماية ضد الحوادث أو اعتداءات الأفراد الآخرين أو الحيوانات، وهذا يتطلب بدوره العناية بتربية الصغار ورعاية الكبار عند المرض والحد الأدنى من الظروف اللازم توافرها لبقاء الإنسان تحددها الاحتياجات الفسيولوجية لكل جهاز انساني فى ضوء الظروف البيئية المحيطة به وعدم توافر هذا الحد الأدنى قد يؤدي إلى موت الإنسان.

ومع هذا فإن الجهاز الإنسانى يستطيع أن يقابل احتياجاته الضرورية بطرق مختلفة كما سبق أن أوضحنا عند الكلام عن الثقافة فالنواحي البيولوجية والظروف الطبيعية وإن كانت تضع حدوداً لعملية السعى وراء البقاء إلا أنها لا تحدد نمط النظام الاجتماعى الذى عن طريقه يمكن تحقيق البقاء فهناك عادة بدائل يمكن للمجتمع الإنسانى عن طريقها أن يحصل على الاحتياجات الفسيولوجية لأعضائه.

تكامل النشاط والعلاقات الاجتماعية المنظمة:

بقاء المجتمع الانسانى يتطلب إلى حد ما تقسيم العمل بين أفراد على أساس الجنس والعمر فالمرأة لا تستطيع مثلاً أن ترعى الصغار من الأطفال وفى نفس الوقت تصيد الحيوانات وحتى هذا النشاط الأخير يجد الرجال أن من المستحسن التعاون فيه مع رجال آخرين على أساس تقسيم العمل وكل عمل من الأعمال يضاف على من يقوم به مكانة اجتماعية معينة.

كما وأن الأعمال المختلفة تتطلب أدواراً مختلفة ويسمى السلوك المتفق عليه والمتوقع لأفراد المجتمع سواء ذلك المتصل بإمكانات أو أدوار معينة بالسلوك المعيارى هذا السلوك يتضمن التقاليد والعادات الشعبية والعرف والطرق التى أصبحت قانونية كما ويشمل الاتجاهات والآراء والقيم والمفاهيم وأساليب التفكير المشتركة والنظام الاجتماعى الموجود بالمجتمع يستند أساسياً إلى المعايير الاجتماعية أى السلوك المتفق عليه والمتوقع لكى يودى المجتمع وظائفه.

تعويض الفاقد من الأفراد:

من الواضح أن استمرار المجتمع الإنسانى مرهون بتعويض الفاقد من أفراد، أحياناً ما يتحصل على بعض الأفراد من المجتمعات الأخرى عن طريق الهجرة الاختيارية وأحياناً أخرى عن طريق الشراء أو الغزو غير أن المجتمعات الإنسانية المعاصرة لا تلجأ أساسياً لذلك بتعويض الفاقد من أعضائها، أنها تعتمد اعتماداً كلياً على طريقة التكاثر البيولوجى للأعضاء، وفى الأمد الطويل لا يستطيع مجتمع أن يستمر بدون هذا التكاثر كمصدر رئيسى للحصول على أعضاء جدد بالمجتمع.

الاحتفاظ بالنظام الاجتماعى:

خلاقاً لما يحدث فى مملكة النحل التى يأتى أفرادها إلى الحياة بمجموعة من القدرات الوراثية المحدودة فإن الطفل يأتى إلى الحياة بمجموعة من القدرات الوراثية التى تمكنه من أن يقتبس الطرق العامة للحياة فى أى مجتمع، أنه يستطيع كما سبق الإشارة أن يقتبس أساليب الحياة الإنجليزية أو المصرية أو الأمريكية، يمكن أن يكون انساناً متديناً أو مجرماً وفى حدود قدراته لا يستطيع أن يتبنى أى نمط من السلوك يعبر عنه البشر فى أى مكان، بقاء النظام الاجتماعى الإنسانى إذن لا يضمن

تحقيقه مجموعة العوامل الوراثية وحدها وإنما يعتمد أساسياً على السلوك المنمط المتعلم.

ولأجل أن يستمر النظام الاجتماعى لابد أن يكون هناك ما هو أكثر من عملية التنشئة الاجتماعية للصغار ذلك لأن الانحراف عن السلوك المعيارى ليس فقط احتمالاً قائماً فى أى عمر ولكنه اتجاه وميل مستمر ومهما كان الشخص متشرباً للسلوك المعيارى السائد فى مجتمعه فإن رغباته الخاصة قلما تتفق مع التوقعات الاجتماعية، ومن ثم نجد أنه فى كل مجتمع توجد بعض الانحرافات عن السلوك المعيارى المثالى.

بل أنه بالنسبة لبعض الأفراد كالمجرمين يعتبر تعلم السلوك الاجتماعى المقبول أمراً فى غاية الصعوبة، هذا بالإضافة إلى أنه فى المجتمعات الكبيرة توجد جماعة صغيرة عديدة تنمى طرقاً مختلفة من السلوك الانحرافى - وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن بعض الأفراد ينتقلون من جماعة لأخرى وإذا ما أضفنا أيضاً التطور التكنولوجى السريع فإن مشكلة الاحتفاظ بنظام سلوكى متفق عليه يصبح بحق أمراً عسيراً.

الضبط الاجتماعى:

مصطلح كما سبق أن أوضحنا يقصد به كل الطرق والوسائل التى بواسطتها يعمل المجتمع على المحافظة على المعايير الاجتماعية للنظام الاجتماعى - ويعتمد الضبط الاجتماعى أساسياً فى ذلك على تشرب الأفراد للمعايير السلوكية، وكلما تغيرت المعايير الاجتماعية كلما تطلب الأمر تغير السلوك المعيارى المرتبط بها وفرض سلوك آخر ويتم ذلك من خلال تشرب المعايير الاجتماعية الجديدة، والأفراد فى المجتمع يشعرون بأمن ورضى من اتباع المعايير الاجتماعية السائدة فى المجتمع.

والانحراف عن السلوك المعيارى عن حد معين يقابل عادة بمقاومة وعدم رضا يعبر عنها بطرق مختلفة عنها الاتسحاب من الجماعة أو قطع الصداقة أو غير ذلك، أما الانحرافات الشديدة فيضع لها كل مجتمع أساليب معينة لمعاقبة المنحرفين مثل السجن والعزل وغير ذلك من الأساليب والتي أصبحت لها إجراءاتها القانونية وأصبحت مهمة الشرطة أن تقوم بتطبيقها لصالح ولرفاهية الجماعة فى حدود الأساليب القانونية المتفق عليها ولهذا فإن نظاماً من السلطة أخذ طريقة فى الظهور حفاظاً على سلامة المجتمع واستمرار بقاءه.

الحفاظ على المعنى والغرض:

يختلف المجتمع الانسانى عن المجتمع الحيوانى فى أن الأول لايد فيه من غرس الشعور بالمعنى والغرض والذي يدونهما تختفى الدوافع الاجتماعية فكل مجتمع له ايدولوجية خاصة به والتي تشرح لأعضائه لماذا تعتبر طريقة حياته مهمة أن لم تكن على جانب كبير من الأهمية، هناك أدلة على أنه بدون المعنى والغرض يمكن أن تتعرض حتى الوظائف الفسيولوجية للفرد للخطر ففقدان شعور الإنسان بالمعنى والغرض الذى من أجله يعيش من الممكن أن يحطم صحته بل ويؤثر على الرغبة فى استمرار الحياة وفضلاً عن ذلك فإن الشعور بالمعنى والغرض له علاقة وثيقة بنوع العلاقات التى يقيمها الفرد مع غيره من الأفراد الآخرين.

الرموز الاتصالية:

تعتبر الرموز الاتصالية مهمة حتى فى مجتمع النمل إذ عن طريق الرقص تنقل النملة للآخرين المعانى التى يفهم منها الموقع الغنى بالغذاء، ولو أن النمل يستطيع أن يتصل ببعضه عن طريق رقصاته أى حركاته إلا أن وسائل الاتصال هذه محددة جداً بالموقف والفعل المعين بالطبع بعض وسائل الاتصال بين البشر

شبيهة بهذا النوع من الاتصالات كالجرى والصراخ من شئ معين أو الإشارة إليه غير أن اللغة الحقيقية تتكون أساساً من الرموز الصوتية المتفق عليها والتي تعبر عن الأشياء والأفعال. هذه الرموز تشير إلى معنى أو معاني معينة بالإضافة إلى أنها تشير إلى أنواع مختلفة من التجريد كالوطنية والديمقراطية والعدل...الخ.

البناء الاجتماعي ووظائفه:

البناء الاجتماعي واجزائه مثل القيم والمكانات والأدوار والجماعات والمجتمعات المحلية والمؤسسات هي موضع الاهتمام في هذا المجال، ولقد أظهر الإنسان دائماً اتجاهات كبيرة نحو تحسين رغباته وزيادتها وتطويرها إلى ما هو أبعد من الحد الأدنى للاحتياجات الاجتماعية، وأياً كانت الأسباب فإن البناء الاجتماعي أو بعض أجزائه تتطور لكي تحقق أهدافاً معينة أي تقابل احتياجات ورغبات معينة وبمعنى آخر تخدم وظائف معينة.

ما يقال عن البناء الاجتماعي ووظائف أجزائه يمكن أن يقال عن جسم الإنسان - لو أن هدفنا هو الفهم العلمي لجسم الإنسان فإننا سوف نقوم بنفس الأسلوب من التقصي وهو دراسة البناء والوظيفة فتحليل البناء هو التشريح الذي يتناول وصف الأيدي والأعين والأرجل والعظام والعضلات والغدد، وسوف ندرس تلك الأشياء الصغيرة التي يطلق عليها بالخلايا والأشياء الكبيرة التي يطلق عليها بالأجهزة.

أن جسم الإنسان لا يمكن أن يفهم بمجرد التعرف على أجزائه أي تشريح أجزائه إذ لابد وأن يكمل ذلك معرفة العلاقة بين الأعضاء وكيف تؤثر وتتأثر ببعضها وكيف تعمل لكي تحافظ على الجهاز بأكمله كوحدة واحدة وهذا ما كان يتناوله علم الفسيولوجي بالدراسة وبالمثل فإن فهم المجتمع الإنساني يتطلب أكثر من

التعرف على البناء الاجتماعى أنه يتطلب ايضا معرفة الوظيفة أو الوظائف التى تقدم بها مختلف أجزاء البناء وعلاقة كل جزء بالآخر لأجل الحفاظ على المجتمع ككل أى كوحدة متحدة ومتماسكة.

المنطقة المحدودة:

المجتمع مجموعة من الناس تقيم فى منطقة معينة، بعض المجتمعات القبلية تنتقل فى مساحة واسعة أكبر مما تشغل فى أى وقت معين إلا أنها تنظر إلى كل المناطق التى تنتقل فيها على أنها دولتهم، بالطبع يوجد داخل المجتمع الواحد مجموعات تقيم فى مناطق معينة مثل الأحياء أو الأقسام السياسية كالمراكز والمدن والقرى إلى غير ذلك، المهم أن لكل مجتمع رقعة من الأرض يقيم أفرادها عليها.

تلك هى المستلزمات الرئيسية اللازم توافرها لقيام المجتمع الإنسانى فى أى جهة من جهات العالم، والمجتمعات الإنسانية لها خصائص عالمية عديدة منها أنها عادة ما تعيش وتبقى فترة أطول بكثير عن فترة حياة أى فرد من أفرادها، وأن لها وظائف ووحدات عمل ولو أنها تتكون من الأفراد غير انها تقوم بعملها كوحدات قائمة بذاتها وأن الاهتمامات الشخصية للأفراد المكونين لتلك الوحدات تتوارى بجانب اهتمامات المجموع الكلى للجماعة، وفى كل مجتمع يتبين أن أوجه النشاط التى تعتبر ضرورية لبقاء المجموع مقسمة وموزعة بين مختلف الأعضاء، والمجتمع هو الوحدة الأساسية للجنس البشرى والتى تسعى وتتاضل من أجل البقاء، وقدر افراده مرتبط بماله من خصائص إذ عليه يعتمدون.

تعريف المجتمع

والآن وبعد أن قارنا بين المجتمع الحيوانى والمجتمع الإنسانى واستعرضنا المستلزمات الأساسية للمجتمع الإنسانى بقى أن نحاول تعريفه، وتعريف المجتمع

كمصطلح لن يكون مرضياً لكافة العلماء ومن ثم يبدو من الأنسب ألا نقتيد بتعريف محدد الألفاظ قدر ما نشير إلى مضمون ومفهوم هذا المصطلح، المجتمع أحياناً ما يعتبر مصطلح رمزي يعبر عن الظواهر الاجتماعية التي تهتم علماء المجتمع وعن النسيج من العلاقات التي عن طريقها يتعامل الأفراد مع بعضهم، غير أنه أعطى معنى آخر أكثر تحديداً حيث يعتبر أكبر جماعة اجتماعية والتي تضم كل الجماعات الصغيرة الأخرى التي ينظمها الناس.

وإذا ما علمنا أن الجماعة الاجتماعية هي مجموعة من الناس المشتركين في أنماط من الفعل المتبادلة والواعين والمدركين لعضويتهم المشتركة لكان مفهوم المجتمع على أنه أكبر جماعة اجتماعية يستند إلى التفكير الثقافي الذي جعل من السكان مجموعة مميزة من الناس، بمعنى أن المجتمع يوجد عندما تعرف مجموعة من الناس أنفسهم على أنها مميزة ثقافياً عن غيرها، وعندما ينتج بناء اجتماعي معقد يعمل على إيجاد طريقة حياة جماعية، ليس هناك جماعة أكبر بحيث تصبح هذه الجماعة جزءاً منها ولا هناك بناء اجتماعي أكبر بحيث يصبح هذا البناء جزءاً منه.

المجتمع إذن هو الجماعة الاجتماعية الكبيرة التي تشمل كل الجماعات الاجتماعية الأخرى الموجودة بين الناس وإدراك المجتمع على هذا النحو لا يعطى أهمية لأي حجم معين فالمجتمعات قد تكون كبيرة أو صغيرة غير أنه في العالم الحديث هناك اتجاه نحو المجتمعات القومية الكبيرة المنظمة سياسياً والتي تتمثل في الأمة والحكومة، والتي تحتكر كل منها السيطرة على منطقة معينة مستوطنة بواسطة الناس والمتعارف أنها مجتمعهم، في ظل هذا المفهوم يمكن أن تكون القبيلة مجتمعاً حتى ولو كان أفرادها عدة آلاف من الناس.

مؤسسات المجتمع

لفظ مؤسسة مصطلح قديم وله مفهومان يبدو انهما متعارضين ولو أن ذلك غير صحيح، أحد هذين المفهومين يعرف المؤسسة على أنها مجموعة معقدة من القيم تدور حول عقائد وأفكار معينة فالقيم تصبح مؤسسة عندما تساندها الجماعة بشدة عن طريق الاتفاق العام وعندما تكون هناك قوة مانعة شديدة للحد من مخالفتها تفرض عن طريق هيئات أى عندما تصبح جبرية، أما المفهوم الثانى للمؤسسة فلا يؤكد تأسيس القيم فقط وإنما أيضاً الفعّال الاجتماعية أو أوجه النشاط التى تحكمها القيم بمعنى أن هذا المفهوم يؤسس أيضاً الدوار والعلاقات، وبمعنى آخر يمكن القول أن المفهوم الأول يؤكد القيم والثانى يؤكد الفعّال التى تحكمها تلك القيم وواضح أن المؤسسة تتكون من القيم والأدوار معاً.

على أن هناك ثمة تساؤل عن السباب التى جعلت بعض أوجه النشاط مؤسسة والبعض الآخر غير مؤسسة لتوضيح ذلك هناك موضوعان يجب الوقوف عليهما أحدهما ينبعث من طبيعة الإنسان والآخر من طبيعة المجتمع، المفهوم الحالى عن الإنسان أنه لا يوجد لديه مجموعة من العوامل الغريزية التى تتحكم فى سلوكه بطريقة محددة أو نمط معين فالناس يخلقون الأدوات والأساليب وطرق الأفعال والتفكير وذلك من أجل خلق النظام الاجتماعى غير أن العقل البشرى يستطيع أن يدرك أكثر من طريقة منطقية لعمل أى شئ ويفعل ذلك فعلاً ومن ثم تختلف الثقافات.

أما من ناحية المجتمع فلكل مجتمع طريقة حياته الخاصة التى ينفجها على مر السنين وهى مجموعة من الترتيبات التى عن طريقها نظمت الحياة واحتفظ بها المجتمعات الإنسانية حول العالم اختلفت فى الترتيبات والتنظيمات التى اتبعها بل أنها اتبعت ترتيبات وايضاً تنظيمات متعارضة أو متناقضة، يظهر ذلك بوضوح من

استعراض القيم الثقافية والأنماط المؤسسية حول العالم، ولقد لجأت المجتمعات لأجل بقاء النظام الاجتماعى - إلى خلق طرق منظمة لتناول بعض المشاكل العالمية - فكل مجتمع - على سبيل المثال - أوجد نظاماً لشرعية المولود ورعايته وتنشئته والذي أطلق عليه بالسرية.

هذا الترتيب والتنظيم ليس شيئاً موروثاً ولا هو بالضرورة متشابه فى كل المجتمعات ففى بعض المجتمعات يوجد نظام الزوجة الواحدة وفى البعض الآخر نظام تعدد الزوجات وفى آخر نظام تعدد الأزواج وفى بعض المجتمعات تقع مسئولية الرعاية الاجتماعية للأطفال على عاتق الأب وفى أخرى على عاتق الخال - ليس المهم هنا أى الترتيبات صواب أيها خطأ وإنما المهم أن النظام الاجتماعى بالمجتمع أوجب ضرورة وجود ترتيب وتنظيم معين لأمر هام من الأمور وهو التزواج ورعاية وتنشئة الأطفال بحيث أصبح هذا الترتيب بالنسبة لهذا المجتمع هو الطريقة الصحيحة والمقبولة أخلاقياً واجتماعياً.

لا بد وأن نتذكر أن ليس هناك مجتمع يستطيع أن يدرك كل الاحتمالات المنطقية لعل ما يعترضه من مشاكل، فالكثير من المجتمعات التى تعيش فى عزلة يبدو أنها لا تعرف البدائل المنطقية إلى أن تكتم اتصالات مع غيرها من المجتمعات - وعلى ذلك لا يوجد مجتمع يختار كل ترتيباته المؤسسية بطريقة واعية فكل مجتمع يخلق نمط فى الحياة من مجموعة أوضاعه وخبراته التاريخية وجعلها شرعية عن طريق القيم الأساسية التى يعتقد فيها أفرادها والتى توضح ما هو صواب وما هو خطأ وما هو أخلاقى وما هو غير أخلاقى من النواحي المختلفة لحياة الناس فيه، فقيام المؤسسات إذن - أى القيم والأفعال المؤسسية - يحدث فى كل المجتمعات خلال محاولاتها تشكيل بنيانها الاجتماعى المميز لها حول بعض الأمور العالمية الهامة.

ومن الأمور التي دعت إلى قيام المؤسسة الرغبة في التحكم في الاختلاط الجنسي وعمليات إنجاب ورعاية الأطفال وهذا ما دعى إلى قيام البناء الاجتماعي المسمى بالأسرة كما كانت الرغبة في تنظيم الأفراد في أعمال إنتاج السلع المادية وتوزيعها سبباً في إيجاد البناء الاقتصادي بما يتضمنه من حقوق وواجبات الأفراد المشتركين فيه، هذا وقد أدى الشعور بضرورة المحافظة على النظام الاجتماعي إلى وجود ما يسمى بالمؤسسات السياسية.

تلك المؤسسات تطلبت ما يسمى بالسلطة الشرعية التي توضع في أيدي أفراد معينين لأجل ضمان استمرار النظام الاجتماعي، كما تطلبت من مجموعة من القوانين التي يشترك في اتباعها أفراد المجتمع وفضلاً عن ذلك فإن الحفاظ على النظام الاجتماعي استدعى خلق مجموعة من المحرمات التي يجب مراعاتها ومجموعة من الجزاءات لمن يخالف القيم المتعارف عليها كما خلق القوة الشرعية التي يوكل إليها تعريف وإعادة تجديد القوانين والاتفاقيات التي تكفل النوم والاتسجام في المجتمع وتوفر طريقة شرعية لاتخاذ القرارات.

ولما كان الصغار من أفراد المجتمع لابد وأن يقتبسوا الثقافة ويتدرجوا على القيم والكفاءات الاجتماعية كان لابد من وجود نظام تعليمي، هذا النظام في المجتمعات قبل الصناعة كان يتمثل في الأسرة التي كانت من مسئولياتها تعليم أفرادها وقليلاً ما كانت هذه المهمة تؤدي في بناء خاص خارج عنها غير أنه في المجتمعات المعاصرة أنشئ للتعليم مؤسسات تعليمية لها مهامها ووظائفها الخاصة.

وأخيراً كان هناك مجموعة الشعائر الدينية التي تتولاها المؤسسات الدينية والتي تعبر بطريقة منظمة عن العقائد الأساسية والسيطرة الأخلاقية والتي تجعل المجتمع في انسجام أخلاقي، ويعتقد البعض أن عالمية المؤسسات الدينية في

المجتمعات البدائية أكثر منها في المجتمعات المتقدمة، حيث الدين المنظم وفصول عن الدولة وحيث الجماعات الدينية تنافس وتتنازع من بعضها.

هذه هي مجالات العلاقات التي أصبحت أنماطاً اجتماعية في البناء الاجتماعي للمجتمع والتي عادة ما يطلق عليها علماء المجتمع بالمؤسسات الأسرية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والدينية كل من هذه المؤسسات ما هي إلا مجموعة من القيم المعقدة وأنماط بنيت حول مسائل رئيسية في صميم تنظيم المجتمع، ولأن المؤسسات الاجتماعية تساندها وتحكمها القيم فإنها أكثر عناصر البناء الاجتماعي استقراراً وأكثر مقاومة للتغيير.

هذه هي الحقيقة يجب ألا تترك في الأذهان الفكرة بأن المؤسسات غير قابلة للتغيير - أنها تتغير ولا شك من آن لآخر على مر فترة طويلة من الزمن، وما نطلق عليه بالثورة الصناعية ما هو إلا إدخال تغييرات على البناء الاجتماعي للمجتمع بما يتضمنه ذلك من تعديلات في التنظيمات المؤسسية، تلك التغييرات عندما تحدث انقلاباً سريعاً في الأوضاع القائمة تسمى بالثورة.

أنواع المجتمعات:

الدراسة المنظمة للمجتمع لقيت اهتماماً كبيراً نتيجة لما تبين من أن المجتمع الانساني تغير تغيرات جوهرية نتيجة للثورة الصناعية فقد وجد مفكروا القرن التاسع عشر أن أنماط السلوك الاجتماعي للمجتمع التقليدي تعطلت وضعفت وتفككت والتفكير المحافظ يرى في هذا التفكك نوعاً من الانحلال للمجتمع الانسان، اما التفكير الليبرالي فيرى في هذا التغيير نوعاً من التقدم والتحرر للفرد من التقاليد والعادات القديمة ولقد حاول علماء المجتمع التوصل إلى أساليب من الدراسة

والتحليل التي تمكن من فهم خواص البنيات الاجتماعية وتيسر المقارنة بينها فأخذوا يخترون المصطلحات المفيدة في تحليل بعض الظواهر الاجتماعية المعقدة.

بعض هذه المصطلحات تأتي ثنائية عكسية الاتجاه من حيث نهاياتها التي تقع في اطراف خط مستقيم أى متصل، أنها نماذج - ربما لا تصف أى حالة معينة وصفاً دقيقاً ولكنها تسمح بتحليل ظواهر معينة عن طريق التعرف على المكان الذي تشغله عناصرها على المتصل Continuum من هذه المصطلحات المجتمعات التقليدية والمجتمعات العصرية الأولى منها يشير إلى المجتمعات خارجى دول العالم الغربى وربما فى بعض المناطق القروية المنعزلة فى أوربا، أما النوع الثانى فيشير إلى المجتمعات التي جاءت مع الثورة الصناعية فى اوربا وأمريكا.

ولفظاً "المجتمعات التقليدية والعصرية" هما لفظان من بين ألفاظ عديدة استخدمت بواسطة الاجتماعيين لوصف الأنواع المختلفة من المجتمعات، وتهدف عادة المقارنة بين هذين النوعين من المجتمعات إلى تحليل عوامل التحول الاجتماعى التي مرت بها الثقافات الغربية فى القرون الأخيرة وتوضيح العناصر المميزة لكل من المجتمع التقليدى القديم والمجتمع العصرى، هذه المقارنة لا يقصد بها وصف مجتمعات معينة بالذات وإنما هى مخرج اختبار لبعض العناصر التي وجدت متشابهة فى عدد من المجتمعات.

المجتمع التقليدى:

احد مميزات المجتمعات التقليدية أنها صغيرة الحجم يتفاوت الواحد منها من مجموعة أسر قليلة إلى عدة آلاف من الناس وإذا كان المجتمع التقليدى صغير فى الحجم فإن ذلك ينطبق أيضاً على منظمته الاجتماعية التي تكون أجزاءه فالأسر وجماعات القرابة والبيئة القروية والجماعات الصغيرة الأولية هى أم شبكة للعلاقات

الإنسانية والتي فيها يمارس الفرد نشاطه، تلك العلاقات الاجتماعية أكثر شخصية لأن التفاعل الاجتماعى يتم بين عدد صغير من الأفراد يعرفون بعضهم معرفة الوجه للوجه وفى فترات متعددة.

ومجموعة الأكارب تعتبر مهمة بالنسبة للفرد فى المجتمع التقليدى أنها جماعة متعاونة لغرض مقابلة الكثير من الاحتياجات والوظائف بما فى ذلك النواحي الاقتصادية كما وأنها مصدراً هاماً من مصادر الأمن بالنسبة للفرد ومسئوليات القرابة لا يمكن التحرر منها وأيضاً العلاقات الأسرية قوية ومثينة وهى أساس التنظيم الاجتماعى، هذا التنظيم فرة الثقافة المتكاملة جداً والتي لا تتغير إلا قليلاً وببطء والتي تسير على وتيرة واحدة وتكاد تكون ثابتة، أنها تقدم قيماً وأهدافاً تتفق عليها أساسية إلى حد أنها لا تحتاج إلى ألفاظ للتعبير عنها ولا حاجة إلى قوانين فالضبط الاجتماعى غير الرسمى كفىل بأن يجعل الأفراد يسلكون السلوك المقبول.

وتقوم المكانات الاجتماعية فى المجتمع التقليدى على أساس الجنس والعمر والأسرة والأدوار الاجتماعية واضحة وتحددها الثقافة والعلاقات المتبادلة، وأنماط السلوك لا يتغير إلا قليلاً من جيل لآخر وما يقوم به الرجل يقوم به كل الرجال وما يعرفه أو يعتقد فيه يعرفه ويعتقد فيه الآخرون فالناس فى المجتمعات التقليدية سلوكها متشابهة وتفكيرها متشابهة وأنهم متشابهون إلى حد كبير كأشخاص.

ليس إذن غريباً فى مثل هذه المجتمعات حيث العلاقات الشخصية القوية وبين الأفراد وحيث يوجد عدد قليل من العلاقات مع أفراد خارجيين أن يوجد شعور قوى بانتماء الناس بعضهم لبعض وانتمائهم إلى مجتمعهم، والمجتمع التقليدى مجتمع يسوده الشعور بالقدسية ويتأثر أفراد طوال حياتهم بهذا الشعور فى الكثير من أوجه نشاطهم حتى فى نشاطهم الزراعى من صيد وقنص حيث يتم هذه النشاط فى ظل طقوس معينة.

والتضامن والتكامل فى المجتمع التقليدى يتم بيسر نتيجة الاهتمامات والخبرات المشتركة الكثيرة والتراث البيولوجى والثقافى المشترك وحيث السلوك المستقر على مدى فترة طويلة من الزمن فى ظل العادات والتقاليد التى توصل اليها عن طريق الاتفاق العام والتقاليد السائدة على مر فترة طويلة من الزمن والمقبولة من الجميع تودى إلى شعور عميق بالفخر بالنسبة لطرق سلوك الجماعة، كما تعتبر السبب وراء المقاومة التى عادة ما تظهر عندما يحدث تعارض مع القيم المغروسة فى الحياة التقليدية.

وهناك العديد من الأشياء فى المجتمعات التقليدية تعامل بطريقة مقدسة ومن ثم فإنها عادة محاطة باحتفالات وطقوس وفى المجتمع التقليدى مجتمع زراعى بدون ميكنة أو استخدام للأساليب العلمية ومن ثم فن أفراد قليلي لتخصص فى المهن والوظائف الاقتصادية وينقصه التقسيم المعقد للعمل وفيه عادة توزيع العمال الاقتصادية بين أفراد من الرجال والنساء والأطفال وفقاً لقدراتهم الجسمية، ومقدار الأعمال التى تودى عادة قليلة والخبرات والقدرات التى يتمتع بها الأفراد محدودة.

وهو عادة مجتمع مكثفى ذاتياً ينتج أفراد ما يحتاجون إليه من سلع وما يتطلبون من خدمات ونظراً لأن تقسيم العمل المحدود فى المجتمع التقليدى لا يتطلب من الأفراد قدراً كبيراً من تخصص فى المهارات أو المعارف أو الأفكار فإن المعارف التى لدى الأفراد و آراؤهم فى العادة محدودة للغاية والمعايير التى تنظم السلوك و تتحكم فيه واحدة تقريباً بالنسبة لكل أفراد المجتمع التقليدى مجتمع متجانس من الناحية الثقافية.

المجتمع العصري:

في الطرف الآخر من المتصل Continuum يوجد المجتمع العصري علي درجة عالية من التحضر والتصنيع ويعتمد على المجتمعات الأخرى في الحصول على المواد الخام وعلى الأسواق لتصريف المنتجات وهو مجتمع غير مكتفى ذاتياً بالمرّة، وتقسيم العمل الدقيق يجعل كل فرد من أفرادها يعتمد على الآخرين في سد احتياجاته والتخصصات المختلفة منسقة في نظام كبير معقد للإنتاج والتوزيع، والمجتمع عادة خليط من ثقافات مختلفة فأفراد من عناصر وثقافات وأديان متباينة، ونتيجة لذلك هناك قيم مختلفة وتسامح بالنسبة للأنماط المختلفة من السلوك.

والمجتمع العصري مجتمع كثير التغير فيه القليل من الأشياء التي ينظر إليها على أنها مقدسة وكأقل جداً من لوجه النشاط غايات في حد ذاتها وليست وسائل وبمعنى آخر هناك تمييز بين الوسيلة والهدف والكثير من أنواع السلوك في المجتمع العصري تقوم على أساس من التفكير المنطقي المحسوب، والتقدير بالنسبة للدين فقط وبالنسبة لقليل من القيم كالوطنية والعلم والدستور، فالتقاليد الملزمة في المجتمع العصري قليلة ومن ثم فإن الشعور بالفخر من وراء التمسك بها قليل، وفضلاً عن ذلك فإن استخدام العلم والتكنولوجيا الحديثة شجع على اجراء الاختبارات العلمية للأشياء التي يعتقد فيها تقليدياً ولوجد اتجاهاً يرحب الأفكار والمعارف الجديدة فالتغيير لم يعد فقط شيئاً مقبولاً بل وعادة ما يرحب به كشئ مطلوب

وفي المجتمع العصري فقدت الجماعات القرابية أهميتها وهذا هو أحد السباب التي حملت على إحلال الجماعات الكبيرة محلها لقد حلت المنظمات غير الشخصية في المجتمع العصري محل الجماعات الصغيرة المتقاربة والبناء الأمن بالمجتمع التقليدي فالمجتمع العصري يتكون من العديد من المنظمات الكبيرة فيه تنظم الكثير من أفعال الناس على أسس غير شخصية حيث يجدون أن من

الضرورى أن يتعاملوا يومياً مع أفراد آخرين لا يعرفونهم إلا من حيث المواقف التى يظهرون فيها.

وشبكة العلاقات فى المجتمع العصرى متعددة ومتداخلة والكثير من المكانات الاجتماعية مفتوحة لمن يستطيع الحصول عليها، والمجتمع العصرى مجتمع غير متجانس ثقافياً فبنائه الداخلى يتصف بوجود عدد كبير من الجماعات الفرعية التى تختلف عن بعضها من حيث القيم وأيضاً كثيراً ما يجدون أنفسهم فى مواقف وعلاقات وأدوار غير معروفة ثقافياً وغير واضحة كما يجدون أحياناً الأنماط القديمة غير مناسبة.

وكما أصبحت التقاليد الشعبية والعرف عاجزة عن أن تحافظ على النظام الاجتماعى القائم - خاصة فى ظل تصارع الجماعات ذات التقاليد والاهتمامات المختلفة - تظهر الحاجة إلى القوانين والتشريعات والمؤسسات الجديدة التى لابد من عملها لتوضيح الأدوار والمكانات والتوفيق بين الاهتمامات المتضاربة مما يؤدى إلى قيام العلاقات الرسمية والتى تصبح أمراً ضرورياً للضبط الاجتماعى، والشعور بالانتماء إلى الجماعة فى المجتمع العصرى ضعيف عنه فى المجتمع التقليدى.

والبيروقراطية هى أحد الصفات للتنظيم الاجتماعى فى المجتمعات العصرية والمقصود بالبيروقراطية سلسلة الإجراءات الطويلة التى يمر بها سير العمل، على أن التنظيم البيروقراطى أساسياً يستهدف جعل المنظمات كبيرة الحجم أكثر كفاءة وفعالية ليس فقط فى الحكومة وإنما أيضاً فى المؤسسات والمنظمات الأهلية كالمدارس والشركات التجارية والجمعيات الخاصة ويحدد البعض أربع خواص للتنظيم البيروقراطى هى التخصص مع وضوح قاطع لتقسيم العمل والمسئوليات، والتنسيق بواسطة سلطات عليا متدرجة، ووجود تعليمات وتشريعات تحدد معايير إجراءات العمل، وعلاقات ثانوية وغير رسمية.

وتنشأ البيروقراطية فى المجتمعات ذات المشاكل المعقدة لتتناول هذه المشاكل بالحل، ومن مميزات التنظيم البيروقراطى أنه نظام يمكن فى ظله تحقيق كفاءة إنتاجية عالية عن طريق التحديدات التى بعضها التنظيم وتخصص العاملين واستمرار العمل المنتظم بغض النظر عن التغييرات التى تطرأ على الأفراد الذين يشغلون مكانات معينة، كذلك من مميزات العدالة والبعد عن التمييز فى معاملات الأفراد بقدر المستطاع.

على أن هناك بعض العيوب للنظام البيروقراطى والتى منها التمسك بشدة القوانين والتشريعات مما يخلق حالة من عدم المرونة عندما تطرأ ظروف متغيرة أو حالات فريدة أو غير عادية وقد يقلل النظام من روح الابتكار بل وقد لا يستطيع البيروقراطيين أحياناً أن يروا الأهداف من وراء التنظيم فى ظل الكثير من التعليمات واللوائح والأعمال الإدارية العديدة - فالقائمون بأعمال التفتيش يميلون إلى حد ما إلى الاكثار من التعليمات والمذكرات التفسيرية التى تنتج عنها مذكرات أخرى وهكذا.

على أن بعض المتخصصين فى النظام البيروقراطى الحديث يعلقون على هذه العيوب بقولهم أنها ليست عيوباً وراثية فى النظام نفسه لو أننا فهمنا البيروقراطية على أنها ببساطة النظام الذى يرفع من الكفاءة الإدارية وليس النظام ذو الإجراءات الجامدة.

والبيروقراطية كما يقولون تختلف عن الديمقراطية فى أنها ليست رغبة الأغلبية ولا اختيار الفرد أو عصبه من الأفراد الحاكمين فى النظام المعين ولكنها التسليم برأى الخبراء والاعتبارات التى تعطى الكفاءة قبل كل ما عداها فعندما تتحدد الأهداف الاجتماعية سواء أوتوقراطياً أو ديمقراطياً فإنها توضع موضع التنفيذ عن طريق الوسائل الفعالة والتى منها البيروقراطية.

وأخيراً يجب الإشارة إلى أن بعضاً من مشاكل تقييم المجتمع العصري هو أنه يقارن عادة بالمجتمع التقليدي فكثيراً ما يصور المجتمع التقليدي المحلي على أنه مجتمع خال من المنازعات والضغوط والتوترات التي تجعل الحياة صعبة بالنسبة للرجل العصري غير أن وصفاً كهذا إنما يعبر عن المجتمع المثالي وليس المجتمع الحقيقي.

يؤيد ذلك ما توصل إليه بعض علماء الأنثروبولوجي الذين درسوا المجتمعات التقليدية والذين أوضحوا أن هناك أيضاً في هذه المجتمعات عدم وفاق وخوف وحقد وعدم ثقة وأنواع من السلوك الانحرافي غير المقبول وإذا كانت المجتمعات التقليدية كثيراً ما يوضح جوانبها الإيجابية فإن للمجتمعات العصرية هي الأخرى مثل هذه الجوانب الإيجابية.

إذا ما قيل عن المجتمع العصري أنه مجتمع تقوم فيه العلاقات الإنسانية على أسس غير شخصية ومصطنعة، أو أنه مجتمع كثير الحركة والتنقل تقوم فيه العلاقات على أساس المنفعة والتنافس وحب الامتلاك والشراسة نحو المكانة الاجتماعية فإنه يجب أيضاً إبراز النواحي الأخرى من أنه مجتمع تسود فيه الحرية الشخصية وحرية اختيار الأصدقاء والمهنية تتحدد المكانة الاجتماعية وفقاً للإنجازات وليس عن طريق الوراثة، وفيه توجد قيم مختلفة متعددة ومعايير كثيرة للحكم على سلوك الناس، وليس فيه سيطرة من قبل جماعة من الناس على بقية أفراد المجتمع.

المجتمع القروي:

نشأت فكرة المجتمعات التقليدية من خلال الدراسات التي أجراها علماء الأنثروبولوجي عن المجتمعات البدائية التي ليس لها لغة مكتوبة. هذه المجتمعات

وأن كانت قد سبقت المجتمعات العصرية الصناعية إلا أنها لا تمثل كل المجتمعات التى سبقت التصنيع فقد كان يوجد قبل الثورة الصناعية مجتمعات أخرى بأعداد كبيرة من السكان تشغل مناطق جغرافية واسعة تلك المجتمعات يطلق عليها بالمجتمعات القروية والتى لا تزال موجودة حتى اليوم فى بعض جهات العالم.

هذه المجتمعات تتشابه فى الكثير من خواصها مع المجتمعات التقليدية فهناك القرى الصغيرة التى يقطنها القرويون والمنعزلة نسبياً والتى تنظم فيها الحياة وفقاً للتقاليد التى يبدو وكأنها لم تتغير منذ عدة قرون، وهناك أيضاً يوجد منطق المجتمعات التقليدية الذى نقل إليها عن طريق وسائل الاتصال الشفوية، كما وهناك التنظيم الاجتماعى الذى يقوم على اساس القرابة.

ويرتبط القرويين بالمجتمع الكبير دينياً وسياسياً واقتصادياً وحياتهم تحددتها القرارات التى تتخذ من المدن البعيدة عن طريق رجال الحكم الرسميين، وتمتد القرى المدن بالسكان الذين وأن كانوا يصبحون سكاناً حضريين إلا أنهم ليسوا من المشتغلين بالصناعة والمجتمع القروى أكثر تعقيداً من المجتمع التقليدى وسكانه إلى حد ما غير متجانسين ثقافياً ومختلفين مهنيًا وكذا فهم متباينون من حيث الخبرات فهناك التجار والزراع ورجال الدين والحكم وغيرها.

وتعتبر التقاليد مهمة فى المجتمع القروى وأن كانت ليست ملزمة بالنسبة للجميع فتقاليد الزراع موجودة إلى جانب تقاليد أخرى لغيرهم والشعور بالتغير محدود بعض سكان المجتمع القروى يلمون بالقراءة والكتابة ومن ثم فهناك فئة متعلمة وفى المجتمع القروى وإن كان المتعلم عادة هو رجل الدين إلى جانب بعض المتعلمين الآخرين، وفى المجتمع القروى يوجد تفاوت فى الثراء عنه فى المجتمع التقليدى إذ فى الأخير يلاحظ أن المجتمع متساوون أو متقاربون من حيث مستواهم الاقتصادى والاختلافات فى السلطة عادة قليلة.

وفى المجتمع القروى تعتبر المدينة المركز الذى تتجمع فيه الطبقة الصغيرة من صفوة القوم وحلقة الاتصال بين المجتمع وباقى جهات العالم الخارجى، فضلاً عن أنها ملتقى طرق المواصلات وفيها توجد الأسواق حيث يبيع القرويون منتجاتهم، ويسود المدينة جو حضارى وحياة تتميز بوضوح عن حياة الفقراء غير المتعلمين من الزراعيين وسكان المدن عادة ما ينظرون بازدراء إلى سكان القرى وإلى طريقة حياتهم وفى المجتمع القروى الإقطاعى ملكية الأرض عادة بأيدي قلة من الناس الذين يجبرون القرويين على دفع الضرائب نقداً أو عيناً أو فى صورة خدمات، ولما كان على القرويين أن يدفعوا الكثير من إنتاجهم فى صورة ضرائب فقد كانت حياتهم تسودها الفقر.

تلك هى بعض أنواع المجتمعات وهى كما سبق القول لا تمثل نماذج قائمة قدر ما تمثل أنواعاً تجمعت فيها صفات جعلتها مميزة عن غيرها، وبين المجتمعات التقليدية والعصرية كما تبين وجدت المجتمعات القروية وتلك لها أنواع عديدة سواء القديم منها والتمثل فى المجتمع القروى فى عهود الإقطاع أو الحديث منها كالموجود حالياً فى المجتمعات الزراعية المعاصرة.

دور المنظمات الأهلية فى حماية البيئة

مفهوم المنظمات الأهلية (غير الحكومية)

١- تعاريف اقتصادية:

وهى مجموعة التعاريف التى تركز على الجوانب الاقتصادية للمنظمات غير الحكومية، سواء الجوانب الخاصة بعدم توجه هذه المنظمات للربح أو الجوانب الخاصة بذاتية التمويل، فنجد أن الأمم المتحدة تعرف المنظمات غير الحكومية على أنها تلك المنظمات التى تحصل على نصف دخلها أو أكثر من مصادر خاصة (تبرعات ومنح...الخ) أى أن هذا التعريف يستبعد من مجال تعريفه المنظمات التى تتلقى أكثر من نصف دخلها من دعم الحكومة، أو من بيع سلع وخدمات، وهو ما يخرج نصف المنظمات غير الحكومية العاملة فى الولايات المتحدة الأمريكية من التصنيف (أمانى قنديل، ١٩٩٥ ب: ١٦)

ويشير بيريلاند (Brieland, 1975:40) إلى أن المنظمات غير الحكومية هى المنظمات التى لا تهدف للربح، ويتفق هذا التعريف مع تعريف شبكة النساء الأفريقيات للتنمية والاتصالات (١٩٩٥: ١٩٩) حيث عرفت المنظمات غير الحكومية على أنها منظمات ينشأها الأفراد على أساس تطوعى دون أن يقصد من ورائها تحقيق الربح المادى، كما يرى غيث (١٩٧٩) أن المنظمات غير الحكومية هى جماعة متخصصة ومنظمة تنظيمياً رسمياً تقوم عضويتها على الاختيار الحر للأفراد، من أجل تحقيق هدف معين غير الحصول على الربح المادى وهذا التعريف على الرغم من أنه يضع بعض العناصر الاجتماعية لهذه المنظمات مثل إنها منظمة رسمية متخصصة تقوم على التطوع، إلا أنه يركز أساساً على عدم توجه المنظمة للربح.

٢- تعاريف اجتماعية:

وتشمل هذه المجموعة، جميع التعاريف التي تركز على الجوانب والشروط الاجتماعية للمنظمات، غير الحكومية، سواء من حيث اعتمادها على التطوع أو توجيهها نحو أهداف اجتماعية، أو ديمقراطية الإدارة داخلها، فنجد شودهرى، (Chowdhry, 1971: 36) يعرف المنظمة غير الحكومية على أنها منظمة يقوم عليها أعضاء من داخلها دون رقابة خارجية، بينما يرى فرنانديز (١٩٩٥: ٤٢١) أن المنظمات غير الحكومية جماعات صغيرة أو كبيرة من الناس يتجمعون معا لتحقيق هدف مشترك وهم يفعلون ذلك طوعاً، وليس استجابة لأمر من سلطة ما، ولا كالتزام تقليدي وليس بهدف الربح.

ويشير كنكل (Kenkel, 1980: 169) إلى أن المنظمة غير الحكومية هي جماعة تكونت عمداً وتطوعياً لتحقيق مجموعة من الأهداف، كما يرى لايت وكيلر (Light and Keller, 195: 178) أن المنظمة غير الحكومية هي منظمة رسمية يتحد من خلالها مجموعة من الأفراد نتيجة لوجود إلتزامات مشتركة لديهم سواء في الأهداف أو المعايير، ويشير سيلس Sills إلى أن المنظمة غير الحكومية هي مجموعة من الأشخاص تتشكل بغرض تحقيق مصالح مشتركة لأعضائها، والعضوية فيها تطوعية، وهي مستقلة عن الدولة (ناجي، ١٩٨٥) أما محرم (١٩٩٠: ١٣١) فيرى أن المنظمات غير الحكومية هي تجمعات شعبية منظمة في إطار رسمي معترف به قانونياً، ويؤسسها أبناء المجتمع المحلي عن إقتناع بحاجتهم إليها كي تقوم بأدوار ووظائف معينة تشبع وتسد حاجات تتطلبها مناشط حياتهم.

ويرى السيد (١٩٨١: ٢٥٦) أن المنظمة غير الحكومية هي جماعة من الأفراد، على درجة عالية من التخصص والتنظيم، يرتبط فيها الأعضاء، أو يتوحدون بإحدى المصالح أو الإلتزامات التي لا يمكن أن تتحقق من خلال السلوك الفردي أو المشاركة الاجتماعية في الأشكال الأخرى للتفاعل الاجتماعي، ويشير

ايسمان وأبهوف (Esman and Uphoff, 1984:18) إلى أن المنظمة غير الحكومية هي عبارة عن جماعة منظمة وظيفتها لا تستطيع الحكومة أدائها، ويتوقف العمل فيها على العمل التطوعى واهتمامات وقيم وأفراد المجتمع، وتتخذ فيها القرارات بسلوب ديموقراطى لصالح أفراد الجماعة.

٢- تعريف قانونية:

وهي مجموعة من التعريف التى تضعها القوانين فى كل دولة وفقاً لظروفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فنجد أن القانون الفرنسى يعرف المنظمات غير الحكومية على أنها بناءات اجتماعية بالمجتمعات المحلية، والتى تكون محددة وكتات أهداف واضحة ولا تهدف إلى الربح ويقتضى إليها الأفراد عمدياً وطوعاً، وهم يمتلكون حرية الإستقالة من عضويتها (Rose 1954: 73) بينما يعرفها القانون المصرى على أنها كل جماعة ذات تنظيم مستمر، تتألف من أشخاص طبيعيين أو قانونيين، لغرض غير الحصول على ربح مالى (القانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤).

مما سبق يتضح وجود مسميات وتعريفات كثيرة لما يمكن أن يطلق عليه المنظمات غير الحكومية، مما يستوجب وجود تعريف يجمع الحد الأدنى من السمات الأساسية لهذا النوع من المنظمات، وقد ظهر نشاط بحثى ضخم فى السنوات الأخيرة فى محاولة لوضع أسس أكثر عالمية تعكس النظم الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية من جانب، وتستطيع تطوير هذه المنظمات بشكل يجعلها أكثر تأثيراً فى مسار المجتمع من جانب آخر، ومن أهم الدراسات البحثية فى هذا المجال ما قام به "كولن بول وليث وان" لوضع الأسس والسمات الرئيسية للمنظمات غير الحكومية والتى نشرت فى تقرير يحمل عنوان "المنظمات غير الحكومية: موجهات السياسة الجديدة والممارسة الفعالة" عن مؤسسة الكومنولث

عام ١٩٩٦ (ياسين، ١٩٩٧: ٢٠-٢١) والذي حدد أربع سمات رئيسية للمنظمات غير الحكومية وهى:

١- التطوعية:

وهى تعنى أولاً أن المنظمة تنشأ طوعياً، بمعنى أنه ليس هناك فى النظام القانونى أو الإطار اللاتحى فى البلد المحدد ما يدعو إلى تشكيلها، أو ما يمنع تشكيلها، وهناك ثانياً عنصر التطوعية فى الاشتراك فى المنظمة سواء فى أعداد صغيرة من الناس يشكلون مجلس الإدارة، أو أعداد كبيرة يمثلون الأعضاء، أو مستفيدين ويسهمون أيضاً بإعطاء جزء من وقتهم للمنظمة بطريقة تطوعية.

٢- الاستقلال:

المنظمات غير الحكومية والتى تنشأ وفق النظام القانونى فى البلاد، ينبغى ألا يهيمن على مقدراتها سوى هؤلاء الذين شكلوها، بل بواسطة مجلس إدارة فوضيها الأعضاء فى إدارتها، أو يستلزم القانون تفويضهم بالإدارة.

٣- عدم استهداف الربح:

المنظمات التطوعية لا تنشأ لتحقيق أرباح شخصية، أو تحقيق كسب ومع ذلك:

أ- فهذه المنظمات قد تستخدم موظفين، وتدفع لهم أجوراً، غير أنه لا يجوز لأعضاء مجلس الإدارة أن يتقاضوا أجوراً على أعمالهم ما عدا إستردادهم ما قد يدفعونه فى سبيل أداء عملهم.

ب- المنظمات التطوعية قد تنغمس فى أنشطة تهدف إلى تحقيق إيرادات غير أنه مع ذلك ليس من حقها أن توزع أرباحاً على أعضائها، وعليها أن تتفق ما قد تحصل عليه من إيرادات فقط على أنشطتها.

٤- عدم القيام بالخدمة الشخصية على إداراتها:

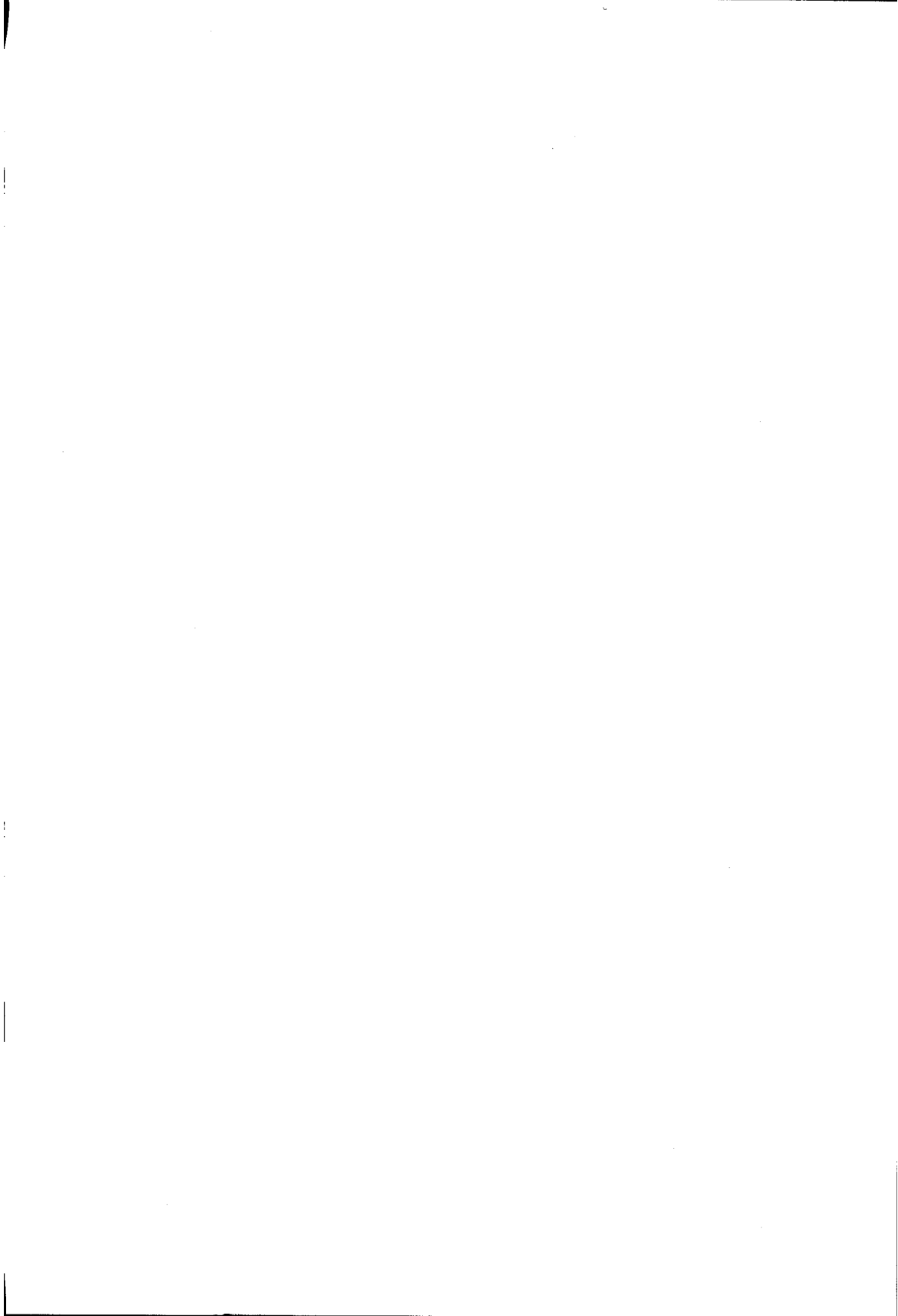
هدف المنظمات التطوعية هو تحسين ظروف غير القادرين ممن لا يستطيعون إستغلال إمكانياتهم أو يكتسبوا كامل حقوقهم في المجتمع، وذلك من خلال العمل المباشر أو غير المباشر. ولا يجوز لها أن تقوم بأنشطة تضر بالصالح العام لأعضاء المجتمع ككل.

لا تزال المؤسسات التطوعية في العالم العربي على وجه العموم وفي مصر على وجه الخصوص تعاني من مشكلات متعددة، من أهم هذه المشكلات تلك التي تواجهها في التأسيس نتيجة عقبات قانونية وإدارية وتدخلات من أجهزة الدولة في شئونها والتضييق عليها من جانب الأجهزة الرقابية، كما تعاني من مشكلات التمويل التي تساعدها على الحصول على مقرات مناسبة يمكن أن تمارس منها أنشطتها، هذا بالرغم من أن البلاد العربية عرفت تكوين المؤسسات التطوعية منذ بدايات القرن التاسع عشر، حيث عرفت مصر عام ١٨٢١ وتونس ١٨٦٧ والعراق ١٨٧٣ ولبنان ١٨٧٨ والأردن ١٩١٢ وفلسطين ١٩٢٠ والبحرين ١٩١٩ والكويت ١٩٢٣ وكانت ولا تزال الكثير من هذه المؤسسات تنشأ نتيجة لدوافع دينية، فالجمعيات الإسلامية في مصر تشكل حوالي ٣٤% من إجمالي الجمعيات عام ١٩٩٠ وتصل هذه النسبة في بعض المحافظات إلى ٥١%، كما تشكل الجمعيات المسيحية في مصر حوالي ٩% من إجمالي الجمعيات الأهلية، لكن العقدين الأخيرين شهدا ظهور جيل جديد من الجمعيات تعنى بالدفاع عن الحقوق أكثر من عنايتها بتقديم المساعدات أو عمل الخير، ولعل من أبرز هذه الجمعيات تلك المنشغلة بالدفاع عن حقوق الإنسان والبيئة وعن حق النساء في أن يحظين بحقوق وفرص متساوية مع الرجال بالإضافة لتلك التي تدافع عن حقوق الفقراء والضعفاء في الحصول على نصيب عادل من عوائد التنمية، ومعظم هذا الجمعيات تروج لثقافة جديدة ذات مفاهيم إنسانية جديدة، ثقافة تحترم الحياة وتقف ضد العنف، ثقافة تقوم على التضامن الاجتماعي وعلى التسامح وعلى احترام الحقيقة وتدعو إلى حقوق متساوية للمواطنين مهما اختلفت

أديانهم أو جنسهم أو رأيهم السياسى، ثقافة تؤكد على مبادئ الديمقراطية والمشاركة وتأخذ بأسلوب التفكير العلمى المنظم فى التعامل مع ما يواجه المجتمع من مشكلات. ولأهمية الأدوار التى تقوم بها المنظمات الأهلية التطوعية ولشدة حرص طائفة كبيرة من المفكرين فى أماكن مختلفة من العالم على نجاح هذا القطاع، فلقد سعت مؤتمرات ومنتديات كثيرة على صياغة ما يمكن تسميته بميثاق أخلاقى للعمل الأهلى التطوعى وكان "السيد ياسين" المفكر الاجتماعى المصرى المعروف من أبرز الكتاب العرب الذين انشغلوا بهذا الموضوع حيث قام بإعادة صياغة لمشروع "جونز هوبكنز" فى قواعد سلوك المنظمات التطوعية الذى جاء فيه:

- ١- أن الهيئات التطوعية غير الهادفة للربح تكتسب أهمية بالغة على اعتبارها تشغل مجالاً هاماً من مجالات المشاركات الفعالة للمواطنين فى الحياة المدنية والاجتماعية، ومن ثم فهى تسهم فى تدعيم الديمقراطية.
- ٢- كى تقوم الهيئات الأهلية التطوعية بتحقيق كل إمكانياتها وأهدافها، فلا بد وأن تتمتع بالاستقلال عن الدولة وأن تدير أمورها بنفسها.
- ٣- إن التطوع بالجهد والوقت والخبرة يظل المصدر الرئيسى لحيوية هذا القطاع.
- ٤- يجب تجنب تأثير الجهات المانحة على عمل وسياسات الهيئات الأهلية التطوعية.
- ٥- يجب أن يقوم القطاع الحكومى والقطاع الخاص بتيسير عمل القطاع الأهلى التطوعى كما يجب أن يتجنبوا وضع العراقيل والعقبات فى طريقه ويتجنبوا النظر إليه على أنه قطاع منافس لهما.
- ٦- يجب إدارة العمل فى الهيئات التطوعية بحكمة وفاعلية وبأسلوب علمى.
- ٧- يجب أن تتمتع الهيئات الأهلية التطوعية التى تعمل فى مجال الخدمة العامة بمعاملة ضريبية خاصة.
- ٨- على الحكومة أن تشجع إسهام المواطنين والهيئات فى أنشطة الخدمة العامة التى تقوم بها الهيئات الأهلية التطوعية سواء كان ذلك الإسهام نقدياً أو عينياً.
- ٩- يجب ألا تنتهك الحكومة استقلال القطاع الأهلى التطوعى.

- ١٠- إذا أدينت الهيئات الأهلية التطوعية نتيجة سوء التصرف أو سوء الإدارة فلا بد من مثولها أمام المحكمة المختصة.
- ١١- يجب أن تخدم الهيئات الأهلية التطوعية - بصفة أساسية - المصالح العامة للمواطنين لا المصالح الفردية الضيقة للمنضمين إليها.
- ١٢- يجب على الهيئات الأهلية التطوعية أن تقوم بصفة دورية بالإعلان عن أنشطتها وميزانياتها، وأن يرتبط مستوى الإعلان بمستوى المساندة العامة.
- ١٣- يجب أن تدار الهيئات الأهلية التطوعية بأسلوب ديمقراطي.
- ١٤- يجب ألا تكون النفقات الإدارية للهيئات الأهلية التطوعية كبيرة أو مبالغاً فيها.
- ١٥- فيما عدا الأعمال غير الإدارية أو النفقات الإدارية يجب ألا يحصل القائمون على إدارة الهيئات الأهلية التطوعية على أجور مقابل إدارتهم لشئون جمعيتهم والتخطيط لأنشطتها.
- ١٦- يمكن للهيئات الأهلية التطوعية أن تعتمد على موظفين بأجر للقيام بجانب من أعمالها، لكن يجب أن يظل ذلك في حدود لا ترهق ميزانياتها.
- ١٧- يجب أن يبنى العمل التطوعي على الاحترام المتبادل وعلى الثقة المتبادلة وأن يخلو من الصراع والتنافس الهدام والأغراض الشخصية.



أهم المعوقات التي تواجه مؤسسات العمل الأهلي:

- عدم استقرار الموارد المالية.
- عدم استقرار الموارد البشرية.
- غياب الأنظمة وأساليب العمل الموثقة.
- غياب قيادات الصف الثاني.
- عدم وجود مرونة كافية في التنظيم.
- الصراع والتنافس غير الصحي بين أعضاء مجلس الإدارة.
- صعوبة الانتقال من مرحلة الإغاثة وتقديم الخدمات إلى مرحلة التنمية والمشاركة في صنع وتقييم السياسات.
- غياب المنهج العلمي والموضوعية والتجرد من المصالح الشخصية عن أسلوب صنع القرار وتنفيذه وتقييمه.

مقومات الإدارة الفعالة في منظمات العمل الأهلي:

- رؤية واضحة المعالم وخطة محددة الأهداف.
- برامج وأنشطة تستجيب لحاجات الناس.
- عنصر بشري كفؤ.
- قيادة ذاتية تعتمد مبدأ التمكين.
- نظام موضوعي لمعالجة الخلافات والصراعات الداخلية.
- تجهيزات ووسائل عمل ملائمة.
- تنظيم واضح ومرن.
- موارد مالية مضمونة في حدها الأدنى.
- تفاعل صحي مع المجتمع المحيط.

- نظام فعال لإدارة الجودة.
- قدرة على منح المؤسسة الأهلية وقتاً كافياً.
- استقلال عن مؤسسات المجتمع الأخرى.
- التواصل الجديد بين أعضاء المنظمة.
- مشاركة الأعضاء في صنع السياسات.
- مستوى على من التعاون والتماسك والتعاقد داخل المنظمة.
- ضمان وحدة المنظمة.
- وضع مصلحة المنظمة فوق المصالح الفردية والشخصية لأعضائها.
- عدم استغلال اسم المنظمة لتحقيق مصالح شخصية.

وظائف المنظمات غير الحكومية

- ١- العمل على كفاءة استغلال موارد المجتمع ومواجهة مشكلاته وذلك عن طريق:
 - (١) تحديد احتياجات وموارد المجتمع المحلي.
 - (٢) إمداد الأهالي والحكومة بمعلومات عن الاحتياجات المحلية وللولوياتها والقررات المحلية.
 - (٣) توفير الاتصال الجماهيري والقيام بالتوعية والإرشاد.
 - (٤) توفير بعض الاحتياجات المحلية عن طريق الاتصالات التنظيمية مع المنظمات الحكومية وغير الحكومية الأخرى بالمجتمع.
 - (٥) القيام بأنشطة ومشروعات لا تقوم بها الحكومة لو استكمال المشروعات التي تعجز الحكومة عن استكمالها.
 - (٦) الاستفادة من الخبرات الفنية والاجتماعية والتكنولوجية والعلاقات الإنسانية لأفراد المجتمع.
 - (٧) تدريب القيادات المحلية الشابة للاستفادة منها مستقبلاً.
 - (٨) تنظيم المجتمع المحلي في حالات التغير لسريع، وخلق أدوار جديدة.
 - (٩) العمل على مواجهة المشكلات المتوطنة والمتغيرة للمجتمعات المحلية.

ب- العمل على تحقيق العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع عن طريق:

- (١) تنفيذ برامج اجتماعية واقتصادية موجهة للفئات الفقيرة والمحتاجة سواء بطريقة فردية، أو بالتعاون مع منظمات أخرى حكومية أو غير حكومية.
- (٢) القيام بالتوزيع العادل لموارد المنظمة بين أفراد المجتمع المحلي.
- (٣) تدريب أفراد المجتمع على طرق وأساليب اجتماعية أو اقتصادية تساعد على مساعدة أنفسهم.
- (٤) العمل على تنمية المورد البشرية لأفراد المجتمع (صحيًا، تعليميًا، دينيًا)
- (٥) العمل على تغيير بعض السلوكيات ولعادات والقيم السلبية بين أفراد المجتمع.

ج- الحث على المشاركة عن طريق:

- (١) تجميع الجهود المحلية ورفع مستوى المشاركة.
- (٢) تدريب أفراد المجتمع المحلي على الديمقراطية والحرية في إبداء الرأي.
- (٣) مساعدة أفراد المجتمع المحلي على أن يساعدوا أنفسهم بأنفسهم وتكون قراراتهم من داخلهم.

1

2

3

العلاقة بين المنظمات غير الحكومية والحكومة:

تختلف العلاقة بين النشاط الحكومي ونشاط المنظمات غير الحكومية من مجتمع لآخر نتيجة لعدة عوامل من بينها مدى قدرة وكفاءة الجهاز الحكومي فى تلبية وإشباع احتياجات المجتمع، والأيدولوجية السياسية التى يقوم عليها المجتمع، وفلسفة الرعاية الاجتماعية وأولوياتها فى كل مجتمع. وهناك تفسيران نظريان يفسران كيفية تنسيق العلاقة بين المنظمات غير الحكومية والحكومة هما:

أ- نظرية امتداد السلم Extension Ladder Theory

يشير سدنى وب Sidney Webb إلى أنه وفقاً لهذه النظرية فإن الأجهزة الحكومية تضمن للمواطنين حد أدنى من الخدمات، ومنها مساعدات الضمان الاجتماعى والخدمات الصحية والتعليمية، وفى حالة عدم إمكان الهيئات الحكومية مقابلة كل الاحتياجات فإن المنظمات غير الحكومية تكمل مثل هذه الخدمات، بل تتوسع فيها أو تحسنها أو تنسق بينها (سامية فهمى ١٩٨٥: ٢٢١).

ويتناسب هذا التصور مع المجتمعات التى تتميز بوفرة فى هذه الموارد الاقتصادية، بحيث يمكن للدولة أن تعمل فى كافة برامج الرعاية الاجتماعية التى يحتاج إليها المواطن فى المجتمع والتى من شأنها أن توفر له فرص حياة أفضل، ويأتى دور القطاع غير الحكومي من حيث ينتهى دور الدولة، ويتجه القطاع غير الحكومي إلى رفع مستوى الرعاية التى تكفلها الدولة، وأيضاً يصبح من مسئولياتها تنبيه الدولة إلى مجالات الرعاية الاجتماعية المستحدثة.

ب- نظرية الأعمدة المتوازية Paralled Bars Theory

يفترض كرك مان جراى Kirkman Gray - وفقاً لهذه النظرية - أن تقوم كل من الأجهزة الحكومية والمنظمات غير الحكومية معاً على تنفيذ الخدمات فى كافة الميادين. ويناسب هذا التصور الدول محدودة الدخل أو النامية، حيث يتم اقتسام مجالات الرعاية بين الهيئات الحكومية والمنظمات غير الحكومية، لتتصدى الدولة للعمل فى المجالات التى لها الأولوية، بينما تتولى المنظمات غير الحكومية العمل فى المجالات التى تليها من حيث الأهمية ويسير كل قطاع جنباً إلى جنب مع دور القطاع الآخر، وإذا توافرت للدولة موارد جديدة أو أضيف مجال جديد إليها باعتباره هام من حيث الأولوية، فعلى القطاع غير الحكومى أن يترك العمل فى هذا المجال للقطاع الحكومى. ومن هنا تجى العلاقة المتوازية، بحيث لا ألتقاء بين النشاط الحكومى وغير الحكومى فى مجال عمل واحد (سامية فهمى: ١٩٨٥ : ٢١٤).

وتتناسب نظرية الأعمدة المتوازية مع ظروف المجتمع المصرى، ولكننا يمكن أن نجد بعض المجالات التى تعمل فيها المنظمات الحكومية وغير الحكومية معاً فى نفس الوقت، ولذل فإنه من الأفضل أن نقول بأن بأن نظام الرعاية الاجتماعية فى مصر يظل عليه الأخذ بمعطيات النظرية الثانية (سامية فهمى، ١٩٨٥ : ٢١٤).

المنظمات غير الحكومية فى ظل القانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤

(١) أهداف القانون:

توضح المراجعة الدقيقة للقانون وديباجته مجموعة من الأهداف التى سعى القانون إلى تحقيقها ومنها:

- ١- ضم وحصر كافة القوانين والمواد المتفرقة التى تدور حول الجمعيات الأهلية والمؤسسات الخاصة فى القانون المدنى العام فى تشريع واحد شامل، لإدارة وتنظيم كافة الجمعيات والهيئات غير الهادفة للربح (فيما عدا النقابات العمالية والمهنية والتعاونية التى ينطبق على كلا منها قانون مستقل).

٢- فرض سيطرة الدولة على الجمعيات الأهلية والمؤسسات الخاصة، من خلال توسيع سلطة الرقابة عليها من جانب الجهة الإدارية المختصة (وزارة لشئون الاجتماعية)، لضمان سيرها في طريق تحقيق أهدافها في حدود الأغراض التي أنشئت من أجلها.

٣- إلزاماً بمبدأ التخطيط الاشتراكي الذي يهدف لتحقيق العدالة وتكافؤ الفرص بين المواطنين، فإنه ينبغي أن تخضع الجهود المبذولة في مجال العمل الاجتماعي لتخطيط سليم، بحيث تصبح جزءاً من خطة التنمية الشاملة التي تشرف عليها وتوجهها الدولة.

٤- تطهير الجمعيات الأهلية والمؤسسات الخاصة من العناصر التي حرمت من ممارسة حقوقها السياسية. حيث يحرم القانون على أي شخص ممنوع من ممارسة حقوقه السياسية من الاشتراك في تأسيس أو عضوية أي جمعية أهلية إلا بتصريح من وزارة الشئون الاجتماعية.

٥- فصل الروابط العمالية عن الجمعيات والروابط الاجتماعية، وحظر شهر الأولى طبقاً لهذا القانون بإعتبارها هيئات نقابية أو منظمات عمالية.

٦- توثيق وتأكيد وسائل الربط بين الجمعيات والاتحادات الإقليمية والنوعية، وتمكين هذه الاتحادات من القيام بوظائفها التخطيطية والتنسيقية والتوجيهية في جميع مجالات العمل الاجتماعي.

ولضمان سريلان أحكام القانون تضمنت مادته الثانية نصاً يلزم الجمعيات الأهلية والمؤسسات الخاصة بتعديل نظمها وإعادة شهرها طبقاً لأحكامه خلال ستة أشهر من تاريخ العمل به، وإلا اعتبرت محللة بحكم القانون.

(٢) من أهم مواد هذا القانون

(أ) شروط تأسيس الجمعيات الأهلية.

(ب) مجالات أنشطة الجمعيات الأهلية.

مجالات أنشطة الجمعيات الأهلية:

يصنف القانون الجمعيات إلى نوعين رئيسيين هما جمعيات تنمية المجتمع، وجمعيات الرعاية، ثم يصنف النوع الثانى تبعاً لنوع الخدمة التى تقدمها الجمعية، وقد تضمن القرار الجمهورى رقم ٩٣٢ لسنة ١٩٦٦ قائمة تضم مجالات الرعاية الآتية:

- ١- رعاية الطفولة والأمومة.
 - ٢- رعاية الأسرة.
 - ٣- المساعدات الاجتماعية.
 - ٤- رعاية الشيوخ.
 - ٥- رعاية الفئات الخاصة والمعوقين.
 - ٦- الخدمات الثقافية والعلمية والدينية.
- ثم صدر القرار الوزارى رقم ١٢ فى ٢/٢/١٩٦٨ بإضافة المجالات الآتية:

- ٧- الإدارة والتنظيم.
- ٨- رعاية المسجونين.
- ٩- تنظيم الأسرة.
- ١٠- الدقة بين الشعوب.
- ١١- النشاط الأدبى.

ثم صدر القرار الوزارى رقم ١٢٣ فى ٩/٤/١٩٨١ بإضافة المجال الثانى عشر من مجالات الرعاية وهو:

١٢- الدفاع الاجتماعى.

وقد أضيفت أخيراً بقرار وزارى المجالات الآتية:

- ١٣- حماية البيئة.
- ١٤- أصحاب المعاشات.
- ١٥- التنمية الاقتصادية.
- ١٦- تنمية الدخل وحماية المستهلك.
- (ج) الهيئات المسنولة بالجمعيات الأهلية.
- (د) الأمور الإدارية والمالية للجمعيات الأهلية.
- (هـ) علاقة الجمعيات بالاتحاد العام والاتحادات الإقليمية المتنوعة.

(ل) علاقة الجمعيات الأهلية بأجهزة الحكم المحلى.

(ز) حل الجمعيات الأهلية.

(و) بعض المزايا القانونية للجمعيات الأهلية.

بعض المزايا القانونية للجمعيات الأهلية:

تتمتع الجمعيات الأهلية المشهرة وفقاً لقانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤ بالمزايا

الآتية:

- ١- تعفى من رسوم التسجيل فى عقود الملكية والرهن ولعقود الخاصة بالحقوق العينية الأخرى وكذلك من رسوم التصديق على التوقيعات.
- ٢- تعفى من رسوم الدمغة المفروضة حالياً أو مستقبلاً على جميع العقود والمحركات والأوراق والمطبوعات وغيرها.
- ٣- تعفى من الرسوم الجمركية المفروضة على ما تستورده من معدات وأدوات لازمة لنشاطها.
- ٤- تمنح تخفيض قدره ٢٥٪ من أجور نقل المعدات والآلات على لسكك الحديدية.
- ٥- تمنح تخفيضاً قدره ٥٠٪ من قيمة استهلاك المياه والكهرباء.

(ى) التعديلات التى دخلت على القانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤:

تم إدخال ثلاثة تعديلات طفيفة على القانون، كان التعديل الأول فى عام

١٩٧٢ وينص على:

(أ) إعفاء الهيئات التطوعية والاتحادات الخاصة من رسوم تسجيل بعض الممتلكات ومن رسوم الجمارك (ماده ٢١).

(ب) لوزير الشئون الاجتماعية أو من ينوبه حق إنتداب بعض موظفى وزارة الشئون

الاجتماعية للعمل فى الهيئات التطوعية الخاصة (ماده ٢١ - أ). كما جعل مدة

الإدارة للهيئات التطوعية ٣ سنوات على أن يتغير ثلث الأعضاء كل سنة.

وكان التعديل الثانى فى عام ١٩٨٢، وقد أضاف بعض الإعفاءات لجمركية القليلة على المعونات، أو الهيئات العينية مثل المعدات التى ترسل من المانحين بالخارج طالما أنها ضرورية لأنشطة الهيئة التطوعية الخاصة. والتعديل الثالث والأخير حدث فى عام ١٩٩٤ وينص على:

(أ) إلغاء تمثيل الاتحاد الإشتراكي العربى فى الإتحاد العام للهيئات التطوعية والاتحادات الخاصة.

(ب) إضافة مادة جديدة هى (٥٠ - أ) تحظر عضوية الهيئات التطوعية الخاصة على أعضاء المجالس الشعبية المحلية ومسئولى السلطة التنفيذية ذوى سلطات الأشراف أو الإدارة أو التفتيش أو الشؤون المالية.

المراجع

- ابراهيم، على عيسى، ١٩٩٩ - جغرافية مصر - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية.
- أبو عيانة، فتحى محمد أحمد، ١٩٨٤، مشكلات السكان فى الوطن العربى - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية.
- أبو عيانة، فتحى محمد أحمد، ١٩٨٥، جغرافية السكان. دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية.
- أحمد الجلاذ ، ١٩٩٥ الأيكولوجيا والتشيط السياحى - رسالة دكتوراه ١٩٩٥ - جامعة عين شمس.
- احمد الجلاذ - دراسات ايكولوجية - بيئة وجغرافية مصر السياحية - عالم الكتب - ١٩٩٧.
- أحمد على إسماعيل، ١٩٩٥، البيئة المصرية، دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة.
- أحمد محمد مجاهد وآخرين - البيئة النباتية.
- الأشمونى، أشرف أحمد، ١٩٩٣، أثر الهجرة على التغيرات الاجتماعية والاقتصادية للأسرة الريفية - رسالة دكتوراه فى المجتمع الريفى، كلية الزراعة بكفر الشيخ - جامعة طنطا.
- الجهاز المركزى للتعبئة والأحصاء، ١٩٧٦، التعداد العام للسكان والمنشآت.
- الجهاز المركزى للتعبئة والأحصاء، ١٩٨٦، التعداد العام للسكان والمنشآت.
- الجهاز المركزى للتعبئة والأحصاء، ١٩٩٦، التعداد العام للسكان والمنشآت.
- السيد متولى - الحياة البرية فى خدمة المجتمع والبيئة - مطبوعات الإدارة المركزية لحداثق الحيوان ١٩٨٨.
- أمانى قنديل، الجمعيات الأهلية وسياسات الإصلاح الاقتصادى والتكيف الهيكلى فى مصر - مركز البحوث والدراسات السياسية بالتعاون مع المركز الثقافى الفرنسى - باريس ١٩٩٤.
- أمانى قنديل، المجتمع المدنى فى العالم العربى - دراسة الجمعيات الأهلية - منظمة سيفيكس - القاهرة ١٩٩٤.
- أمانى قنديل، ساره بن نفيسه، الجمعيات الأهلية فى مصر - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - مؤسسة الأهرام - القاهرة - ١٩٩٥.

- أمّين، سعد زغلول، ١٩٨٥ - مكونات النمو السكاني - المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية - المسح الشامل للمجتمع المصري ٥٢ - ١٩٨٠: السكان، القاهرة.
- جمال حمدان - شخصية مصر ج١ - القاهرة ١٩٨٠.
- رئاسة مجلس الوزراء - جهاز شئون البيئة - التقرير الوطني عن البيئة في مصر - أكاديمية البحث العلمي ١٩٨٥.
- سمير الدسوقي عبد العزيز - وآخرين - جغرافية مصر - الهلال للتجارة والطباعة - ١٩٨٦ القاهرة.
- صبحي عبد الحكيم - المشكلة السكانية في مصر - مجلة الدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والتعمير العدد (٢٨) المركز للدراسات الإعلامية ١٩٨٢.
- عبد العزيز على فايد - ثرواتنا الطبيعية (النباتات) مجلة أسبوط للدراسات البيئية العدد (٦ - ٧ - ٨) ٩٤ - ١٩٩٥ - جامعة أسبوط ١٩٩٥ .
- عبد المنعم ماهر - نحو خطة قومية لصون الطبيعة ورقة مقدمة إلى الندوة العلمية السادسة عن "التنمية مع المحافظة على البيئة" - جامعة المنوفية - ١٩٨٣.
- فاروق عبد الجواد شويقه - دراسات إيكولوجية في إفريقيا وحوض النيل - القاهرة ١٩٨٦.
- مايكل بيرسون - دراسة تفصيلية لإدارة متحمية رأس محمد - جهاز شئون البيئة ١٩٨٩.
- مجلس الوزراء - المحميات الطبيعية في مصر - جهاز شئون البيئة - القاهرة ١٩٩٥.
- محمد حسين عامر - الحياة البرية في مصر - مجلة الجمعية المصرية للحياة البرية - العدد الأول ١٩٩٠.
- محمد صفى الدين أبو العز - دراسات في جغرافية مصر - ١٩٥٧.
- محمد صفى الدين أبو العز - موفولوجية الأرض المصرية - ١٩٦٦.
- محمود زهران - أساسيات علم البيئة النباتية وتطبيقاتها.
- محمود عصفور - جغرافيا إقليمية (إفريقية) - الهلال للتجارة والطباعة ١٩٨٨ القاهرة.
- مندى بهاء الدين - وآخرين - عالم الطيور في مصر - المجلس الدولي لحماية الطيور .. بدون سنة نشر.

- وزارة السياحة - إحصائيات سياحية وفندقية - العدد ١٢ - مجلة البحوث السياحية
١٩٩٦.

- وليم نظير - الثروة النباتية عند قدماء المصريين.
- يسرى الجوهري - جغرافية البحر المتوسط - دار المعارف المصرية - ١٩٩٠.
- يوسف تونى - معجم المصطلحات الجغرافية - دار الفكر العربى - القاهرة.



مكتبة بستان المعرفة

لطبوع و نشر و توزيع الكتب

٠١٢٣٥٣٤٨١٤ & ٠٤٥/٢٢٢٤٢٢٨ ☎